الرموز الماسونية

رمزيّة البنّائية الحرّة

أو الفنّ الملكي الذي أعيد إيضاحه ورقّم
حسب قواعد الرمزية الباطنية والتقليدية



جول بوشيه
"ج. ب."



مترجم من اللّغة الفرنسية إلى اللّغة العربية

ترجمة وتنسيق واشراف

الاستاذ الاعظم الدكتور جميل سعاده

طبعة أولى ٢٠٠٦

ص.ب : ٥٥٢٥٤ سن الفيل – بيروت
تلفون : ٠٣٧٧٧٦٧٦
فاكس : ٠١٦٨٥٦٨٨
E MAIL JAMILSSAADE@Hot Mail.com
E MAIL JAMILSSAADE@yahoo.com

الاهداء:

أهدي هذا الكتاب الى كل طالب نور ومعرفه

JULES BOUCHER

Né le 28 février 1902 , entra en Franc-Maçonnerie à l'âge de quarante et un an passé , c'est-à-dire pendant l'occupation allemande en France . Initié le 30 novembre 1943 à la Loge – clandestine – « L'Arche d'Alliance » , de la Grande Loge de France , à l'Orient de Paris , il fut membre des Loges « Amitiés Internationales » et « Chéops » , du Souverain Chapitre « Orphée » de cette même obédience .

Collaborateur de plusieurs revues maçonniques aujoud'hui disparues , il écrivit , sous son nom ou ses initiales J.B. , ainsi que sous différents pseudonymes , de nombreux articles et quelques ouvrages sur les sciences secrètes , introuvables depuis de nombreuses années .

Franc-Maçon exemplaire , il prodiguait avec générosité les trésors de son érudition . Il devait succomber des suites d'une crise cardiaque , à Paris , le 9 Juin 1955 , dans sa cinquante - quatrième année .



جول بوشيه

ولد في ٢٨ شباط ١٩٠٢ ، ودخل في الماسونية وعمره واحد وأربعون سنة ، أي أثناء الاحتلال النازي في فرنسا . تلقّى الاختبار المُساريّ في ١٩٤٣/١١/٣٠ في محفل – سرّي– « تابوت العهد » التابع للمحفل الأكبر الفرنسي ، وفي شرق باريس كان عضواً في محافل « الصداقات الدولية » و « جوفر » ، في المقام السامي « أورفي » بنفس «الطاعة». معاون في عدّة مجلاّت ماسونية لم تعد موجودة حالياً ، وكتب بتوقيعه أو بالحروف الأولى من اسمه (ج.ب.) وبعضها باسم مستعار ، العديد من المقالات عن العلوم السرّية ، نادرة الوجود حالياً . كان مثال الماسوني ، ولا يبخل بشيء في تبحره في العلم والكنوز . توفي على أثر أزمة قلبية في باريس في ١٩٥٥/٦/٩ وكان عمره أربعة وخمسون سنة .

تمهيد

يبدو لنا ملائمٌ أن نعطي مختصراً لرمزية البنّائية الحرّة ، ليكون من جهة مفيداً للبنّائين الأحرار ، ومن جهة أخرى سهل أن يفهمه الدنيويون (PROFANES) .

إن المؤلفين « ليوتاكسيل LEOTAXIL » و « بول روزين PAUL ROSEN » و « مارك ريفيير MARQUES RIVIERE » والعديد من المؤلّفين الآخرين الذين بذلوا قصارى جهدهم للافتراء على النظام الماسوني ، ونجحوا أن يرسّخوا في أذهان ما يشبه الفكرة المبتذلة والبعيدة كل البعد عن الحقيقة . وبعض المؤلّفين يعتبرون أن الماسونية هي « مافيا » تغذّي مشاريع سياسية رهيبة وهي لا تتوانى عن ارتكاب الاغتيالات بغية خدمة مخططاتها ، أو أنها أداة في خدمة إسرائيل ، أو أنها أداة الإمبريالية الأنكلو-ساكسونية ، على حدّ مزاعم « ماكس دوماكس MAX DOUMEX » ، وبعض المؤلّفين يزعمون أن الماسونية ليست إلاّ جمعية تعاون متبادل وحتى « جمعية مساعدات متبادلة » .
وهذه الآراء ووجهات النظر المتناقضة هي كلّها خاطئة .

إن البنّائية الحرّة هي جمعية تحافظ على حيوية بعض المظاهر التقليدية للتعاليم المُساريّة ، والذي يسيطر عليها ، هو مبدأ التسامح ، إن كان تجاه المعتقدات الدينية أو السياسية .

إن البنّائية الحرّة تفتح طريق المُساريّة ، أي المعرفة ، ورموزها تعطي البنّاء الحرّ إمكانية الوصول إليها .

بالطبع إنه قد يكون هناك بعض الأناس الذين بعد مرورهم بالاختبار المُساريّ يبقون كما كانوا دنيويين ، ولكن هذه الاستثناءات لا يجب أن تمحي الطابع السامي للبنّائية الحرّة ، مقتنعين بأننا لا ندّعي قطّ إعطاء تفسير لها ولن نربط إلاّ مسؤوليتنا الشخصية . لن تجدوا أية انعكاسات من تعاليم أي محفل أكبر في كتابنا إنّما تجدون وجهات نظر حسنة النيّة .

إذا كان عملنا فعّال كالخمير ويسبب فتح مجال لدراسات أخرى لنصحّح ونكمّل فنكون عندها مسرورين ، وهكذا نكون قد شعرنا أننا قد نفّذنا عملاً مفيداً .

قد يلومنا البعض من البنّائين الأحرار أنه قد سلّمنا « أسرارنا » للدنيويين، فليكونوا مطمئنّين لأن هذه الأسرار المزعومة قد كُشِفَ النقاب عنها عدّة مرات . أما الذين كانوا يتلهّون في « تصنّعاتنا MOMERIES » يكونوا ملزمين إذا قرأوا هذا الكتاب أن يعودوا إلى تصحيح آرائهم .

« جول بوشيه JULES BOUCHER »

بعض الآراء بخصوص أوّل طبعة لكتاب :
« رمزية البنّائيّة الحرّة »
(١٩٤٨)

- إنه مؤلّف خالد فمن الآن وصاعداً ، يبقى ملزماً علينا أن نرجع إليه وسيصبح مرجعاً ... الدكتور أوكتاف بيليارد

- أمكنني أن أحكم على الخدمات القيّمة لهذا الكتاب الكامل الذي قدّمه للبنّائين الأحرار المشغولين لمعرفة التقاليد لنظامنا وهيكليتها الرمزية ... ميشال دوفينيل دو غرامون

الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الفرنسي

- لم أكن أتوقّع أن أحداً بإمكانه أن يعالج مواضيع كتابكم بأكثر لباقة وجدّية وموضوعية ، إلاّ أن هذا كلّه صار بنشاط وثقة ماسونية . إليكم رسالة يجب أن تلاقي في محيطنا وخارجه أوسع الاهتمامات .

س. ث. بونار

الأستاذ الأعظم للشرق الأكبر الفرنسي

- ربّما كنتم تظهرون متشدّدين في بعض تقديراتكم . نعْمَ الأمر . إن الأخطاء التي يمكننا أن نكشفها في مؤسسة – وكانت هذه المؤسسة متينة نتعلّم منها لنتقدّم .

ألبير لانطوان

مؤرّخ في البنّائية الحرّ

فهرس

١. رمز ورمزية :

إن كلمة رمز (SYMBOLE) تشتق من الكلمة اليونانية (SYMBOLON) وهي علامة إقرار مؤلّفة من قسمين لأداة كُسِرَت التي نودّ أن تتقارب ، وإن أردنا التوسّع نقول أن هذه الكلمة تعني صورة تماثلية (ANALOGIQUE) على صلة بالإدارة المعتبرة .
هنا علينا أن نفرّق بين : (التكلّم بواسطة المجازALLOGORIE) و (الشعار EMOLENE) و (الرمز SYMBOLE) .
أما التكلّم بوساطة المجاز (ALLEGORIE) والآتية من اليونانية (ALLEGORIA) يمكن ترجمتها حرفياً « تكلّم » و « آخر » ويعني « تكلّم بشكل آخر » . ويمكننا أن نستشهد كمثل للتكلّم المجازي لحكاية ذات مغزى أخلاقي (APOLOGUE مشتقّ من APO وخطاب LOGOS) وهو التكلّم المجازي في الأخلاق ، والتكلّم بغموض (مماثلة PARABOLE) وهو التكلّم المجازي في الدين .
والشعار (EMBLEME) من اللاتيني (EMBLEMA = الزخرفة المنقولة) هو صورة بسيطة لفكرة . مثلاً الثور يعتبر شعار للقوّة .
والرمز ، معناه أوسع ومجالاته أكبر ، واستيعابه هو بعلاقة وثيقة مع المعارف التي اكتسبها بواسطة من يقوم بالبحث .

إن الأب « أوبير AUBER » ، ببحثه عن التطبيق الخاص للرمز للكتاب المقدّس ، ميّز أربع معاني التي يمكن أن تتعلّق بالرمز عامةً : المعنى الحرفي ، والمجازي ، والأخلاقي وأخيراً المعنى الروحاني الديني .

المعنى (TROPOLOGIQUE) (خطابة = LOGOS تغيير = TROPOS ، أي تغيير اتجاه الخطابة) ويتميز من المعنى ANAGOGIQUE (اقتاد = AGO فوق = ANA) أي ارتفاع الفكر إلى الروحانيات ، ويكون المعنى الأول أخلاقي أما الثاني فباطني .

بفحص الرمز بواسطة التطبيق بالتخيّل في التفسير ، قال الأب (أوبير AUBER) :

١- لا تستعملوا قط طريقة المعنى الرمزي المعطى لاحقاً وعفوياً للنص الذي لن يكتب لتطبيقٍ ما ، كمسلّم من الكتاب للأناجيل ، كمطابقة بسيطة من أعمالنا للّغة الإلهية بالموضوع الذي نبحث به .

٢- لا تبدّلوا بشيء ، تحت أية ذريعة ، المعنى الحرفي والروحي الذي لا يمكن أن يفسّر بشكل أو بآخر إلاّ من الكنيسة وحسب التعريف من مجمّع الثلاثين .

٣- وأخيراً ، لا تستعملوا تفسيرات عشوائية وطالما أنها لم تستنكر من المراجع المختصة .

الأب (برتو BERTAUD) من جانبه يطلب احترام قاعدتين :

الأولى : على أن الأمر المدروس يحتوي حقيقة الرمزية .

الثانية : طالما أننا نلاقي حضور رمزي يجب أن نتلاءم لنلاقي المعنى الحقيقي بما يخص قواعد الرمزية التي تخص الأمر الذي تقيد بها المؤلف في تأليفه .

إنه بالضبط سوء استعمالات الرمزية التي بإنقاص قيمتها أصبحت مرفوضة . ومع ذلك إن استعمالها حسب الأصول التقليدية تبيّن أنها الوسيلة الوحيدة لتفسير الذي يعجز تفسيره .

قال (جان ترافير JEAN C.M. TRAVERS) : « إن الرمز هو طيف أو فكرة ... يتملّكنا بين العالم وأنفسنا بعض تشابهات سريّة وقوانين غامضة التي يمكنها أن تجتاز مغزى العلم ، ولكن غير متأكد منهم . كل رمز يصبح بهذا المعنى ظاهرة » .

إن الرمزية هي فعلاً علم حقيقي له قواعده الدقيقة ومبادئه مشتقّة من عالم (ARCHETYPE من اليونانية = نموذج أصلي = TUPOS و ARCHE) . النموذج الأصلي . وعلينا ، وبصبر أن ندخل في مفهومها .

إنه فقط بواسطة دراسة الرموز يمكننا أن نصل إلى ESOTERISME التعليم الخفي (الإيزوتيريا) . وأنه بدون اعتبار أن (التعليم العلني EXOTERISME) التعليم العلني ، أي بالتفسير الشبه الحرفي يمكننا التوصّل إلى الحكم على الطقوس القديمة التي بطل استعمالها .

هذا شرح وتفسير عن الرمزية الماسونية ، ولكننا لا ندّعي التملّك في نوعية « المُسارّيّ INITIÉ » (مشتقة من INITIUM = بداية) أي

ببساطة « وضع في الطريق » ، والماسوني المخلص يعي أنه حتى لو صار شغّالاً أو أستاذاً يبقى أيضاً مبتدئ .

(هنري ثيريات HENRY THIRIET) المتأسف لإهمال بعض الباحثين في حقل الرمزية كتب قائلاً : « لم أتمكّن من أن أشرح لنفسي إلاّ بواسطة إعاقة الفكر ، إنه يمكن نكران قيمة واحتياج الرمزية في جمعيتنا . إن المتشبّثين في هذا الموقف لم يدركوا أنهم ينكرون ، بنفس الوقت ، الطابع الفلسفي وحتى « المُساريّ » للبنّائية الحرّة ، وهكذا يطيحون بفضيلتها الرئيسية .

إن الدراسة المتعمّقة للرموز وخاصة لرموز البنّائية الحرّة يمكن أن توصلنا إلى البعيد البعيد . كل شيء هو رمز في هذه الدنيا ، وحتّى الكلمات بالذات ما هي إلاّ ، في الحقيقة ، رموز أفكار .

في الحياة العادية ، عديدة هي رموز ، الاحترام ، الصداقة ، الفرح ، الحزن ، إلخ ... الإنسان الذي يلقي السلام برفع قبعته وانحناء الرأس، يرمز هكذا إلى الاحترام الذي يودّ أن يظهره للإنسان الآخر المسلم عليه . المصافحة بقبضة اليد التي أصبحت تهذيباً مألوفاً ، هو رمز عاطفي ، ودّي ، إخلاص ووفاء ، أما رفضه يرمز إلى العداوة . الحب هو رمز الصداقة والمودّة والأمل تجاه شخص أو شيء ما . لماذا نرفع يدنا اليمنى عندما نقسم ، أليس هذا رمز الصدق؟ خاتم الزواج ، ألا يرمز إلى الرابط الذي هو تجاه الزوجين ؟ إلخ ...

كل البشر يفهمون معنى الرموز البسيطة والمألوفة . ولكن هناك رموز أقل شيوعاً وأكثر صعوبةً : فلسفية ، دينية ، مُساريّة . غلافها قاسٍ وبعض الأحيان صعب كسره ، ولكن عندما يتفتت الغلاف وتظهر الثمرة يصبح طعمها ألذّ !

٢. شكل خاص للاختبار المُساريّ الماسوني :

كل « مُساريّ » له شكل خاص به لاختباره المُساريّ الماسوني، مشتقّ من الاختبارات المُساريّة العملية ورابطة الحرفيين بما يخص ، من جهة فنّ البناء ، ومن جهة أخرى « الألغاز القديمة » مع أسطورة حيرام أبي .
بعض المؤلّفين الذين تطفي مخيّلاتهم على القواعد الانتقادية المتّبعة ، يؤكّدون وبدون إثباتات مقبولة ، أن الماسونية هي استمرارية جمعية فرسان الهيكل ، وبعضهم يقولون أنها تأسست بواسطة أخوية الصليب الوردي السرية (FAMA FRATERNITAS)، وبعضهم أيضاً ذهبوا بعيداً ووصلوا إلى الأساس، إلى آدم وقالوا عنه أنه أول ماسوني .
يوجد تشابه أكيد بين الرموز والطقوس الماسونية وروابط الحرف .
إن الروابط هي بالتأكيد الأولى ، ولكن لا يمكننا بدقّة تحديد الزّمن الذي انتقلت الماسونية العملية إلى النظرية . وهذا الموضوع يتطلّب بحث خاص .

إن « فنّ البناء » هو هيكل مثالي ، وهذا هو الهدف الذي تقترحه الماسونية ، وهذا الهيكل هو الإنسان في بدء الأمر ثم المجتمع . في الاختبار المُساريّ الماسوني عندما الدنيوي (PROFANE) « يتقبّل النور » يصبح مبتدئ ماسوني ، وعمله الأساسي سيقوم « بصقل الحجر الغشيم » ، ولهذا العمل أداتان ضروريتان وهما : المطرقة والإزميل . وعندما قدرته تتطوّر يصبح عندها « شغّال » وعندها يتعلّم استعمال أداة جديدة . فيما بعد يصل إلى « الأستذة » التي تعطيه الحق والواجب ليعلّم العلوم الماسونية للمبتدئين والشغّالين .

في الدرجة الأولى والثانية ، على الماسوني أن يصقل نفسه من « الحجر الغشيم » كي يصل إلى « الحجر المصقول » وعندها يمكن أن يندمج في الصرح أو بالحري في الهيكل المثالي . وهذا العمل هو إلى حدٍّ ما طويل التنفيذ ، بعضهم لا يمكنهم « صقل حجرهم الغشيم » ، ليس نقصاً بالإمكانيات ، ولكن لأنهم لا يشعرون بضرورة ذلك . هؤلاء ، مع أنهم اختبروا مُساريّاً بالطقس ، لم يكونوا قد تقبّلوا حقيقةَ النور .

وعلى هذه الفئة من « الماسونيين » ، والذين هم في الواقع ليسوا هم « ماسون » ، يبني المجتمع حكمه ، وهكذا يكونوا قد افتروا على البنائية الحرّة الذين يجهلون حقيقة عظمتها .

الشكل الخاص للاختبار المُساريّ الماسوني يُعَبَّر عنه في رموز الزاوية والبركار الذين سنبحث في رمزيتهم لاحقاً .

(راغون ، أوزوالد ويرث ، بلانتاجينيه ، بداريد ، ماريوس لوباج ، مدام جيدالج ، واد. غلودون , RAGON , OSWALD WIRTH , PLANTAGENET , BEDARRIDE , MARIUS LEPAGE , Mme. A. GADELGE , ED. GLOTON) وعدد غيرهم من المؤلّفين عملوا أقصى جهدهم ليضعوا في المرتبة الأولى دراسة الرمزية الماسونية . هم الذين شقوا لنا الطريق ، وإذ في بعض الأحيان ننتقدهم ، هذا لا يعني أننا قد أنكرنا جهودهم الحقيقية وخدماتهم للماسونية .

٣. القيمة التقليدية والباطنية للاختبار المُساريّ الماسوني :

إن الاختبار المُساريّ الماسوني كامل بحدّ ذاته ، عندما يرتقي الماسوني بالتتابع درجات المبتدئ ثم الشغّال إلى أن يصل إلى الأستاذ .

لكن المُساريّ يجب أن يقدر على تحطيم الغلاف الذهني ، أي أن يهرب من العقلنة المعقّمة لكي يبلغ السموّ لأنه لا يمكن بلوغ الاختبار المُساريّ الحقيقي إلاّ بتحطيم هذا الغلاف فقط .

كل هذه الرموز تفتح أبواباً ، بشرط ألاّ نأخذ فقط التعريفات الأخلاقية . عديدون هم الذين يعلنون عن ذواتهم أنهم « عقلانيين » والذين ينعتون بـ « الرمزيين » ، مع طابع تحقير ، الذين تقيّلوا بوعي قيمة الاختبار المُساريّ الماسوني . إنه يناسب أن يحلّ الصوت

« العقلاني » وأن يفحص الحدود التي يفرضها . إن العقلاني (من RATIO = عقل) ، يمتنع أن يأخذ بعين الاعتبار كل ما يتعدّى حدود الإدراك . إدراكه ومعرفته للعالم يتعرّض في هذه الحالة أن يتقلّص كثيراً ليكون بمستوى ذكائه ومعرفته . وهذه الوضعية الفكرية تبدو حقيقة يرثى لها .

تحديداً ، هكذا موقف يفترض أن يكون منطقي ، وذو ثقافة واسعة ، كذلك العقلاني الحالي لا يستطيع إلاّ أن يثق بالذين يعلّمون مبادئه ، وإنه يعتبر نفسه أكثر « عالم » منه . لا يقدر إذاً أن يتمسّك بالطبيعية وبالسيكولوجية (نفسانية) المعروفة . ويجب رفض كل ما يتعدى هذه القوانين مستغرباً هذا التقليص من مفهومه الكوني .

العقلاني يتباهى بأن يكون « عالم ، SCIENTIFIQUE » وهو ليس إلاّ « خاصّ بالعلمية ، SCIENTISTE » ، ويسلّم أن « العلم » يعرّف على الأشياء كما هي ، ويحلّ كل المسائل ويكتفي بإرضاء كل الرغبات والمطالب (DISIDERATA) للعقل الإنساني .

إنما العلم ليسلّم بفعل ، ويفرض أن يكون قابل التجديد عند الطلب ، ويجب أيضاً أن يدخل في إطار قوانينه العامة . لكن يوجد العديد من الظواهر التي لا تتجاوب مع هذه الشروط والتي حقيقتها ليست هي ذاتية على الإطلاق .

إن العقلاني يتجمّد في مفهومه ويعمل منه عقيدة وهكذا يتصرّف كالمتعصّب (FANATIQUE) ، وتماماً كالأوفياء لأية ديانة ، الذين لا وجود خلاص لهم خارج معطياتهم اللاّهوتية التي تخصّهم .

العلم ليس إلاّ اعتقاد مبني على فرضيات تتجدّد باستمرار ، إنه غير مجدي وخدّاع أن نطلب منه ما لا يمكن أن يعطينا وهي المعرفة الروحية . يقول الفيلسوف اليوناني (جنبليق JAMBLIQUE) « إن المعرفة أو العقل الإلهي ، (DEMYSTERiiS , II , II ,) لا يكفيان لتوحّد الله مع الأوفياء ، ، وإلاّ كانوا الفلاسفة ، بواسطة أبحاثهم التجريدية ، لحقّقوا الوحدة مع الآلهة . إنه التنفيذ الكامل والمتكامل والأسمى للعقل ، للأفعال التي يعجز عن وصفها ، إنها القوة التي لا يمكن تفسيرها للرموز التي تعطي الذكاء للأمور الإلهية » .

إذاً ، إن البنائية الحرّة هي مدرسة واقعية للاختبار المُساريّ وليس ، كما نفكّر بصورة عامة ، جمعية أخوية موجّهة نحو أهداف إلى حدٍّ ما سياسية .

إن الاختبار المُساريّ كما كانت تدركه « الجمعيات الخفية » القديمة والتي تطبّقها بعض الشيَع التي نوعاً ما تطوّرت في أفريقيا السوداء أو آسيا الغامضة ، فالاختبار المُساريّ « يفتح الأبواب » التي كانت لغاية الآن ممنوعة للمحتفى به . فضلاً عن ذلك ، إن النقل المتواصل « للقدرات » يدمج الحاصل على الاختبار إلى « الإيجريجور EGREGORE » للمجموعة (أي الكينونة أو الكائن الجماعي المشتقّ من الجماعة – وهذه الكلمة آتية من اليونانية بمعنى سَهِرَ) ، ويجعله يشترك ، بالرغم منه ، للحياة الباطنية والعميقة لجوهر الرموز .

هذا « الاختبار المُسارّيّ » الحقيقي هو واحد في الزمان والمكان وفي الطقوس ، بالرغم من أن العادات الاجتماعية والعرقية للذين يمارسونها تبقى مختلفة .

إن الاختبار المُسارّيّ الماسوني يجعل إحساس هذه الوحدة للمعرفة من خلال الشيَع والطقوس .

هل من ممكن أن نثبت بنوّة الاختبار المُسارّيّ الماسوني بواسطة وقائع دقيقة ؟ وهل يمكن أن نؤكّد أن هذه البنوّة لا وجود لها ؟

رينيه جونون (RENE GUENON) هو إيجابي للغاية ويقول : « لم يعد يوجد قط في العالم الغربي تنظيمات مُساريّة يمكنها أن تدّعي بنوّة تقليدية موثوق بها كرابطة الحرفيين والماسونية » ولكنه لم يعطِ أي برهان ودليل قاطع إلاّ الدليل النظري ليدعم أطروحته .

ألبير لانطوان (ALBERT LANTOINE) العالم بتاريخ الماسونية ، مشتبه به قليلاً في الصوفية ، يقول بموضوع تأثير الصليب الوردي على الماسونية الآتي : « فيما يخصّنا لدينا أكثر من نقاط التقاء ، هناك تداخل جعل من الماسونية القديمة ماسونية جديدة . ولا يمكننا أن نفسّر بشكل آخر كل هذه الرمزية الباطنية ... إذاً ، فإن هذه النقطة هي في غاية الأهمية لحلاّلي الرموز ، ونرى هنا التفسير الطبيعي والسهل لهذه الطقسية التي بدلاً من أن تنتقل بواسطة جمعيات متعاقبة باطنية ، كانت قد أنشأت مجددين فضوليين من الاختبارات المُساريّة .

مهما يكن ، فمثلما برهنت الحركة عن حالها بالمشي ، فالماسونية برهنت عن قيمة اختبارها المُساريّ بواسطة كافة الأجهزة الرمزية الذي تستعملها وتحافظ عليها .

الفصل الأول

الأدوات

١. الزاوية والبركار

دائماً تكون هاتان الأداتان متلازمتين في الرمزية الماسونيّة . الزاوية هي أداة ، يقول « راغون » : « من خصائصها تحويل الأجسام إلى مربّعات ، إذ معها لا يمكن صنع جسم مستدير ، فالزاوية المتدلّية على وشاح المحترم تدلّ على أن إرادة رئيس المحفل لا يمكن أن يكون لها إلاّ معنى واحد وهو أنظمة الجمعيّة ، وأن هذه الإرادة لا تتفاعل إلاّ بطريقة واحدة هي إرادة الخير » .

بواسطة التجانس الصوتي وبدون شك وعموماً الزاوية ترمز إلى العدالة EQUITÉ ، وهي مكوّنة من التقاء الخط الأفقي مع الخط العامودي (صورة رقم ١) .

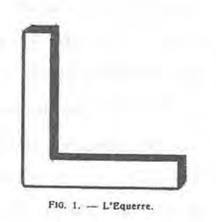


FIG. 1. — L'Equerre.

وبالنسبة « لأوزوالد ويرث » ترمز إلى التوازن الناتج عن اتحاد الإيجابي والسلبي ، لكن عدم تعادل أبعاد الزاوية يستبعد وجهة النظر هذه ، فيما حرف التاء اليوناني يستجيب بطريقة أفضل لهذا التعريف (صورة رقم ٢) .

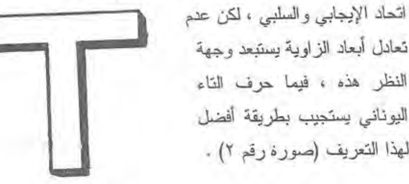


FIG. 2. — Le Tau grec.

إن التوازن هو حالة إحصائية STATISTIQUE ، بينما الزاوية ، بافتقارها إلى تعادل الأبعاد ، فيما لو افترضنا أن ضلعيها غير متساويين أو إذا ركِّزت على أحد ضلعيها ، تظهر على العكس حالة إيجابية ، ديناميكية (حيويّة) .

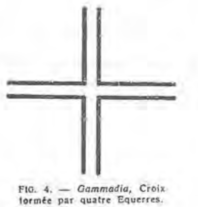
يبيّن « أوزوالد ويرث » أيضاً أن الصليب والمربع قد يعتبران مكونين من زاويتين أو أربع ، ذات أضلاع متساوية ، ومرتبطة فيما بينها إما من أعلاها أو من أطرافها (صورة رقم ٣) .



FIG. 3. — La Croix formée par deux Equerres.

ويكتب مهاجماً « جان كوتسكا » ، مدفوعاً بجنون ضدّ الماسونيّة قائلاً : « حقاً إن الزاوية هي راية ملك جهنّم الذي يتقدّم ، إنها

الزاوية الشيطانية ، إنها الصليب المعقوف ، إن الزاوية هي الجزء الرابع من الصليب . هذه الإشارة الجهنّمية تتحدّث عن نفسها ولا يعوزها من يتحدّث عنها .


FIG. 4. — *Gammadia*, Croix formée par quatre Equerres.

لقد زرع الشيطان الأربع نقاط الأصلية أجزاء صليب السيد المسيح الأربعة ، التي فكّك أوصالها ، هذا ما يعنيه شعار الاستقامة RECTITUDE الشهير (صورة رقم ٤) .

ومن المفيد الإشارة إلى أن علم التنجيم ASTROLOGIE يطلق على الزاوية القائمة وتسمى مربع أو تربيع متشكلة ما بين كوكبين ، الأمر الذي تعتبر فيه ذو تأثير سيئ . والزاوية تعود قولاً إلى « المادة المطلقة » ، وترمز إليها ، وتعيد تصحيحها وتأمرها .

إن تنظيم الفوضى لا يحدث دون صعوبات ، ومن جهة ثانية إن المربّع في علم التنجيم ليس حتى ولو كان متنافراً هو بعيد ليكون له تأثيره السيئ ، لأنه غالباً ما يكون دلالة على نشاط متطرّف غير اعتيادي ، وعلى خلل في التوازن . وفي معنى آخر تشير الزاوية إلى عمل الإنسان على « المادة » وأيضاً تشير إلى « عمله على نفسه » . وفيما تعود به المادة : الزاوية هي سلبية ، بينما البركار إيجابي ، وهو يشير إلى الروح ، كما سنرى ذلك لاحقاً .

يحمل المحترم الزاوية كجوهرة BIJOU (حليّة) متدلّية من وشاحه المتصلب . وفي هذه الزاوية ضلعاها غير متساويين ، بل هما بنسبة ثلاثة إلى أربعة (صورة رقم ٥) .

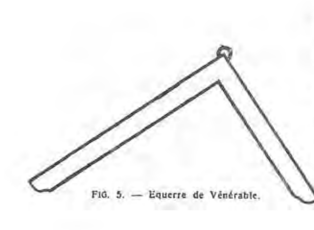


FIG. 5. — Equerre de Vénérable.

على صدر المحترم تتدلى الزاوية وضلعها الأطول إلى اليمين ، كإشارة على تغليب الإيجابية (ناحية اليمين) على السلبية (ناحية اليسار) وجوهرة (حليّة) محترمي الشرف (المحترمين السابقين) ، هي شبيهة ، لكنها تحمل ما بين ضلعي الزاوية برهنة DÉMONSTRATION نظرية بيتاغور (صورة رقم ٦) .

FIG. 6. — Equerre de Vénérable d'Honneur.

وهذا يرمز بوضوح إلى العلم للمعرفة الماسونية التي يجب أن يملكها من يحملها . لذلك دور المحترم هو تأسيس (تحضير) ماسونيين

مكتملين ، لذلك يحمل الزاوية ، علامة الاستقامة ، والأداة الضرورية لتطوير الحجر الخام إلى مجسّم سداسي السطوح كامل ، (أي حجر مكعّب) . إن الماسونيين المدربين حسب الأصول ، يستطيعون فيما بعد الاشتراك في بناء الهيكل المثالي ، الذين يشكّلون هم نفسهم حجارته المصقولة . وهكذا يصبحون بالوقت نفسه إيجابيّين وسلبيّين ، مكوّنين ومنشئين .

ونشير أيضاً إلى أن الزاوية هي حرف غامّا اليونانية ، والصليب الذي يتألف من أربعة أحرف غامّا هو صليب غامّي ، وقد صوّر على كثير من الألبسة والمزخرفات الدينيّة (صورة رقم ٧) .

FIG. 7.
Gamma grec.

والزاوية في الرمزية الفيتاغورية هي علامة ، للتوازن والمعرفة ، ومثال هذين الأمرين هو الزاوية بالذات ، علماً أنها ممكنة عند فيتاغور بأشكال شتى منها المثلثات والمربعات والمستطيلات والمنحرفات ، والمتعددات الأضلاع (صورة رقم ٨) .

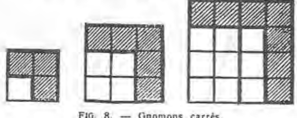


FIG. 8. — Gnomons carrés.

تلك هي معاني الزاوية بصورة عامة ، ولا ندّعي أننا استنفذنا كامل رمزيتّها .

∴

- البركار هو من أقدم الأدوات التي اخترعها الإنسان بعدما تكوّنت لديه فكرة الدائرة . ويفيد في رسم الدوائر كما في اتخاذ وتعديل المقاييس . وهو مؤلّف من قسمين يتحركان انطلاقاً من محور يجمعها .

  « ويقول راغون أنه مع البركار يمكن وصف الدوائر ، الذي يحدّد بوضوح نقطة مركزها ، وقيمة شعاعها وقطرها . وبصورة عقلية البركار هو صورة الفكر في مختلف الدوائر التي يقطعها ، فابتعاد قسميه وتقاربهما يصوران مختلف أشكال التفكير ، التي وفقاً للظروف يجب أن تكون غزيرة وموسّعة ، أو محددة ومقتضبة ، لكنها في جميع الأحوال واضحة ومقنعة » .

ويلاحظ ويرث أن البركار يقدّم شعوراً بزمن لا ينتهي لكنه محدود في المكان . والبركار هو أيضاً رمز للنسبية وهو يذكّر بالإنسان ذي الرأس والمساعدين اللذين يمتدّان (يبتعدان) وفقاً للإرادة (صورة رقم ٩) .



FIG. 11. — Le Compas.

ففي امتدادهما الأكبر يقاس المدى الذي يمكن أن تصل إليه العبقرية الإنسانية وما يمكن معرفته ، وأبعد من ذلك يمتدّ الاتساع الغير محدود والغامض للذي لم يكتشف بعد والذي هو وقتياً غير معروف PROVISOIREMENT INCONNAISSABLE .

وأخيراً يوضح قاموس GÉDALGE أن الدائرة المركّزة في نقطة هي الصورة الأولى التي نرسمها بمساعدة البركار . هذه الصورة هي شعار الشمس المثالية لأنها تدمج ما بين الدائرة اللاّمنتهية مع النقطة رمز بداية كل ظاهرة . ويضيف ، إن المطلق والنسبي سيتواجدان في فعل البركار الذي يقدّم الصورة الثنائية بقسميه وصورة الاتحاد برأسه .

∴

الزاوية هي أداة ثابتة والبركار هو أداة متحرّكة ، الأولى سلبية والثانية إيجابية (صورة رقم ١٢) .

تبيّن صورة معاهدة « لازوت لبازيل فالنتين L'AZOTH DE BASILE VELANTIN » الذراع الأيمن ممسك بالبركار ، والذراع الأيسر ممسك بالزاوية .



FIG. 12. — Le « Rebis » de Basile Valentin.

وتاريخ هذه الصورة يعود إلى العام ١٦٥٩ ، أي أنها سابقة على التاريخ المعتمد لإنشاء البنائية الحرّة ، وهو كما حدّد تعسّفياً ARBITRAIREMENT بسنة ١٧١٧ . يدل رأسي البركار عند طرفيه هيمنته على المادة ، طالما أن هذين الطرفين لا يصلان إلى ماية وثمانين درجة ، إذ يصبح البركار عند الدرجة الأخيرة خطاً ولا يتمتّع بأي إمكانية فعلية .

في درجة الأستاذ يجب أن يفتح البركار ٤٥ درجة ، أي نصف زاوية قائمة ، في هذه الدرجة يبقى الانفتاح ثابتاً ولا يتعرّض فجأة للتغيير طيلة فترة الرسم . ويفتح ٦٠ درجة في جوهرة (حلية) الدرجة الخامسة (الطقس الإيكوسي) ، ويفتح ٩٠ درجة في جوهرة (حلية) الدرجات الرابعة عشرة والثامنة عشرة . ونراه ملتصقاً بالزاوية في الدرجة التاسعة والعشرين فيصبح البركار زاوية صحيحة (صور رقم ١٣ – ١٤ – ١٥) .

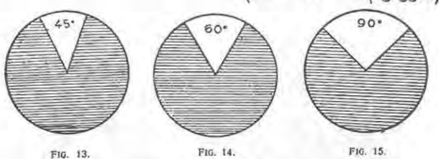


FIG. 13. FIG. 14. FIG. 15.

Les secteurs de la connaissance.

إذا ما اعتمدنا فتح البركار كدلالة على إمكانية المعرفة ، فتعود ٤٥° إلى الثمن و ٦٠° إلى درجة السدس و ٩٠° إلى الربع . وبتحديد فتح

البركار تسعين درجة على الأكثر إنّما تدلّ الماسونية بذلك على عدم إمكانية الإنسان لتجاوز هذه الحدود ، لأن الزاوية المؤلّفة من تسعين درجة تتطابق مع « الزاوية » ، التي هي رمزّ للمادة ، بينما البركار هو رمز للروح ولسلطتها على المادة . فعندما يفتح البركار ٤٥° ، تكون الإشارة واضحة إلى أن المادة ليست مسيطر عليها كاملةً ، وفتحه ٩٠° يحقّق التوازن الكامل بين القوتين ، ويضحى البركار « زاوية مستقيمة » .

سنكتفي من ذلك برمزية الدرجات الثلاث الأولى في الماسونية ، وهي درجات أساسية وكاملة ، يفتح فيها البركار فقط ٤٥° .

يوضع البركار والزاوية على المحراب داخل المحفل بثلاثة أشكال مختلفة .

في الدرجة الأولى : الزاوية فوق البركار (صورة رقم ١٦)
في الدرجة الثانية : الزاوية متشابكة مع البركار (صورة رقم ١٧)
في الدرجة الثالثة : الزاوية تحت البركار (صورة رقم ١٨)


FIG. 18. — Le Compas sur l'Equerre.


FIG. 17. — Le Compas et l'Equerre entrecroisés.


FIG. 16. — L'Equerre sur le Compas.

وبالإشارة إلى أهمية هذا التعديل القديم ، يقول « بلانتاجينيه » « PLANTAGENET » : « في درجة المبتدئين تغطي الزاوية قسمي البركار ، وذلك كدلالة على أنه لا يمكن طلب أي شيء من طالب التدرّج إلاّ الثقة والإخلاص ، كنتائج طبيعيّة للاستقامة . وفي درجة رفيق ، يغطي أحد طرفي البركار الزاوية ، مما يسمح لنا اعتبار أن الطالب لا يتابع وظيفته بصورة عمياء ، وأخلاقية هذا الرمز هي الإخلاص والبصيرة . وفي درجة الأستاذ تظهر الزاوية تحت البركار مما يخولنا صياغة وحكمة الدرجة الثالثة بالبصيرة والعدل » .

كغالبية المؤلفين الماسونيين إرادياً أم لا ، لا يرتفع « بلانتاجينيه » « PLANTAGENET » إلى المطلق في الرمزيات ، بل يبقى مقتصراً على المعنى الخلقي ، وهو يضيّق بذلك إمكانيات الرمزية الميتافيزيقية ، أي ما ورائيات الرموز .

نعود كي نكرّر أن البركار يرمز إلى الروح ، والزاوية إلى المادة ، مما يستتبع القول أن المادة تكون مهيمنة على الروح في الدرجة الأولى وتتعادل هاتان القوتان في الدرجة الثانية وفي الثالثة تعلو الروح على المادة وتتجاوزها . كما لا ننسى أن فتح البركار فقط ٤٥° يشير إلى أن هيمنة الروح على المادة ليست إلاّ نسبيّاً .

يشار بشكل من الأشكال إلى أن تتشابك الزوايا يعود إلى خاتم سليمان، الذي عادة هو نجمة من ستة أقسام مركّبة من مثلثين متساويي الأضلاع ومتشابكين .

إنها صورة مغلقة فيما صورة رمزنا هي مفتوحة ، لكونها مؤلّفة من زاويتين وليس من مثلّثين ، فتعطي فكرة عن اللامحدود (صورة رقم ١٩) .

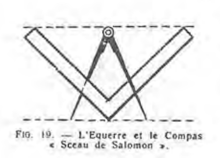


FIG. 19. — L'Equerre et le Compas « Sceau de Salomon ».

وتصور الروح والمادة والتي لا يمكن معرفتهما بحرفي X مجموعين إلى بعضهما (صورة رقم ٢٠) .

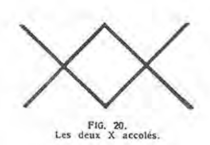


FIG. 20.
Les deux X accolés.

من المفيد أن نقارب بين رمزنا وبين رمز جماعة « السلبوسيين » في القرن السابع عشر ، الذي يقول عنه المونسنيور « باربيه دو مونتول BARBIER DE MONTAULT » إنه حرف M معقّد بحرف A يعطي اسم ماري ، بينما أطراف حرف M إذا ما أضيف إليها نقطة ، ، تشكّل الأسماء الأولى ليسوع ولجوزف والعائلة المقدّسة JESUS هي بالكامل هنا .

ويقرأ بعض المؤلّفين الكلمة المقدّسة الهنديّة (AUM) أوم ، في الاسم المختصر للعذراء لكننا نحمّلهم مسؤولية تفسيره (صورة رقم ٢١) .

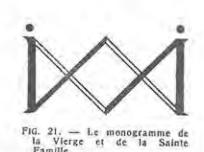


FIG. 21. — Le monogramme de la Vierge et de la Sainte Famille.

في درجة الأستاذ ، وبصورة عامة في الماسونية يجب أن يوضع البركار على الزاوية ، ولا يتشابك معها . قد يكون التشابك أكثر زخرفة ، ولكنه يتوجّب على الذوق والزخرفة ألاّ يؤدّيان إلى استبعاد المعنى الحقيقي للرمز . وفي محفل المبتدئين ، في درجة افتتاح الأعمال ، يجب أن نهمل وضع الزاوية فوق البركار .

ويستعمل البركار لدى التكريس في الدرجة الأولى ، إذ يوضع طرف أحد قسمي البركار على صدر طالب التكريس وهو يمسك به بيده اليسرى في الوقت الذي يؤدّي فيه القسم الذي يربطه بالماسونية . وهذا ما يشرحه « راغون » بالقول أن طرف البركار على الصدر العاري ، مركز الضمير ، يجب أن يذكّره بحياته السابقة ، التي كانت تصرفاته ونظراته خلالها غير منتظمة وفق رمز الدقة ، الذي من الآن فصاعداً سيتحكّم بأفكاره وأعماله .

وطالب التكريس في هذه الدرجة لا يزال يجهل استعمال البركار بصورة رمزية ، لأن القصد من وضع البركار فوق الإحساس ، هو الإشارة إلى الروح ، ليس وضع العقل الجاف والبارد ، بل وضع الروح التكريسية بكل تساميها ومفارقتها .

والشعاع المحدد من قبل البركار لا ينطلق من المركز نحو الأطراف الخارجية ، بل ١١ – ٢ ... ، من الخارج ليصل إلى المركز ثم ليخترق طالب التكريس (صورة رقم ٢٢) .

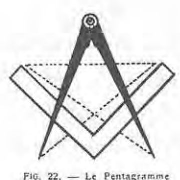


FIG. 22. — Le Pentagramme dans le Compas et l'Equerre.

٢. المطرقة والإزميل

تستعمل هاتان الآلتان لتهذيب (DEGROSSIR) الحجر الخام ، ويعود استعمالهما بوجه خاص إلى درجة المبتدئ . والمطرقة هي من الدلالات الرئيسية للمحترم ، ولمنبّهي المحفل ، لذا يتوجّب درسها من حيث وظائفها وخصائصها (صورة رقم ٢٣) .

المطرقة والإزميل هما كالبركار والزاوية ، الأول إيجابي والثاني سلبي .

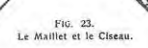


FIG. 23.
Le Maillet et le Ciseau.

يقول « راغون RAGON » : لأن المطرقة هي شعار العمل والقوة المادية ، فتساعد على تخطي الحواجز والموانع لتجاوز المصاعب ، بينما الإزميل هو شعار النحت وفنّ العمارة والفنون الجميلة ، قد يكون استعماله شبه معدوماً بدون المطرقة ، فيتعاونان في سبيل هدف واحد من حيث العلاقة الفكرية فيما بينهما ، لأن المطرقة ، شعار المنطق ، الذي بدونه لا يمكن التفكير بشكل صحيح ، ولا يمكن أن يتجاوزه أي علم ، هي بحاجة إلى الإزميل الذي يستوعب البراهين والأدلة كأكبر مساعد لمغلطات الخطأ (SOPHISMES DE L'ERREUR) . من هنا نستنتج أن هذين الرمزين يمثّلان الفنون الجميلة وعدّة مهن صناعية ، حرفيّة ومنطقية لجعل الإنسان مستقلاً في جميع عناصره الأساسية .

ويتابع « بلانتاجينيه PLANTAGENET » قوله أن المطرقة هي رمز الذكاء ، الذي يفعل ويواظب (PERSÉVÈRE) ، يوجّه الفكر وينشّط ويحرّك التأمل الذي يبحث في قرارة وعيه عن الحقيقة . وفي وجهة النظر ، فإن المطرقة متلازمة مع الإزميل الذي يمثّل البصيرة والذي بدونه يبقى الجهد لا قيمة له إن لم يكن حتى خطيراً .

إن ضعف (MÉDIOCRITÉ) تفسيرات « راغون وبلانتاجينيه RAGON ET PLANTAGENET » بادية لكلّ فرد ، لأن هذين المؤلّفين لم يتوصّلا إلى كل ما ينطوي عليه هذا الرمز (صورة رقم ٢٤) .



FIG. 24. — *Sucellos*, le dieu au marteau.

« أوزوالد ويرث OSWALD WIRTH » هو أكثر وضوحاً وأقرب إلى الحقيقة عندما يقول : آلتان هما ضروريتان (لتهذيب الحجر الخام) ، الأولى تمثّل القرارات الصادرة من عقلنا : وهي إزميل الفولاذ الذي ينصب على الحجر ممسوكاً باليد اليسرى ، « الجانب السلبي » وتتناسب مع إمكانية الالتقاط الفكري ومع البصيرة المجردة . الثانية تمثّل إرادة التنفيذ ، إنها المطرقة علامة القيادة والأمر ، وهي ممسوكة باليد اليمنى ، « الجانب الإيجابي » ، وتعود إلى الطاقة الفاعلة والحتمية الأخلاقية ، اللتان تؤديان إلى الإنجاز التطبيقي .

∴

ويضيف « ويرث WIRTH » مركّزاً على الأصل الجرماني للمطرقة بالقول : إن الأهمية التي نوليها للمطرقة يمكن أن تعود إلى الآلهة « دونار DONAR » ، وهو شبيه « جوبيتار JUPITER » بالتالي يصبح كل ربّ عائلة كاهناً داخل منزله ، حيث لا تطبّق الطقوس العائلية إلاّ بواسطة المطرقة .

.وأحد الآلهة من أصل « سلتي » باسم « سوكلّوس SUCELLOS » ومن أهم مميزاته إمساكه بمطرقة ضخمة وقد يعني اسم هذا الإله « من يضرب جيداً أو من لديه مطرقة جيدة » .

ويعرف الإله الاسكندنافي « تور THôR » ، إله الصاعقة ، بأنه كان يحمل مطرقة . « تور THôR » وهي كلمة مختصرة بكلمة

« تونار » وتعني الرّعد . كان « تور THôR » معروف بإله الخير، صديق للمزارعين وحاميهم ، لأنه يعتقد أن للعاصفة تأثيراً نافعاً على خصوبة الأرض .

إن الإلهين ، SUCELLOS وTHôR قد يكونان مقربان من الإله « زوس ZEUS » اليوناني (عند الرومان جوبيتير) والذي علامته الهيروغليفية هي الخط المتعرّج للبرق (صورة رقم ٢٥) .


FIG. 25. — Le signe de Jupiter et l'éclair.

إن شكل المطرقة هو حرف التاء اليوناني ، وهي عادة من خشب الشمشاد يختار لصلابته وقوته . ويلحظ الأب « كوربله CORBLET » أن خشب الشمشاد هو رمز الثبات والمثابرة (PERSÉVÉRANCE) . وفي بعض المرات تصنع مطارق من العاج وتهدى للمحترمين في بعض المناسبات ، لأن العاج يرمز في غالبية الأحيان إلى الطهارة والنقاء .

أحياناً تطلى المطارق الماسونية بالسواد ، وتتشابه بذلك مع خشب الإبنوس ، الذي هو خشب سريع الكسر ، لا يستخدم أبداً في صنع الأدوات .

لماذا لا يُستعمل ببساطة خشب الشمشاد مع ترك لونه الطبيعي ؟

∴

عند افتتاح أعمال محفل ما ، يسير المنبّهان وهما مسلّحان بالمطرقة ، التي يجب إمساكها باليد اليمنى وضمّها على الكتف الأيسر . في هذه الوضعية يؤدّي المنبّهان علامة الزاوية . من الخطأ حمل المطرقة باليد اليسرى وضمّها إلى الكتف الأيسر وأداء « علامة المبتدئ » باليد اليمنى . وننبّه إلى أنه يجب وضع الأخوة بالتتابع « بانتظام » على التوالي عندما يتقدّم المنبّهان من أمامهم ، وليس دفعة واحدة ، كما يحدث في الغالب . في هذا الوقت على الأخوة أن يتّجهوا نحو « الشرق » ، نحو المحترم ، وهكذا لا يمكنهم أن يروا العلامة المعطاة من الذي واقف ورائهم . هذا التقليد يسمح بالكشف فوراً على الغريب عن الجماعة الذي قد يكون اندسّ في الاجتماع حيث يحقّ للمنبّه أن يحكم عليه بأي عقوبة قاسية ، وهو يمسك مطرقته بيده اليمنى ، إن رأى ذلك نافعاً وضرورياً .

من الواضح جداً أنه بأيامنا هذه ، لم يعد الأمر إلاّ تقليداً ، ولكن من الواجب احترامها بحذافيرها ، وإذا وقف المنبّهان بانتظام بدرجة المبتدئ ويعطيان الإشارة التي يجب أن تعطى ، تصبح رحلتهما غير مفيدة . حتى الأخوة إذا انتظموا جميعاً في نفس الوقت يبقى على أيّ غريب عن الجماعة أن يقلّد حركاتهم بسهولة ، وأنه بواسطة تحريفات من هذا النوع نصل إلى خداع غير مجدي وهكذا تصبح الطقوس غير مفهومة .

∴

ترمز المطرقة إلى إرادة المبتدئ الإيجابية ، وليست مجرّد كتلة معدنية ثقيلة وقاسية ، لأنه يجب أن لا تكن الإرادة إصراراً وعناداً، بل فقط حازمة ومثابرة . لكن لا يستطيع الإنسان أن يؤثر مباشرة على المادة ، من هنا دور الإزميل هو كوسيط ، دائماً . والإزميل يجب دائماً سنّهُ ، أي عليه دائماً إعادة النظر بالمعارف المكتسبة ولا يترك نفسه يضعف (S'ÉMOUSSER) . وبالتالي يجب استخدام هذه المعارف المكتسبة وإلاّ بقي الفكر سلبياً ، كالإزميل لم يستخدم .

تفعل المطرقة فعلها بصورة متقطّعة ، مما يبيّن أن المجهود لا يمكن متابعته بدون انقطاع ، وأن ضغطاً مستمرّاً على الإزميل يضيّع دقّة العمل . ومن الرموز الأخرى : ترمز المطرقة إلى السلطة ، وهي

بين يدي المحترم والمنبّهين ، وتستخدم لإحداث تموّجات صوتية منتظمة .

تجدر الإشارة إلى أنه يتمّ استقبال أصحاب الرُتب بالمطارق الضاربة أي بضربات متتالية بالتناوب ومنتظمة من قبل المحترم ، ثم من قبل المنبّه الأول ومن ثم الثاني . هذه « الضجة » على وتيرة واحدة ومنظمة تحقق السكوت الكامل ، لأنها تلقى كل عفويّة .

٣. الشاقول و « مقياس التسوية NIVEAU »

إن الشاقول ومقياس التسوية يعطيان على التوالي العامودي والأفقي، كما يتواجد فيهما الإيجابي والسلبي ، طرفي الأقطاب الكونية ، وفي أحدهما الحركة والفعل وفي الآخر الجمود والسكون ، ويتناسبان مع « راجاس وتماس ، RAJAS ET TAMAS » الهندوسيين ، هذين القطبين المتضادين الذين يكونان اللّعبة المتبادلة التي تكيّف الحياة الكونيّة ، كالشهيق والزفير عند البراهما ، وكالحسنين الذين يصنعان الحياة (صورة رقم ٢٦) .

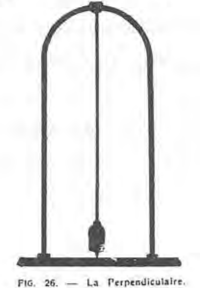


FIG. 26. — La Perpendiculaire.

العامودي هو الشاقول ، ويتمثّل في الماسونية مثبتاً على قوس ، فيما مقياس التسوية في الماسونية هو مثلّث يثبّت على زاويته شاقول ونفضّل استعمال التسمية التقليدية PERPENDICULAIRE العامودي على A FIL PLOMB الشاقول (صورة رقم ٢٧) .



FIG. 27. — Le Niveau.

يتألّف مقياس التسوية في الرمزية الماسونية من زاوية صحيحة أي عند أعلاها الزاوية يجب أن تكون ٩٠° درجة . الشاقول هو من خصائص المنبّه الثاني ومقياس التسوية من خصائص المنبّه الأول .

ويوضح « راغون RAGON » : « إن مقياس التسوية يرمز إلى المساواة الاجتماعية ، قاعدة القانون الطبيعي ، وأن الشاقول يعني بأنه على الماسوني امتلاك الدقة في الحكم ، وأن المصلحة الفردية أو العائلية لا يجب أن تؤثّر عليه .

بالنسبة إلى « بلانتاجينيه PLANTAGENET » ، يرمز مقياس التسوية إلى المساواة البدائية ، لكنه لا يستتبع بأي معنىً كان إلى المعادلة بين القيم ، ويذكرنا بأنه يتوجّب علينا اعتبار كلّ الأشياء بالسكينة ذاتها . يرى « ويرث WIRTH » أخيراً ، إن شكل مقياس التسوية يذكّره بالعلامة الكيميائية القديمة للكبريت ، السبب لتغذية

احتراق النار الوسطية لكلّ مركز نشاط . لذا المنبّه الأول هو الحارس لهذا النشاط ، وعليه تغذيته كلّما هدأ . والمنبّه الثاني يتعارض مع الأول بليونته ، فيتفهّم كلّ شيء ويعذر ما يقبل عذراً . والمبتدئ مرغم أن يعترف بهقوته بثقة إلى المنبّه الثاني متكهّن أن كلّ خطأ يصحّح تحت رعاية الشاقول ، هذه الأداة تحدّد الاتجاه العامودي الذي عليه يسترعي الفكر للهبوط والارتفاع .


Fig. 28. — Le Soufre.

وفي التعمّق بذلك ، نكتشف أخطاءنا بأنفسنا ، وبالارتفاع فوق مستوى العامة نسامح نواقص الآخرين .
(صورة رقم ٢٨) .

« جدالج GÉDALGE » تقول عن الشاقول : هو يعمّق الشعار للبحث عن الحقيقة والاعتدال والتوازن ، ويرشد إلى الطريق التي توصل إلى « غرفة الوسط » . مع مقياس التسوية والزاوية ، يعطي الشاقول بناءً صحيحاً لجدران الهيكل ، ويمكننا أن نرى الشاقول ، كما تقول ، تُنحت تحت العين الإلهية وفوق « الديميورج DEMIURGE » (وهذا الاسم أعطي من قبل سقراط وأفلاطون لمنسّق العالم ، المختلف عن الله ، العقل الصرف) . والعامل الحدّاد، والمعماري للآلهة ، وفي كهف « وسوكرمان

VISWAKARMANE » في المحفل تحت الأرض في « إلّورا ELLORA » في الهند . (أحداث فنّ العمارة في الهند تحت الأرض في القرن الثامن ميلادي) .

∴

قد نفاجأ لدى النظرة الأولى بأن الشاقول (رمز إيجابي) من خصائص المنبّه الثاني ، ومقياس التسوية (رمز سلبي) من خصائص المنبّه الأول . في الواقع يدلّ (مقياس التسوية على الأفقية، لكنه مزوّد بالشاقول ، لذا هو آلة أكثر اكتمالاً من الشاقول نفسه ، ولذلك هو علامة المنبّه الأول الذي له الصفة فقط أن يحلّ محلّ المحترم عندما يغيب هذا الأخير .

ليس مقياس التسوية فقط هو الأفقية ، بل أيضاً هو الصليب باجتماع الأفقي والعمودي . الشاقول يعطي الاتجاه نحو مركز الأرض ، ومقياس التسوية يعطي الخط المستقيم ويكوّن زاوية في نقطة معيّنة مع الشاقول . الشاقول هو رمز أعماق المعرفة والاستقامة فيستدرك كل انحراف ، فيما مقياس التسوية يبيّن بأن المعرفة يجب أن تتطابق مع « مستوى الأرض » ، المستوى الوحيد الذي يهتم له الإنسان مباشرة . على الماسوني أن يتكلّم عن القواعد الثابتة والموطدة جيداً وأن يعمل من خلالها لكي يتمكّن من الارتقاء الروحي .

∴

في بعض الأحيان يحاولون إعطاء مقياس التسوية صفة « المساواة » ، التي تبدو أنها خدعة كبيرة كما تبيّنها الطبيعة ، لأن الناس ليسوا متساويين لا جسدياً ولا فكرياً . ففي الأقوال التي أوردناها يتحدّث « راغون » عن « مساواة اجتماعية » فيما « بلانتاجينيه PLANTAGENET » يقول أن المساواة لا تشمل مساواة المزايا . هذا المؤلّف الأخير يقف جيداً على استحالة فكرة العدالة بالمطلق . كذلك الأمر ، تلاحظ هذه المحدودية الأخلاقية التي تُفرض على الرموز الماسونية ، يجب أن نرتفع أبعد وأعلى ، لأن الأخلاق هي دائماً نسبية وخاصة ، تتغير وفق الأمكنة والحقبات والمجموعات ، بينما المعرفة المتأتية من التكريس يجب أن تحلّ محلّ الأخلاق ، وتنحو نحو المطلق .

كتب « باسكال PASCAL » : « الأخلاق الصحيحة تسخر من الأخلاق » . والماسونية هي شيء آخر عن مدرسة أخلاقية . إن المكرسين الصادقين يظهرون ما بين العامة ليس كمراجع في صفات الماسونيين ، بل بتصرّفاتهم التي تكون شكلاً من أشكال « شعاع المعرفة » .

∴

عندما يصبح المبتدئ شغّالاً ، يقال له انتقل من الشاقول إلى مقياس التسوية ، بمعنى أنه عمّق عناصر المعرفة بكفاءة وأصبح قادراً على

مواجهة هذه المعرفة بعلاقتها مع هذه الدنيا ومع الكون . وهذه العلاقات محدّدة بالمثلّث الذي يكوّنه هيكل مقياس التسوية .

٤. المسطرة والمُخل

إن أهمية رمزية المسطرة ملحوظة في الطقس الإيكوسي ، حيث نجدها في ثلاث رحلات المحتفى به ، المرشّح لدرجة شغّال ، هناك اختلافات ظاهرة بين مختلف الطقوس ، فيما يخصّ موضوع صفات الأدوات في الرحلات الخمس لتكريس الدرجة الثانية .

إليكم جدول للمقارنة :

رحلات	طقس إيكوسي	طقس فرنسي	حقّ الإنسان
الأولى	مطرقة – إزميل	مطرقة – إزميل	مطرقة – إزميل
الثانية	مسطرة – بركار	زاوية – بركار	زاوية – بركار
الثالثة	مسطرة – مُخل	مسطرة – مُخل	مسطرة – مقياس التسوية
الرابعة	مسطرة – زاوية	مقياس التسوية	بركار – كتاب نظام المحفل
الخامسة	الأيدي الحرّة	مالج	الأيدي الحرّة

إن اتّفاق مختلف الطقوس ليس متحقّقاً إلاّ في الرحلة الأولى بواسطة المطرقة والإزميل ، ويتابع « راغون RAGON » الطقس الإيكوسي في طقسه للشغّال ، وكذلك يذكر « ويرث » في كتابه للشغّال ، ولا يشير للتباين بين الطقوس الإيكوسية والفرنسية .

يظهر أنه ساد بعض الغموض في تكريس الشغّال إذ المسطرة هي الصفة الأساسية للشغّال بالنسبة للطقس الإيكوسي . يقول « راغون » : « إن المسطرة ترمز إلى الكمال ، إذ لولاها لكانت البراعة مغامرة ، ولكانت الفنون مختلّة . والعلوم قدّمت أنظمة غير متناسقة ومنسجمة ، وأضحى المنطق متقلّب في الرأي ومتشرّد ، والتشريع استنسابي وقامع ، والموسيقى غير متناسقة ، ولأصبحت الفلسفة الما ورائية غامضة ، وخسرت العلوم وعيها » .

وتحدّد « جدالج »المسطرة بالتالي : « إنها رمز استقامة الطريقة والقانون . فالإله المصري « فتّاح » كان يلتقط بيديه المسطرة التي بها يقيس فيضان النيل و « فتّاح » هو نفسه ممثّل بمقياس النيل . والمسطرة بيد أحد المساعدين لـ « فيسوا كارمان VISWA KARMAN » (لمذبح مغاور اللّورا في الهند) . وفي الماسونية تطرّز المسطرة على وشاح الخبير مع العين الإلهية والسيف . والمبتدئ يحملها على كتفه الأيسر عندما يتقدّم إلى محفل الشغّالين . والمسطرة مضمومة إلى البركار تسمح برسم كلّ الرّسوم الهندسية ،

ويمكن أن تعتبر كرمز للاّنهاية ، لأن الخط المستقيم (لا بداية له ولا نهاية) وأخيراً ، المسطرة هي رمز الأخلاقية والواجب ، اللّذان لا تحيد عنهما الماسونية .

يتقدّم المبتدئ وهو في الواقع يحمل مسطرة ملساء على كتفه الأيسر (الجانب السلبي) ، فعندما يصبح شغّالاً ، يتوجّب عليه حمل مسطرة مرقّمة على الكتف الأيمن (الجانب الإيجابي) . المسطرة المرقّمة تقسّم إلى أربعة وعشرين جزءاً ، وتسمّى عندئذٍ مسطرة الأربع والعشرين وحدة ، وذلك تطابقاً مع تقسيمات الأربع والعشرين ساعة، التي يجب استعمال كلّ الساعات بطريقة ملائمة .

المسطرة والزاوية يسمحان فقط برسم أشكال مستقيمة ، المسطرة والبركار يخوّلان ، وكما تقول « جدالج » سابقاً ، رسم كل الأشكال الهندسية . يظهر أنه قد خلط ما بين النظري والتطبيقي في طقس التكريس لدرجة شغّال ، فقبل تشييد أي بناء ، يجب رسم تصاميمه ، وهذا يجب أن يكون الأمر بالنسبة إلى الدرجة الثانية ، فلنفكّر وبناءً عليه نسير :

في الرحلة الأولى :

مطرقة وإزميل ، مذكّرين طالب التكريس ما سبق وتعلّمه . وذلك بإتباع الطقوس المستخدمة عادةً في رمزية المطرقة والإزميل ، مع

العلم أن « بلانتاجينية » يلاحظ أن هاتين الأداتين لا تتوافقان إلاّ مع درجة مبتدئ في فرنسا فقط ، وفي ما عداها يستعمل « البوشارد » في نحت الحجر الخام ، (بوشارد هو نوع من مطرقة حادّة الرأس يستخدمها أصحاب المقالع) .

في الرحلة الثانية :

المسطرة والبركار يرمزان إلى المعارف الهندسية الضرورية لرسم تصاميم الأبنية .

في الرحلة الثالثة :

المسطرة ومقياس التسوية ، والشاقول والمُخل ، هي جميعاً ضرورية لوضع الحجارة في موضعها في البناء .

في الرحلة الرابعة :

المسطرة والزاوية هما ضروريتان للتأكيد من صحّة العمل المنجز .

في الرحلة الخامسة :

المالج ينهي العمل المتقن .

هكذا تواجدت كلّ الأدوات الرمزية ، وقدّمت بتتابع منطقي ، فيأخذ التكريس في الدرجة الثانية معنى لم يكن سابقاً . لذلك يتوجّب تغيير الطقس في الدرجة الثانية ، ويتوجّب إزالة عدم التناسق و « بدائيتها » .

عند اختتام الرحلات الخمس ، يعطى الشغّال المسطرة المرقّمة كرمز للقياس والدّقة ، اللّذان عليه استخدامهما في كل شيء .

∴

المسطرة والمُخل هما متشابهان ، لتشكيلهما أساساً من خط مستقيم ، إنما المسطرة تعود إلى الروح والمُخل إلى المادة .

المُخل هو كالإزميل مجرّد وسيط « سلبي » لا يصبح إيجابياً إلاّ بالقدرة التي يمكن استعمالها . إذاً ، هو جامد بذاته ويتماشى مع المعرفة التي لا تصبح مُساريّة إلاّ بالحالة التي يصبح مالكها مكرّساً، (أي قادراً على الاستيعاب) . عندئذٍ يصبح المُخل قوّة وفيرة ، وخطرة ، لذلك لا يجب أن يُعرّف عنه إلاّ بمراقبة المسطرة ومقياس التسوية والشاقول .

٥. المالج

يلاحظ « ويرث » ، الشغوف بالتشبيهات الشكلية السهلة ، أن المالج يعطي عادةً شكلاً مثلّثاً يتناسب مع رمز الكيمياء القديمة للكبريت ، ومع ذلك كتب : « إن هذه الأداة تستخدم في جبل الطين للصق حجارة البناء وتحقيق وحدتها . المالج يجمع ويدمج ويوحّد . إنه شعار البصيرة المنوّرة والأخوّة الكونية ، والتسامح الواسع الكبير الذي يميّز الماسوني الحقيقي » .

كتب « بلانتاجينيه » : « إن المالج هو رمز الحب الأخوي الذي يجب أن يوحّد بين كل الماسونيين ، وأنه اللاّصق الوحيد الذي يمكن للعمّال أن يستخدموه في بناء الهيكل . وإنه مهما طالت مدّته في درجته ، حتى لو كان شغوفاً ، مواظباً ومتحمّساً ، لا يستحق أية زيادة أجر ما لم يعِ أن عمله يجب أن يكتمل » .

لقد أعطى الطقس الفرنسي حقّه للمالج في الرحلة الخامسة من التكريس في درجة رفيق ، لأنه فعلاً لا يمكن اعتبار أي عمل مكتمل الإنجاز إلاّ بمرور المالج .

مما يؤسف له أن الطقس الإيكوسي لا يتضمّن رمزاً للمالج ، ونضيف أن عبارة « دع المالج يمرّ » تعني نسيان الإساءات والاعتداءات (صورة رقم ٢٧) .

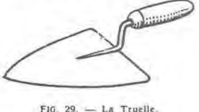


FIG. 29. — La Truelle.

٦. جداول تلخيصية لرمزيّة الأدوات

لقد تفحّصنا الأدوات باختصار في علاقتها مع الرمزيّة الماسونية ، وكي نكون واضحين قدر المستطاع ، إليكم ثلاثة جداول تسمح بإلقاء نظرة شاملة .

١. الأدوات الإيجابية والسلبية :

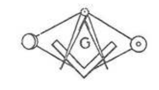
إيجابي الروح	سلبي المادة
البركار	الزاوية
المطرقة	الإزميل
الشاقول	مقياس التسوية
المسطرة	المُخل
حيادي المالج	

٢. المعنى العام للأدوات :

أدوات	مقياس البحث
البركار	مقياس البحث
الزاوية	إستقامة الفعل
المطرقة	إرادة التطبيق
الإزميل	التمييز في الاستقصاء
الشاقول	التعمّق في الملاحظة
مقياس التسوية	تطبيق المعارف بصورة صحيحة
المسطرة	دقة التنفيذ
المُخل	قدرة الإرادة
المالج	حسن الالتفات نحو الجميع

٣. صفات الدرجات الثلاث الأولى والضبّاط :

صفات الدرجة	الدرجة
الزاوية	محترم
الزاوية على البركار	مبتدئ
الزاوية متشابكة مع البركار	شغّال
البركار على الزاوية	أستاذ
المطرقة	المنبّه الأول – المنبّه الثاني
الشاقول	المنبّه الثاني
مقياس التسوية	المنبّه الأول
مسطرة (مع عين وسيف)	الخبير



الفصل الثاني

المبتدئ

١. غرفة فحص الضمير ، أو غرفة التأمل

يعتمد إدخال الإنسان العادي قبل تكريسه إلى غرفة التأمل . وفي الفرنسية يشدّد على كلمة تفكير كمرادف للتأمل « RÉFLEXION » بدلاً من استعمالها بصيغة الجمع ، لأنه بالمفرد تعني نوعاً من الانقلاب على الذات من أجل ولادة جديدة . وهي غرفة ضيقة نوعاً ما ، مطلية داخلياً بالسواد ، وموضوع فيها بعض العظام ، وجمجمة إنسان ، وطاولة صغيرة ، ومقعد وما يكتب به . على الطاولة خبز وإبريق ماء ، ووعاء فيه ملح ، ووعاء آخر فيه كبريت ، وتزيّن الجدران تصاميم رمزيّة ، كديك وساعة رملية ، ومنجل . فيما الإضاءة تتكوّن من قنديل أو من « نوّاسة » خفيفة الضوء .
وعلى الجدران كتابة لبعض الجمل منها :

- « إذا كنت فضولياً ، ارحل من هنا »
- « إذا استشعرت نفسك بالخوف ، فلا تبتعد »
- « إذا أكملت ، ستخرج من حفرة الظلمات وترى النور »

وتزيّن الجدران بتصاميم رمزية : الديك ويرتفع فوقه راية مكتوب عليها « التيقّظ والمثابرة » ، وحاصدة ، وساعة رملية ، وكلمة « VITRIOL » أو « VITRIOLUM » ، والإنارة مزوّدة بواسطة مصباح أو مشعل .

ففي هذه « الزنزانة » يتوجّب على العادي الدنيوي خطيّاً على الأسئلة التي تطرح عليه . سنتفحّص كلاً من هذه النقاط على حدى (لوحة رقم ١) .



PLANCHE I. — Les Symboles du Cabinet de Réflexion.

أ – الخبز وإبريق الماء :

تقول « جدالج » أن الخبز وإبريق الماء يحوّلان غرفة التأمل أو فحص الضمير إلى ما يشبه السجن تحت الأرض حيث يختلّى بنفسه طالب الانتساب . كذلك تشبه هذه الغرفة ، البيضة حيث تنمو البذرة ، إذ يصبح الماء والخبز شعاري البساطة التي يجب أن تتحكّم بحياة طالب التكريس . أخيراً يصنع الخبز من القمح ، ورمزه مرتبط برمز الإله « إيزيس » و « ديمتر » ، وهو في أديان عدّة ما زال يمثّل الإله المضحّى به . إن الخبز والماء يرمزان إلى تغذية الجسد ، والروح : الماديّة والروحيّة ، الضروريتين للإنسان .

وكتب « أوزوالد ويرث » بنفس المعنى « إن الخبز والماء هما الاحتياطي الغذائي المتواجد في الثمرة وفي البيضة ، الذي يقوم بتغذية البذرة التي تتّجه إلى التنامي » .
والخبز والماء هما في غرفة فحص الضمير للتذكير أن غذاء الجسد ضروري لكنه ليس الهدف النهائي للحياة .
يلاحظ في الكتاب المقدّس أن النّبي إيليا ، مؤسس الجماعة المتصوّفة المعروفة بالكرمليين ، يفسّر اسمه « بقوّة الله » ، وأنه نام مرّة تحت شجرة ، فأتاه الملاك حاملاً خبزاً وماءً ، وبعدما أكل تسلّق جبل « حوريب » . كذلك يتلقى طالب التكريس رمزياً ما يلزمه من قوى ضرورية كي يتحمّل التّجارب التي سيخضع إليها .

والماء عادةً يعتبر كعنصر ضروري للحياة ، وإلاّ ما كان ليحمل الإله « سيكيلوس » بيده إناءً يحتوي على الماء ، وهذا الإله سبق أن تكلّمنا عنه في الفصل السابق .

والخبز المصنوع من القمح ، يرمز إلى القوّة الأخلاقية والغذاء الروحي . « في هذا المجال يُعتقد أن المسيح قد استخدم الخبز غير المعجون بخميرة عند العشاء السري ، لأنه في فترة الفصح اليهودي، يحرّم الخبز الذي في داخله خميرة . ويذكر أن المسيحيين الأوائل قد استعملوا الخبز بالخميرة ومن دونها لا فرق عندهم كثيراً ، حتى القرن التاسع حيث بدأ استعمال « الخبز الأفخارستي » ، الذي لا يختلف عن الخبز العادي إلاّ بالتقديس .

وتستخدم الكنائس الشرقية الخبز ذا الخميرة فيما الكنيسة اللاّتينية توجب استعمال الخبز غير المخمّر . إن الخبز المكسور بين الجميع ، أكان مخمّراً أم لا ، فهو رمزٌ حقيقي لاتحادٍ حقيقي ، أي أنه غذاءٌ روحي مأخوذ من بيتٍ واحد ، لذا تعتبر المناولة اختصاراً بشكل ما للطقوس البدائية » .

ب – الكبريت ، الملح ، الزئبق :

إن المبادئ الثلاث للكيمياء الخفية الموجودة في غرفة التأمل هي : الكبريت لما يرمز إلى الروح ، والملح لما يرمز إلى الحكمة والعلم ، والزئبق بشكل ديك هو من صفات هرمس ، الذي كان أتباعه يرون أن تلك المبادئ الثلاثة موجودة في كلّ الأجسام . الكبريت مبدأ ذكري، الزئبق مبدأ أنثوي ، والملح مبدأ حيادي .

فإذا ما أحرقنا خشباً أخضر ، لتحوّل بخاره إلى زئبق والزيت القابل للالتهاب إلى كبريت ، والرماد إلى ملح .

والبيضة تنقسم إلى ثلاثة أقسام متطابقة مع المبادئ أعلاه ، فبياضها هو الزئبق ، وصفارها هو الكبريت ، والقشرة هي الملح .

وفي المعدن ، الكبريت ينزل منه منزلة نفسه « الثابت » والزئبق منزلة جسمه « الطيّار » ، فيعطي الكبريت للمعدن خصائصه الكيميائية ، ويعطي الزئبق خصائصه الفيزيائية .

على الرّغم من كونها نظريات قديمة ، وعلى الرّغم من تقدّم العلوم ، لم تخسر هذه المعطيات قيمتها ، لأن هذه التسميات الخاصة ، بالكبريت والزئبق والملح تتطابق مع « مبادئ » وليس مع أجسام كيميائية محدّدة .

يرمز الكبريت إلى الاندفاع ، والملح بالعكس إلى الاتّزان . وهذان المبدءان موجودان للتبيان أمام الطالب لأن لا يفرّط بحماسه ، بل عليه معرفة كيفية اعتداله .

وإذا ما تمثّل الزئبق بشكل ديك فذلك يرمز إلى الإقدام واليقظة ، علماً أنه شاع عند الأقدمين أن الديك لا يخاف شيئاً ، وحتى لا يهاب الأسد، لكن الأسد والشمس هما في الرمزية بعلاقة دائمة مع الذهب .

يقول فولكانللي : « هذا الطير ، الذي يعلن بزوغ الفجر والنهار ، يعبّر إحدى صفات الزئبق السرّي . لهذا السبب ، الديك رسول الشمس ، كان يكرّس للإله عُطارد ويظهر على قبّة أجراس الكنائس» .

لقد سادت عادة رسم الديك فوق صلبان (قبب) أجراس الكنائس في فرنسا أبّان العصور الوسطى ، وفي إيطاليا على الأقل في القرن الثالث عشر . ويقول « كرويزر KREUZER » : « إن الديك بقي يذكّر بالقديس بطرس وبالتوبة أولاً ، وثانياً بقي يذكّر بالمسيحيين الأوائل الذين يجتمعون عادةً عند أول صيحة ديك ، وثالثاً هو يوصي العلمانيّين باليقظة » .

من المستغرب أن أيّاً من المؤلّفين المعارضين للماسونية لم يلاحظوا أن بعض الماسون يضعون « بطريقة شيطانية » صورة الديك في السراديب ، بينما الكنائس تضعه في أعلى نقطة من أبنيتها . هناك مواد للتعليق والانتقاد غير دقيقة ولا فطنة ولكن قد تكون مقدّرة من أشخاص استثنائيين .

الديك في الماسونية يعلن عن النور الذي سيلقاه طالب التكريس ، إنه علامة التعليم الشائع لهذا النور .

ج – الراية : اليقظة والمثابرة :

تقارن « جدالج » هذه الراية « بالمنديل الصوفي » ، (نمس NEMS) ، إحدى شعارات القبّة السماوية ، ونجد هذا الرمز في قوس التحالف (قوس القزح في التوراة) ، وفي أحزمة ومناديل أفروديت وإيزيس وديمتر وغيرهم .

إن الراية وما مكتوب عليها هي كالرايات التي يكتب عليها بعض مقتطفات الكتاب المقدّس التي تربط على الرأس أو الزند . وهكذا يشير في علم الآثار الرايات الملفوفة في أطرافها ومنمّقة بالأساطير . وإذا أعدنا كلمتي « اليقظة والمثابرة » إلى اشتقاقهما اللّغوي فإنهما يعنيان « السهر بحزم » . وهما تشيران على الماسوني المقبل الذي يجب أن يكون متنبّهاً منذ الآن إلى فرز مختلف المعاني التي تقدّمها الرموز ، علماً أنه لن يحصل على فهمها كلّياً إلاّ بالصبر والمثابرة .

د – العظام والجمجمة والمنجل والساعة الرمليّة :

تعود هذه الرموز إلى « ساتورن SATURNE » ، إله الزمان عند الرومان ، وتتوافق مع معدن الرّصاص ، وتجسّد شعار موت الإنسان « الغير الملمّ » الذي سيحيا فيما بعد إلى الحياة الروحية ، بتحويل الرّصاص إلى ذهب .

وطبعاً هذا ليس لتخويف « الغير الملمّ » ، بل لتعليمه كيف يتخلّص من « الإنسان القديم » كي يتهيّأ لولادة جديدة . فعندما سيخرج من هذا « المدفن » ، (الذي يتمثّل « بالانحلال » الخاص بالكيمياء القديمة) ، سيكون قادراً على بدء دورة التحوّلات (TRANSMUTATION = التحوّل بواسطة الألخيميا معادن عادية إلى معادن ثمينة) .

ه – فيتريول أو فيتريولوم .V.I.T.R.I.O.L :

تعود هذه الأحرف إلى الأقدمين من الصليب الوردي ، إما كشعار أو حكمة أو رمز ، وهي الحروف الأولى لكلمات لاتينية تعني : « أدخل إلى باطن الأرض ، وبدقّة ستجد الحجر الخفي » . وعلى ما يبدو إنها دعوة إلى البحث عن الذّات « EGO » العميقة ، التي ليست سوى النفس البشرية ذاتها إن في العلم أو في السكينة والتأمل .

وأحياناً تكتب هذه الحروف مضافاً إليها .U.M ، فيفسر هذان الحرفان بالطّب الصحيح . (كانت كلمة فيتريول عند الأقدمين إسماً يطلق على كل الحوامض الكبريتيّة) .

∴

كل الرموز الموجودة في غرفة التأمل تعود إلى الصوفية حيث تعتبر خطوة أولى في إنجاز العمل العظيم . وهذا هو : « الانحلال » ، ليس فقط في سُبات الشرنقة ، إنما « انحلال الخلايا » حيث ستخرج الفراشة الرائعة .

و – الأسئلة الثلاثة :

في الماضي كانت الأسئلة المطروحة على الطالب ثلاثة وهي :
« ما هو المطلوب من الإنسان تجاه الله ؟ » و « ما هو المطلوب منه تجاه نفسه ؟ » و « ما هو المطلوب منه تجاه الآخرين ؟ »
والأسئلة الثلاثة التي يمكن أن تنير بصورة نافعة النظريات الفلسفية للطالب هي طبعاً هذه : « من أين نحن آتون ؟ ومن نحن ؟ وإلى أين ذاهبون ؟ » حيث نجد الثلاثية : الماضي والحاضر والمستقبل .
إن الماسونية بتحديها ، ألغت خطأً ، حسب رأينا ، الأسئلة عن واجباتنا تجاه الله واستبدالها بأسئلة أكثر تحديداً بالواجب تجاه الوطن . هذا الإلغاء وهذا الإلحاق يكون خطأً مضاعفاً ، طالما أن الماسونية عالمية وحتى أفضل « مجمّع » (مسكوني) ، أي أنها منتشرة في كل أرجاء الأرض المسكونة ، عليها أن لا تهتم « بالأوطان » . وطن الماسوني هو الأرض بكاملها وليس فقط حيث ولد أو الجماعة التي ترعرع معها .

أما بشأن الله ، فالماسونية ، يجب أن تكون لها الجرأة بالتخلّي ، وبالمصطلحات المنطوية ، على الرياء الذي يفسد وينقص من قيمة عقول البشر ، استبدلته بعبارة « معماري الكون الأعظم » .

هل يتوجّب على الإنسان بوجود الله ، عبادته ؟ فإن الماسونية تترك هذه الحالة للذين يعتقدون أنهم أهلاً لتطبيقه ، وهذا ما يؤكّده « كويس كلود دو سان مارتان » بأن الإنسان نفسه هو الهيكل الحقيقي وفيه تكمن المشاعل والكاهن والبخور والقرابين والمذبح والنار .
يجب علينا أن لا نخلط الطقوس بالعبادات .
إن الطقوس هي ضرورية ليس فقط لخلق جوّ خاص ، بل تؤثّر بواسطة شيء من التشرّب من شبه الشعور الذي يعطي قدره وفاعليّة حقيقية .

على الإنسان قبل كلّ شيء أن يكون صادقاً تجاه نفسه . وهذا شيء أصعب مما يبدو لأول وهلة ، فالإنسان يحلو له أن يتّخذ العديد من الشخصيات ، كممثّل لأدوار عديدة ، ومواقفه تجاه كلّ شخص سار معه أو التقاه . للبعض ، البساطة لم تعد ممكنة ، لأنهم تعلّقوا بعالم غير طبيعي صنعوه بأنفسهم . والصدق المفروض للطالب ضمناً ، يجبره أن يظهر نفسه على طبيعته وهذا الغرض هو من إحدى الشروط الأساسية لكي يصبح التكريس مقبول .

إن الجواب على السؤال الثالث يظهر لنا سهل ، وهو : « ما هو مطلوب من الإنسان تجاه الغير ؟ » مع ذلك « فالغيرية » هي ضمن هذا السؤال ولكن تطبيقها دقيق بما فيه الكفاية . طبعاً فالماسوني لديه واجبات محدودة تجاه نفسه أما تجاه الغير فالواجبات ملحّة . عليه إتقان استعمال المالج (مسطرين) ببصيرة وهذا العمل غير سهل . يجب عليه أن يكون « متسامحاً » دون أن يكون ضعيفاً .

الوصيّة

« راغون » في كتابه « طقس المبتدئ الماسوني » لم يذكر « الوصيّة » ولكنه ذكر فقط عدّد الأسئلة الثلاثة .
« بلانتاجينيه » يعتبر أن الأجوبة على الأسئلة الثلاثة تكوّن « الوصيّة » و « ويرث » في كتابه « المبتدئ » يأخذ بالمبدأ ذاته . ورغم ذلك فالمطبوعات التي تعطى « للطالب » تطالب بكتابة « الوصيّة » بعد الجواب على الأسئلة الثلاثة . هل هذا التصرّف آتٍ من التحديث ؟ نحن لا نظن ذلك .

إن طالب التكريس « سيموت » في حياته الدنيوية ، وكذلك من الطبيعي أن يطلب منه أن « يكتب وصيته » . غير أنه علينا أن نوضح أن المقصود هنا وصيّة فلسفية ، مع العلم ، غالباً ما يكون الطلاب ميّالين إلى كتابة وصيّة « مدنية » ليس إلاّ .

« TESTER » أي أوصى وهذه الكلمة مشتقّة من اللاّتينية « TESTARI » أي « TÉMOIGNER » أي « شَهِد » ، وعلى طالب التكريس أن يشهد خطيّاً عن مآربه الفلسفية . يُعقد إذاً نوعاً من موجبات مسبّقة ، عدا عن ذلك ، ينبغي ، أن يُطلب من الطالب نسخة، بنفس الوقت هي صيغة القسم . هذا القسم المكتوب ، يجب أن يُحرق فيما بعد .

٢. المعادن

عند خروجه من غرفة التأمل يُجرّد الطالب من كلّ ما عليه من معادن ، ويسلّم إلى الأخ المرشد كلّ ما يمتلكه من أموال معدنية وورقية ومن مجوهرات وأشياء معدنية أخرى .

تقول « جدالج » يتمّ ذلك لتحرير طالب التكريس الذي يجرّد مما عليه من معادن ، ولتعليمه أن كلّ شيء يدفع بدله في هذا العالم ، وهل يمكن أن نأخذ قبل العطاء ، والتجريد من المعادن يرمز إلى ترك التعلّق بالأفكار المسبقة ، وعلى الطالب أن يجهد كي يفكر بشكل مستقل ، وحرّ ، وأن لا يبقى متعلّقاً بالأفكار التي ما تزال مقبولة وممتعة لديه .

في الماسونية عبارة « معادن » لها معنيين : الحقيقي والمجازي ، والمعنى الثاني هو التحلّي الطوعي من كافة أهوائه عند دخوله المحفل . فيما يعود للمعنى الحقيقي نستشهد بـ « ليد بيتر » : « إن الطالب يرى نفسه خالٍ من كلّ المعادن ، لأنها قد تعيق سير التيار (الممغنط) . أهمية كبرى كانت تعطى لهذا القسم من التحضير...» « علمنا مرّة أن أحداً احتفظ سهواً بمدالية ذهبية في بطانة ثيابه طيلة حفلة التكريس ، ولم يتنبّهوا لهذا الحدث إلاّ في نهاية الحفلة ، هذه الحفلة أعيدت طبيعياً من بدايتها . طبعاً علينا أن ننتبه إلى النظّارات المعدنية . ولكن علمنا أن الذهب والفضّة المقدّمة من قبل أطباء الأسنان لا تشكّل عائقاً لأنها تصبح دائماً أحد أعضاء الجسم البشري . أما فيما يعود لسبب هذا المنع المتشدّد هو أن بعض الكتّاب يقولون أن المعادن هي غير نقيّة إلى حدٍّ ما ، وهذا المفهوم يعود على الأرجح لأواخر العهد الحجري حيث كان لا يُسمح إلاّ بسكّين حجري لتقدمة الذبائح أو لإنهاء الطقوس للمناسبات » .

∴

ويبدو صحيحاً أن ينظر إلى التكريس الماسوني من وجهتي نظر ، هما إما أنه غامض ، وإما أنه رائع . في الحالة الأولى يتوجّب على الطالب أن يكون نقيّاً كنقاء « المادة الأولى للحكماء » ، وفي الحالة الثانية يتوجّب على الطالب أيضاً أن يكون نقيّاً بصورة رائعة ، أي

أنه يتوجّب انعدام وجود أي شيء يعترض التدفّق الذي سيتّخذ مكانه .

وفي بالتقليد الخفي الكيميائي القديم والفلكي ، تتماثل كل من المعادن السبعة مع كوكب هو بدوره يتماثل مع إحدى الخطايا السبع الأهم :

الذهب	الشمس	الكبرياء
الفضّة	القمر	الكسل
الحديد	المريخ	الغضب
الزئبق	عطارد	الحسد
القصدير	المشتري	الشراهة
النحاس	الزهرة	الدعارة
الرصاص	زحل	البخل

هذا هو تمام الرمزيّة المطلوبة للطالب لدى تكريسه ، لذا هو مدعو إلى التحكّم بعواطفه ، وخصوصاً تلك التي تنتج عن التملّك والسلطة، والتباهي وغيرها مما لا يتناسب مع مختلف الدرجات ، ومع الإنسان الواحد بين الناس .

وتجريد الطالب من الأموال المعدنية هو لانتزاع كل ما يفسد الضمائر ، ولثبات التخلّي عن كل الممتلكات الماديّة ، وللتدليل على أن التحرير الحقيقي لا يمكن أن يتم إلاّ بالارتفاع نحو الروح ، وذلك لإعطائه البساطة التي تكلّمت عنها الأناجيل ، وبقية الكتب السماوية .

أيضاً يتمّ تجريد الطالب من أي سلاح ، أكان دفاعياً أم هجومياً ، اللذان يترجمان التعلّق بالعالم الخارجي والصراع فيه . إن تجريد المعادن يتماثل بالحجر الخام الذي سيعطى إلى المكرّس . ويستبدل رمزياً في وضعه الطبيعي بإلغاء المعدن الذي يمثّل « الحضارة » وكل ما يشتمل من غير طبيعي .

٣. التحضير الجسدي للطالب

بعد تجريد الطالب من معادنه ينتزع منه بعض ثيابه ويتقدّم بشكله التالي :

الذراع والصدر من ناحية اليسار عاريان .

الفخذ والركبة من ناحية اليمين أيضاً عاريتان .

القدم اليسرى منزوعة الحذاء .

يعتقد « بلانتاجينيه » أن تفاصيل هذه الوضعية تهدف إلى إعطاء طالب التكريس شعوراً مزعجاً يكمن في انتقاص كرامته كإنسان وبارتدائه لباساً مبتذلاً يصبح غريب الشكل . ولا تفهم هذه الرمزية القديمة من الانتقاص من القيمة الذاتية « إلاّ بعد الأخذ بعين الاعتبار العقلية الحديثة ، ممّا يستحسن معه الرجوع عن هذا التطبيق الذي قد يقلّل من القيمة التكريسية لحفلة القبول » .

وبالنسبة « لأوزوالد ويرث » إن الأكثر رمزية تكريسياً هو ، « حيث تكشف جهة القلب كإشارة لصدق الطالب المطلق ، وحيث عراء الركبة تعني دخول الطالب باتصال مباشر مع تراب مقدّس وتدوسه القدم دون حذاء » .

ويسأل « ويرث » أيضاً لماذا تحتفظ القدم الأخرى بحذائها ؟ وهل من الضروري أن يعرج الطالب بإنجاز الخطوات الأولى باتجاه التكريس ؟ لا شك أنه يخيّم سرّ على طقس « القدم الحافية » . وبدون نزع أحد حذائيه لم يتمكن « جازون JASON » ، من الاستيلاء على الخصلة الذهبية . و « جازون JASON » هو بطل أسطوري استعاد العرش بناءً لشرط إعادة الخصلة الذهبية . ويتابع « ويرث » : إن « أليفاس لافي ELIPHAS LEVI » يقترح أن التحضير الجسدي للطالب يعلّمه أن يأخذ بعين الاعتبار تعاقب الأفعال الرائعة . إذ أن كلّ تيّار إيجابي أطلق عن سابق قصد ، يتماثل مع تيار مناهض سلبي وخفي .

فعندما ينطلق الطالب بعمله ، فهو يهمل غالباً ردّة الفعل المشؤومة التي يترقّبها المكرّس . هناك الكثير من التفكير بشأن هذه المواضيع . لم يوضح « أوزوالد ويرث » فكرته كثيراً ، بل ترك الطالب كي يستسلم لتأملاته .

وتفسّر « جدالج » ، هذا التحضير الفيزيائي لطالب التكريس برمزيّة فلكية ، فتقارب ما بين أجزاء الجسد المكشوفة والعلامات البرجية فتقول : « إن أجزاء جسد الطالب الموضوعة في العراء ، كالعنق ، والكتف ، والذراع اليسرى ، والقلب ، والركبة ، والفخذ اليمنى ، والقدم اليسرى ، تتماثل مع الثور والجوزاء (ناحية سلبية) والأسد والجدي والدلو (ناحية إيجابية) والحوت ، وهي تطبيق دائرة الأبراج الوظائفية .

الثور رمز العمل والمثابرة والتجرّد ، وهو أيضاً شعار الطاقة والقوّة وتفسير هذه الصورة يتطابق مع التّفاني في الخدمة والحبّ الأخوي المتمثّلين بالحوت (هنا جانب سلبي) . على العكس ، إن العلامتين الأوليّتين الجدي والدلو (الركبة والفخذ) هما في الخدمة (الجانب الأيمن) ويمثّلان فلكياً الخدمة الكونيّة . الأسد (القلب) يجد ظاهرته في الحبّ الكامل ، خالق التناسق الكوني . أخيراً من حيث الجانب الفكري تكمّل صورة الجوزاء مجمل هذه الرموز وتشكّل توازناً لصور الخدمة . إنها السبب الذي يرجّح الحساسية .

أيضاً تلاحظ « جدالج » أن وجود ستة كواكب في الصور المدروسة، الزهرة والقمر (الثور – العنق) عطارد (الجوزاء – الكتف) ، الشمس (الأسد – القلب) زحل (الجدي – الركبة) (الدلو – الفخذ) المشتري ، الزهرة (الحوت – القدمين) .

يلاحظ وجود مزدوج للزّهرة ، وهو كوكب يرمز إلى الجاذبية والحبّ الكلّي ، ويلاحظ غياب المريخ الذي يرمز إلى القوّة الوحشية والعنف . وفي عرضها تأخذ « جدالج » بالحسبان للكواكب في مراكزها وفي مسارها . وإذا ما تقبّلنا التناسب ما بين الأبراج التي أشارت إليها لأمكننا وضع الجدول التالي :

الثور	العنق	الزهرة	قمر	منفعل
الجوزاء	الذراع	عطارد		
الأسد	القلب	الشمس		
الجدي	الركبة	زحل	مريخ	منفعل
الدلو	الفخذ	زحل		
الحوت	القدم	المشتري	زهرة	منفعل

نلاحظ وجود سبعة كواكب مع وجود مزدوج للزهرة وزحل ، وليس وجود فقط المريخ بل إنه منفعل أيضاً .

ليس المقصود رفض الرمزية الفلكية ، لأن كل الرمزيات تتقاطع ، بل القصد هو أخذ الحيطة من تفسيرات تهدف « جدالج » من ورائها إلى إثارة الرموز « لتنسجم » مع بحثها .

بطريقة عامة تفسّر رمزية التحضير الجسدي على الشكل التالي :

١. القلب المكشوف عنه كعلامة للصدق والصراحة .

٢. الركبة اليمنى العارية لتسجيل مشاعر التواضع التي يجب أن تكون خاصة بالطالب .

٣. القدم اليسرى الحافية كعلامة احترام .

علماً أن هذا التحضير الجسدي للطالب يبرز منه خلق رادع أو كبت أي أثر أو صدى يسترعي لفت النظر إليه :

١. إن انتباه الطالب محوّل نحو القلب الذي يعتبر مركز الانفعالية ، لذلك عليه أن يتعلّم أن لا ينجرف وراء العواطف التي يستسلم لها غالبية الناس .

٢. الركبة اليمنى هي التي نضعها على الأرض عند الركوع ، أي إننا نعبر الطاعة لأحد . وبعرائها تصبح الركبة شديدة الحساسية، وهذا ما يدعو الطالب إلى عدم إتمام الركوع إلاّ بحذر .

٣. ينزع حذاء القدم اليسرى ، علماً أن كلّ « مسيرة معتزمة » تبدأ من القدم اليسرى ، حسب التعبير الشائع . وفي هذه الحالة تبدو الانطلاقة غير متأكّدة لأن القدم الحافية تعيق السير . ويضطر الطالب إلى الارتكاز بقوّة على القدم اليمنى ، مما يعني تغليب العقل على العاطفة .

على عكس « بلانتاجينيه PLANTAGENET » الذي يعتبر أن « الهندام » هو « مذلّ » ، يجب التقيّد به بدقة . مع العلم أن الطقس الفرنسي قد ألغى الهندام الجسدي . وهذا نوع من التنازل ، قد يفتح

الطريق أمام تنازلات أخرى قد تفضي إلى حذف كل طقس ، وإلى التضييع الكامل على الماسونية صفتها المُساريّة (التكريسية) .

∴

وتحضير طالب التكريس يتضمّن حبلاً كلّه عقد ، يلفّ حول العنق ، ويرمز هذا الحبل إلى كل ما يربط الطالب بالعالم الخارجي ، الربط بكل العوامل التي كان الطالب مرتبط بها في العالم سابقاً .

ويلاحظ « أوزوالد ويرث » أن في الماسونية الأنكلو-ساكسونية ، يتقدّم الطالب لدرجة شغّال عكس درجة المبتدئ ، حيث يكشف الصدر إلى جهة اليمين ، والركبة اليسرى تعرّى ، والقدم اليمنى منزوعة الحذاء . وهذا التوازن هو تعسّفي وخيالي . أضف إلى ذلك أن الأستاذ يتقدّم عاري الصدر والظهر ، ومكشوف الفخذين ، ومن جهة أخرى يلفّ الحبل مرّتين على الذراع اليمنى للشغّال وثلاث مرّات حول خصر الأستاذ ، علماً أن الطقوس القديمة الفرنسية لا تشير إلى هذه التفاصيل التي يظهر أنها تكيفات خاصة بالأنكلو-ساكسونية .

وبنظرنا ، لا يجب أن نشجب ما هو غير مفهوم منّا . خاصة أن هذه « الخاصيات » غير موجودة في الماسونية الفرنسية ، علينا أن لا نأخذها بعين الاعتبار .

٤. عصبة العينين

يتضمّن تحضير الطالب إلى جانب ما سبق ، عصبة تعصب عينيه ، وهذه العصبة تنزع عنه عندما « يتقبّل النور » . ونزع العصبة تلك تحقّق « الصدمة التكريسية » التي على المكرّس أن يشعر بها . لكن من المؤسف أن تبقى العصبة الرمزية بعد نزعها عن العينين الروحيتين للممتنع على الفهم الرمزي .

وعند حجب النظر ، تقوّى الحواس الأخرى ، خصوصاً السمع منها ، وتريد الماسونية بذلك أن تفهم الطالب ، بأنه إذا لم يحسن استعمال النظر يمكنه في غالب الأحيان أن يسمع ضجيج العالم وكلام الناس . عندها يحتاج مساعدة مرشد فيمسك بأول من يتقدّم إليه دون أن يفرّق، ولا سيما أن المفاهيم الفلسفية لكلّ الجمعيات الناتجة ليس عن اختيار حرّ ، بل هي نتيجة وسط اجتماعي كان الطالب قد تواجد فيه قبلاً .

إن التكريس يقود إلى « التنوير » . علينا أن لا نخاف من استخدام هذا التعريف على رغم ما يعطى له من معنى تحقيري ، ولا سيما أن « التنوير » يعني « الإضاءة » بنور روحي وليس المعنى « مختلّ العقل » . تحديداً يهدف التكريس الماسوني إلى « التنوير » ، وإليه تتّجه كل أشكال التكريس ، أكانت جارية وفق طقوس ما أم لا .

ورمزية العصبة التي تبدو بسيطة هي أحد أكثر الرموز عمقاً في الماسونية .

يقبلون أبناء الماسونيين ورأسهم مغطى بوشاح أسود شفّاف ، لأن الماسونية أصبحت لديهم معروفة جزئياً ، ولا يأتون إليها مباشرة من العالم الخارجي .

٥. الرحلات الثلاث والعناصر الأربعة

يقول « راغون RAGON » : إن الطالب يدخل ، وفق الطقس القديم إلى الدهاليز وليس إلى الهيكل ، وفي نهاية مسيرته يجد هذه الكتابة : « كلّ شخص قد أنهى هذه الأسفار وحيداً ودون خوف ، يحق له التطهر بالنار والماء والهواء ، وكان أن انتصر على الرّعب والموت وقد حضّر نفسه لتلقّي النور ، يحق له الخروج من باطن الأرض ، وأن يُقبل للكشف على الأسرار الكبيرة » . « كان له الحق أن يعود ويتراجع إذا ما خانته شجاعته » .

يقول « راغون RAGON » أيضاً عائداً لما أورده ، إننا نعتقد أن التكريس قديماً كان للحصول على الأسرار كان يتضمّن أسفاراً وامتحانات ، إلاّ أن الإثباتات حول هذا الموضوع قليلة على الرّغم من كثرة الكلام حوله .
ونأسف أشدّ الأسف للرّوايات الخيالية المثيرة للسخرية التي يستسلم لها بعض المؤلّفين الذين يفرقون في وصف تفاصيل مزعومة « للتكريس المصري » ، الذي لا نعرف عنه ما هو دقيق ، إلاّ

بعض الدراسات التصويرية لبعض المشاهد وبالطبع لسنا في وارد المقارنة الدقيقة بين التكريس الماسوني والتكريس لأجل الأسرار القديمة ، لكنّ التسلسل صحيح ، فيما لو اتبعنا خيوطه بما يتعلّق بأسرار « باخوس BACCHUS » و « ميترا MITHRA » و « سيريس CÉRÉS » و « سيبيل CYBELE » حيث يستنتج بعض التشابه ، على الرغم من أن الاختبارات كانت في السابق « جسمانية و فعلية » وهي اليوم في الماسونية الحديثة فقط « رمزية » . علماً أن الطقوس الماسونية القديمة كانت تعتمد على التطهّر بالعناصر الأربعة ، إحتمال ما تبقّى للتمثيل الرمزي لتطوّر الحياة بواسطة ومن خلال هذه الكائنات الأساسية الأصلية :

العنصر الأول هو التراب وحقله التحتي حيث تنمو البذور . هي ممثّلة بغرفة التأمل حيث يحبس الطالب . والسفرة الأولى تتطابق مع الهواء ، والثانية مع الماء والثالثة مع النار .

ويشرح « راغون RAGON » الأمر « بأن السفرات الثلاث ترمز إلى السفرات التي كان الفلاسفة الأقدمون ، مؤسسي الأسرار الغامضة ، يقومون بها للحصول على معارف جديدة . وتعدادها بثلاثة يشير إما إلى الأمكنة أو إلى العلوم التي كانت تثقّف بها في الأصل . وهذه الأمكنة هي بلاد فارس وفينيقيا (أرض كنعان) ومصر . كما أن التطهيرات التي ترافق هذه السفرات ، تذكّر الإنسان على الدوام أنه ليس نقياً بما يلزمه من نقاء كي يتوصّل إلى المعبد الفلسفي » .

قد يكون من غير المفيد الإشارة إلى أن « راغون RAGON » بتحليلاته لا يقدّم أي شرح ذو قيمة ، بل يكاد أن يشكك بالمكرّسين الجدد .

لنرى رمزّية تلك الرحلات الثلاث مع « ويرث » :
إن السفرة الأولى هي شعار الحياة الإنسانية ، ضجة الأهواء ، وصدمة مختلف المصالح ، ومشقّة المشاريع ، والعقبات التي تتضاعف تحت أقدامنا بسبب اندفاع المتنافسين الذين يؤذوننا وضدّ عزيمتنا ، كل هذه الأسباب ترسم طريق الطالب العديمة الانتظام والتي اجتازها بما حولها من ضجيج .

وكي نعيد للطالب ثقته بنفسه نخضعها للتطهير بالماء ، وهو نوع من عماد فلسفي يغسله من كلّ الأدران . وبعد الضجة في السفرة الأولى تعقبه قرقعة السيوف كشعار للمعارك التي على الإنسان أن يخوضها على الدوام .

للتأمل « بملكة الجهنمات » ، ما معناه بالحقيقة المخبأة في داخل كل طالب عليه أن يجتاز هذه ثلاث أسوار من النار ، وهذا ما نسميه الاختبار بالنار ... وأن التعليقات والتفسيرات للمؤلّفين الماسونيين ، دائماً ميالة لعلم الأخلاق غير الخطر نوعاً ما ، نادراً ما يختلف .

نضيف أيضاً أن العناصر الأربعة قد تتناسب مع مراحل الحياة الأربع ، وهي الطفولة ، والمراهقة ، والنضوج ، والكهولة ، وقد تتناسب مع نقاط العالم الأصلية الأربع ، ومع الفصول الأربعة ، ومع إعمار العالم الأربعة ، وهي عصر الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد . لكن كلّ هذه التشبيهات هي مألوفة ولا تعطي أبداً المفهوم الصحيح لهذه الرموز .

يتوه الكتّاب الماسونيين وراء شروحات مستفيضة ، لأنهم لا يتجنّبون سبب الخطأ وهو الخلط في الفلسفة والدين والتكريس . إذا كانت المقارنة ممكنة بين الفلسفات وبين الأديان وبين التكريسات . لكنّ الأمر مستحيل أن تشرح الفلسفة من وجهة نظر دينية ، أو التكريس من وجهة نظر فلسفية ، لأن المستويات الفكرية ليست ذاتها وحتى حوارهم يختلف ، وبالتالي فإن نتيجة المحاولات ستؤدي إلى عدم تناسق تام . تتكلّم الفلسفة إلى العقل ، فيما الأديان تخاطب القلب، والتكريس يحرّك مشاعة القسم الروحي من الكائن ويسمح إلى بلوغ التفهّم الميتافيزيقي (الاستعاري أو الماورائي المتفوّق لمعنى الحياة) .

يمكن القبول بدون صعوبات جمّة أن الإنسان ليس مركّب فقط من جسد ونفس ، بل من أربعة أجزاء يطلق عليها باللاّتينية « سبيريتوس SPIRITUS » ، و « أنيموس ANIMUS » و « مانيس MENS » و « كوربوس CORPUS » تتناسب بالتالي

مع العناصر الأربعة وهي النار والماء والهواء والتراب ، وفق جدول المقارنة التالي .

نار	سبيريتوس (نفس)	التكريس (المُساريّة)
الماء	أنيموس (الروح)	الدين
الهواء	مانيس (العقل)	الفلسفة
التراب	كوربوس (الجسد)	الحياة المادّية

وهنا نجد معطيات علم التنجيم التقليدي ، حيث يتناسب مع عنصر النار الحدّة والحماس ، ومع عنصر الماء الحساسية والانفعال ، ومع عنصر الهواء العقلانية ، ومع عنصر التراب عنصر المادية (في علم التنجيم التقليدي ، الملاءمات البرجية مع العناصر الأربعة هي التالية) :

نار : الحمل – الأسد – القوس
الماء : السرطان – العقرب – الحوت
الهواء : الجوزاء – الميزان – الدلو
التراب : الثور – العذراء – الجدي

يُعرف أن غالبية الأديان تمنح إلى أتباعها تكريس أوّلي عبر « الاعتماد بالماء » المطهّر . وجاء في إنجيل القديس يوحنا :

« إني رأيت الروح تهبط من السماء بشكل حمامة وتستقرّ عليه ، وأنا ما كنت أعرفه ، لكنّ الذي أرسلني كي أُعمّد بالماء قال لي : من تراه تنزل الروح وتستقرّ عليه ، إنه هو من سيعمّد بالروح القدس » . لا تفرض الماسونية أي عقيدة دينية أو فلسفية ، لذلك تظهر منطقية مع أكثر التكريسات القديمة . وإنها تتموضع خارج وأبعد من الفلسفات والأديان .

بالواقع لا يكمل طالب التكريس ثلاث رحلات ، بل أربع ، فالأولى هي التي تقوده من غرفة التأمل إلى باب الهيكل ، وعند وصوله فهو افتراضياً مولود مرّتين ، وعند خروجه هل هو حقاً يمتلك الولادة الرمزية ؟ وحده طالب التكريس قادر على الإجابة ، لأنه وحده من « يريد » بصدق أن يحدث ذلك أم لا .

على المكرّس إذاً أن يتذكّر الشعار المحفور لما يعود بالتكريسات القديمة على القاعدة من الغرانيت تمثال أبي الهول ذو الأربع أشكال : مخالب الأسد ، جناحا نسر ، جسم ثور ، وجه إنسان ، وهذا الشعار يجب أن يكون كشعارٍ قديمٍ للمكرّسين الألخميين الحقيقيين ولكبار « الصليب الوردي » في القرن السابع عشر . هذا هو شعار الماسوني المكتمل (صورة رقم ٣٠) .



FIG. 30. — Le Sphinx Tétramorphe (profil).

فالمعرفة مع الذكاء رمز للإنسان . والإرادة مع الصلابة رمز للأسد . والجرأة مع الشجاعة رمز للنسر . والسكوت مع القوّة رمز للثور . لذلك ، لا يعتبر طالب الأمس أنه مولودٌ مرّتين إلاّ بفعل إرادته المطلقة وحرارتها ، أي تلك الروح التي من أجلها تكتب حياة جديدة ملؤها العظمة الروحية . الأمر الذي يتطلّب بساطة كبيرة ، متذكّرين كلام السيد المسيح ، كما أورده القديس متّى في الإنجيل (١٨ : ١ – ٦) : « الحقّ ، الحقّ أقول لكم ، إذا لم تتغيّروا وتصبحوا مثل هؤلاء الصغار فلن تدخلوا ملكوت السموات . إذاً من سيتواضع كهذا الطفل الصغير الذي هو الأكبر في ملكوت السموات » .

ويقول « ويرث » ، حول موضوع الاختبار المُساريّ الماسوني : « الاختبارات الماسونية كما تطبّق داخل المحافل يمكن أن تبدو مضحكة للعامة ، ككل الرموز إذا أخذت بمظاهرها الخارجية ، مهما كانت فقيرة في تأثيرها العملي ، تلمّح في باطنيتها إلى الأسرار الأكثر عظمة في التقاليد التكريسية (المُساريّة) . فمن يتقبّلهم بالروح والحقيقة يصبح مكرّساً حقيقياً (مُساريّاً) . أما الذي يتجنّبهم يبقى دنيوي رغم كل المعرفة التي يسردها » .

ملاحظة على رباعيّة الخصائص أو الشكل .

تشير كلمة « تيترامورف TETRAMORPHE » إلى رباعية الشكل، وإلى السفنكس SPHINX ، أي ذلك الحيوان الأسطوري « أبي الهول » الذي يؤتى على ذكره لأول مرّة في التوراة عند حزقيال الذي يصف رؤياه بالقول :

« إني رأيت شبهاً لأربعة كائنات حيّة ، كلّ كائن منها له أربعة وجوه وأربعة أجنحة . أمّا تشابه الوجوه فكان وجه إنسان من الأمام ، ووجه أسد إلى اليمين ، ووجه ثور إلى اليسار ، ووجه نسر في كل الأربعة » .

ويصف القديس يوحنا في رؤياه أربعة حيوانات مختلفة :

« مقابل العرش كان هناك بحر كالبلّور ، وأمامه وحوله أربعة حيوانات مملوءة من الأعين الأمامية والخلفية . الأول يشبه أسداً ، والثاني يشبه عجلاً ، والثالث يشبه وجه إنسان ، والرابع يشبه نسراً طائراً » (٤ : ٦ - ٨) .

في التوراة الصينية « كرامبون CRAMPON » (العهد الجديد ١٩٣٩ صفحة ٣١١) نجد هذه المذكرة : « إن الحيوانات الأربعة (حرفياً : كائنات متحرّكة بالمعنى الأوسع للكلمة) هي التمثيل المثالي لكل الخلق في العالم . تقدم التشابه للأربع الكائنات الحية التي يمكنها وبحقّ أن تكون منظورة كالتي هي في الصف الأول في هذا العالم ... » .

ويوضح الدكتور « بول كارتون PAUL CARTON » في : « العلم الخفي والعلوم الخفيّة (١٩٣٥ صفحة ٨٥) ، أن رمزية الأشكال الأربعة هي : إن خاصرتيّ الثور تمثلان المادة الجسدية ، الغذاء الباطني ، وجمود الماء ، وقوة امتلاك زمام النفس مع مناقضه وآفة الشهوانية » وبكلمة واحدة هو المزاج الغاوي :

« إن جناحيّ النسر يمثلان القوّة الحياتية ، والغذاء الصدري ، الدم ، حركة الهواء ، المشاعر والمبالغات العاطفية ، بكلمة واحدة هو المزاج الدموي » .

« رأس الإنسان يمثّل الروح غير الماديّة مع مركز الفكر والدراية الدنيوية والأرض ، وبكلمة واحدة هو المزاج العصبي » .

« مخالب الأسد تمثّل النار الملتهمة ، الحيويّة الفاعلة ، والطاقة الموحّدة التي تتفاعل ما بين الغرائز والقرارات الطوعية ، بكلمة واحدة هي المزاج الضيق الخلق » .

« لقد استنتجت الحكمة القديمة من لغز أبي الهول أربعة قواعد أساسية للسلوك البشري : الإرادة مع حيوية الأسد والجرأة والارتفاع بواسطة قدرة جناحي النسر ، والسكوت بواسطة قوّة الثور المجمّعة والمركَزة .

إن الدكتور « بول كارتون » وفّق ما بين الأسد والنار ، وبين النسر والهواء ، وهذا ما يتطابق مع التقليد ، أن يربط الماء بالثور ، والأرض بالإنسان ، فيما المعروف تنجيمياً أن الأرض محيطها هو

الثور . « أليفاس لافي يعطي التناسب التالي (بالرجوع إلى كتابه : أسرار الكبّالة ١٩٢٠ صفحة ٢٠) .

النسر : الهواء ، الذكاء ، الروح ، النفس .
الإنسان : الماء ، المعرفة ، الحياة ، النور .
الأسد : النار ، القوّة ، الفعل ، الحركة .
الثور : الأرض ، العمل ، المقاومة ، الشكل .

إن الدكتور « بول كارتون » يبدو على حقّ إذا رجعنا إلى ما كتبه « فيلكس لا جارد FELIX LAJARD » حول الدرجة الثانية ، (درجة الثور) يقول : « يجب إيجاد حيوان ، بتكوينه وتقاليده وكل شروط وجوده ، قادر على شرح الفكرة التي نعلّقها على حالة النفس المرتبطة مع مبدأ الرطوبة . أي سبب هو الذي دفع هؤلاء العلماء لإعطاء الأولويّة للثور . هذا ما أجهله ، لأن كل أبحاثي بهذا الصدد لم تتوصّل إلاّ إلى استنتاج غياب أو عدم وجود الوثائق التي كانت قد ساعدتني على حلّ هذه المسألة . لكن إن فحصنا بانتباه تكوين وعادات الثور نعترف بدون جهد أنه بعد الحيوانات المائية والحيوانات البرمائية هذا الحيوان الرباعي القوائم يقدّم كافة الشروط الضرورية لكي يعبّر عن الأفكار المرتبطة بالأقدمين لمبدأ الرطوبة .

ولدعم موضوعه يورد « فيلكس لاجارد » نصاً من أبحاثه عن الزهرة : « إن أوّل كائن خرج من بين يدي الإله ، خالق الكون ، كان الثور ، رمز الحياة ، وسمي باسم يعني على السواء الحياة والثور . بواسطة نتيجة مباشرة لعقيدة تعلّم أن أولى الكائنات الحيّة ولدت في الماء ، وهو بنفس الوقت رمز لمبدأ الرطوبة ، للقدرة السلبية للتوالد ، أو للأنوثة . ولكن هنا لا توقف وظيفته بل هو الممثل الرمزي للعمر ، ومن هذا الأخير أتت الأفكار المثالية ، المتأتية من ذكاء الإله الأعلى ، الأبدي وغير المنظور ، ثمّ تلبّست شكلاً مادّياً أو حسّياً » .

∴

وفي معرض ردّها على الهرطقات ، كانت « القديسة إيرينا IRÉNÉE » ، أول من نسب « الحيوانات » الأربعة بالأناجيل الأربعة .

الإنسان للقديس متّى
الأسد للقدّيس مرقس
الثور للقديس لوقا
النسر للقديس يوحنا

وعلم الأيقونات المسيحيّة استعمل هذه الرمزيّة دون توقّف ، وشرح اختيار هذا النسب بناءً للأسباب التالية :

الإنسان أو الملاك يمثّل جبرائيل وهو يعلن تجسّد المخلّص في الإنسانية والذي شرحه القديس متّى اكثر ، والنسر يدلّ على سمو الارتقاء أو الصعود ويذكره القديس يوحنا ، والأسد يذكره القديس مرقس هو إشارة إلى الصحراء حيث « الرائد » يبشّر بالتوبة والعماد بالمسيح ، والثور أو العجل يذكّر بصفته كضحية مختارة للتضحيات الرئيسية للقانون القديم ، والإكليروس وحيث يقوم زكريا مكانه بواجباته ، بالقسم الأول لإنجيل القديس لوقا عندما يعلمه الملاك بولادة يوحنا المعمدان .

و « الحيوانات » الأربعة اتّخذت مكانها المحدّد حول المسيح .

الملاك على اليمين إلى جانب رأس المسيح ، النسر إلى اليسار ، وعند قدميه الأسد إلى اليمين والثور إلى اليسار . (للأب أوبير : تاريخ الرمزية الدينية قسم ٤ صفحة ١١٢ و ١١٣) .

∴

في بحثه الطويل (منشأ كل العبادات والأديان العالمية ١٨٣٥ قسم ٨ صفحة ١٦٤ إلى ١٩٦) يفتش أن يطابق الأربع حيوانات للرّؤيا مع أربع صور أبراج . الصور هي للأسد والعجل أو الثور السماوي ، والإنسان للدلو أو العقرب الذي بُدّل بالنجمة الساطعة للنّسر ، والقيثارة التي ترتفع مع هذه الصورة والتي تحدّد الصعود .

« وترتكز السماء على أربع صور تتناسب مع أربع تقسيمات لمحيط السماء ، وهي وسط السماء ، والمغيب ، وأسفل السماء ، والشرق ، التي جميعاً تشكّل نوعاً من صليب ، قمته هو السَمْتْ ، يقابله إلى الأسفل النظير وتتوسطّه ذراعان يمتدّان إلى الشرق والغرب . إذاً عندما ننفّذ دورة السماء ابتداءً من السَمْتْ نلتقي على مسافات متساوية أو كل ستّ ساعات بأربع صور ، هي الأسد ، والعجل والإنسان والنسر ، أي الحيوانات السماوية التي تقسم محيط السماء ودائرة الأبراج إلى أربع أجزاء متساوية » .

وعلى الرغم من أن أبحاث « ديبوي DUPUIS » تشدّد على أن مصدر الحكايات والأساطير هو فلكي وتنجيمي ، علينا ألاّ ننسى أنه إذا كان ذلك المعنى لا يقبل الجدل أحياناً فليس صحيحاً أنه ليس للتقاليد والأساطير معانٍ أخرى ، أكثر غموضاً ومتعالية فعلينا أن نكشفها .

٦. الكأس وشراب المرارة

عند التكريس (الاختبار المُساريّ) في الدرجة الأولى يتلقّى الطالب كوباً محتوياً على شراب يبدأ عديم الطعم ثم مرّاً ثم حلواً .

يتوجّه « راغون RAGON » إلى المكرّس الجديد بعد الاحتفال بالقول : « أخي ، إن الشراب الذي أُعطيت إياه ، هو في مرارته شعار كآبة الحياة ، والحواجز التي تسبق التكريس أو اكتشاف الحقيقة . فليكن لك شراب نسيان الحكم المغلوطة التي تعلمتها سابقاً بين الدنيويين ، والشراب الثاني هو نقي ، وبالتالي وجدته حلواً . فليكن لك شراب ذاكرة الأمثولات التي ستتلقّاها من الحكمة » .

وعلى عكس ذلك يشرح « ويرث WIRTH » الأمر بالتالي :
« العادل مسقى بالمرارة نستسلم لليأس ويتعرّض للسقوط مسحوقاً بنكران الناس للجميل ، لكن هذه التجربة لا تفاجئ الطالب . لا يسقط ولا يبعد الكأس المشؤوم ، بل يتقبّله بإرادته ويرشفه حتى الثمالة ، عندها يتغير الشراب اللاّذع والحرّاق إلى شاب مغذّى والمكرّس يشرب مياه نهر « الليتيه » (أي النسيان) وينسى السوء ، ولم يعد يحس عذاباته ومستمر وثابت في تفانيه وتضحياته ، يلتقي ثانيةً في وسط هموم الحياة كل سكينة البال » . « يبدو أن هذين المؤلّفين غير متّفقين بما يتعلّق بخصائص الشراب الحلو والمرّ ، من نهر « ليتيه LÉTHÉ » .

« أنهار جهنّم في الميثولوجيا اليونانية خمسة ، هي أشيرون ACHÉRON (العذاب الأليم) وفليجيتون PHLÉGÉTON (الاحتراق) وكوسيت COCYTE (للانتخاب) وستيكس STYX (الخوف العظيم)

وأخيراً ليتيه LÉTHÉ (النسيان) . فعندما يدعو القدر النفوس إلى وجود أرض جديدة ، تشرب هذه النفوس من النهر الأخير وتضيع حالاً كل ذكريات الماضي » .

في احتفال التكريس الماسوني هناك ثلاث مراحل تميّز الشراب ، وهي :

١. المرحلة العديمة الطعم ، وهي حياة الدنيوي قبل التيقّظ العقلي .
٢. المرحلة المرّة ، وهي حياة المكرّس ، الذي يبحث والذي هو قلق يرعبه أن « يعرف » .
٣. المرحلة الحلوة ، وهي حياة المريد الذي في آخر الأمر توصّل إلى السكينة التي يمكن للمكرّس الحقيقي أن تكون في متناول يديه .

هكذا رمزياً يطّلع الطالب للمراحل الثلاث للاختبار المُساريّ بشربه للجرعات الثلاث . من المؤسف له فقر الشروحات الطقسية ، وللهويّة الماديّة التي تعطى لأول جرعة وثالثها ، اللّتان ليستا إلاّ ماءً فقط . (يشار إلى أن الطقس الفرنسي لا يستعمل سوى الجرعة المرّة فقط) . والجرعة تربط بالكأس ، والكأس بصورة رمزية يتواجد في عدد من الأساطير الميثولوجية وخاصة في أساطير اللّيتية (شعب من الهنود الأوروبيين كان يسكن قديماً فرنسا وبريطانيا وإيرلندا) الحقبة المعروفة « مرحلة أرتوس ARTUS » .

والكأس في العشاء السرّي مشهورة جداً واستخدمها السيد المسيح ، الذي جمع به يوسف من الرّامة الدم الثمين الذي سالت من جراحة . هذه الكأس مصنوعة من حجر ثمين واحد ، وهو زمردّة ضخمة ، يمتلك الخصائص العظيمة . وقد نقل فيما بعد إلى (بروتانيو BRETAGNE) حيث ضاع ، وأصبح التفتيش عنه مصدراً لكثير من القصص .

ويقول « فولكانللي FULCANELLI » (الذي يشكّ حالياً) : « أصبح (الغزال – الكأس) السّر الغامض الأكثر ترفّعاً للفروسية الصوفية والماسونية التي تتدنّى ، وهو حجاب نار الخالق (أو الصعب تفسيره) للأحرف المطبوعة فوق رأس المسيح وهو على الصليب (I.N.R.I.) .

ويؤكّد « جوليوس إيفولا JULIUS EVOLA » في مجلة « الدراسات التقليدية » أنه من يعتبر تاريخ « غرال GRAAL » أسطورة مسيحية ، أو فولكلور كلّي وثني ، أو خلق شعري لفروسية متسامية ، لن يقف إلاّ عند الجانب الخارجي والعرضيّ من أهمية نظرية « غرال GRAAL » لأنها شيء فوق الطبيعة ومن فضائلها الأساسية أنها تغذّي « الحياة » و « تنير الروح التي لا تقهر » .

والمصريون كان عندهم أيضاً هذه الخاصيّة ، « سيرابيس SERAPIS » (إله يوناني مصري يأخذ من أوزيريس وزوس) كان مصوّراً غالباً على ضفاف النيل وعلى رأسه

« جردل GARDAL » وفي هذا « الجردل » كان الكهنة يحتفظون بالنار المادية ، كما كانوا يحتفظ بالنار السماوية للإله « بتاه PHTAH » المعتبر لخالق عند المصريين . بيد أن هذا « إله النار » وهذا « إله الحبّ » يتجسّد دوماً في كل كائن ، لأن الكلّ في هذا الكون له شرارته الحيّة . إنه الحمل الوديع المضحّى به منذ بداية العالم ، الذي تقدّمه الكنيسة الكاثوليكية إلى مؤمنيها بشكل « سرّ القربان المقدّس » (الأفخارستيا) محفوظ بكأس القربان كالحب المقدّس . وكأس القربان كما « الغرال » والأواني المقدسة لكافة الأديان تمثّل العضو الأنثوي للتوالد ويتناسب للوعاء الخاص بعلم نشأة الكون « COSMOGONIQUE » لأفلطون ، وكأس هرمس وسليمان وإناء الأسرار القديمة . إذاً « الغرال » هو مفتاح « الغرال » . وهو خلاصة القول نفس الكلمة . إن « الدّم » الجياش في الكأس المقدّسة هو هيجان ناري للحياة أو مزج التكوين . ولا يمكننا إلاّ أن نأسف إلى اللا تبصّر للذين يصرّون ألا يروا في هذا الرّمز ، معرّى من ستائره لغاية العُري إلاّ لانتهاكات الحرومات الإلهية . إن الخبز والخمر للذّبيحة السّرية ، هو الروح أو النار في المادة ، الذي عند اتحادهما ، يشتقّ منهما الحياة » .

إن الكأس المستعملة في الماسونية يجب أن تكون مصنوعة من مادّة الكريستال ، أو من الزجاج ذو اللّون الأخضر ، رمز الانتقال من عالم الجهل إلى عالم الحقائق المتعالية .

الشراب الحلو في آخر جرعة هو الشراب الإلهي الذي يمنح الخلود . إنها « أمريتا AMRITHA » أو « السوما SOMA » في الهند (الفيدا) و « الهاوما HAOMA » في بلاد فارس ، و «الأمبروازيا AMBROISIE » أو « النكتار NECTAR » عند اليونانيين ، و « أوينوس OINOS » أو الخمر الذي يتواجد بنفس الوقت عند اليونانيين والمسيحيين .

إن طقس الكأس هو إحدى التحضيرات الأخيرة للاختبار المُساريّ الماسوني ، وقد لا يقف المكرّسون وطالبوا التكريس على كامل القيمة والمعنى السامي للاختبار المُساريّ . كما قد يبسط محلّلو معنى الرموز إلى حدّ التفاهة . فبعد إنجاز طقس الكأس يتلو طالب التكريس قسمه ويعطى له النور .

تعليق على طاولة الزمرّد

إن النص المشهور لطاولة الزمرّد عند تلامذة هرمس ، يمكن أن يكون مجهول عند بعض القرّاء ، إليكم النص الأكثر صحّة لهذه الكلمات المشهورة :

« إنه صحيح دون كذب ، وأكيد وجدّاً واقعي »
« ما هو تحت هو كالذي فوق ، وما هو فوق هو كالذي تحت »

« وبهذه الأشياء تصنع عجائب الشيء الواحد . وكما أن كل الأشياء كائنة وتأتي من واحد أحد ، عبر واحد أحد ، هكذا كل الأشياء تولد من هذا الشيء الوحيد بواسطة التكييف » .

الشمس هي الأب والقمر هو الأم . والهواء حمله في أحشائه . والأرض هي مرضعته وحاضنته . هو أبو الكل ، وهو « تليسما TELESMA » (وهو المادة البدائية التي يصنع أو يتكوّن منها كل شيء ، وهي حسب « هرمس » « الثلاث مرات كبير جداً » سماء وأرض ، ودقيقة وثانية) . الكون وقوّته ، ما زال كاملاً ، إذا انقلبت إلى أرض ، ستفصل الأرض عن النار ، والدقيق من الكثيف ، بلطف وصناعة كبيرة . سيتصاعد من الأرض وينزل من السماء ويتلقّى قوّة من الأشياء العليا والدنيا . بذلك سيكون لك مجد العالم وكل ظلمة تهرب منك .

إنها القوّة ، القويّة أكثر من كل قوّة ، لأنها ستنتصر على كل شيء دقيق وتخرق كل شيء صلب . هكذا خلق العالم . من ذلك تخرج تلاؤمات رائعة ، لهذا سمّيت بهرمس « الثلاث مرات كبير جداً » ، بما أنني أملك الثلاث أقسام من الفلسفة الكونية .

« ما قلته عن العمل الشمسي هو كامل » .

اللّون الأخضر هو لون الزمرّد وبالتالي « لون الغزال » . وفي اللغة الشعبية يعود إلى الأمل . مع ذلك فاللّون الأخضر الداكن (المائل للزرقة) يعتبر لوناً مشؤوماً ، لاعتقاد الكثير أنه يحمل إليهم البليّة . وفي رمزيّة العناصر ، يعود اللّون الأخضر إلى الماء ، والأحمر إلى النار ، والأزرق إلى الهواء ، والأسود إلى التراب .

في الهيمنات الثلاث ، يتناسب الأسود مع المعادن ، والأخضر مع النباتات ، والأحمر مع الحيوانات .
والأخضر هو تكملة للأحمر ، وفي السحر اللّون الأخضر ينسب إلى المستوى « الكوكبي » أو وسيط بين المستوى الفيزيائي والمستويات العليا . الطابع « الانتقالي » للكأس هو مؤكّد بواسطة لونه الذي علاوةً عن ذلك يتطابق مع الماء . وإذا كان اللّون الأخضر لون الأجسام المنحلّة ، فهو بالوقت عينه يرمز إلى التوالد ، لأن الحياة تولد من الموت .

ففي الحكايات الشعبية ، الأخضر هو لون الجنيّات اللّواتي يزعلن إذا أحداً ما تلبّس بلونهنّ . وفي اللّيتورجيا الكاثوليكية ، يستخدم الأخضر في التزيينات المقدّسة من الأحد الثاني حتى الأحد السادس بعد عيد

الغطاس ، وفي كل الآحاد بعد عيد العنصرة ، أي في الانتظار والأمل لقبول العيدين الكبيرين وهما عيدي الميلاد والفصح .

٧. القسم

عند كل درجة يرقّى إليها ، على الماسوني أن يقسم قسماً جديداً ، لكن الأهم بينها هو القسم المحلّف بشكل احتفالي عند الاختبار المُساريّ بدرجة المبتدئ ، عندما يصبح الدنيوي بنّاءً حرّاً ، وذلك على دفعتين، الأولى فوق « كأس الإراقات » والثانية بعد الامتحانات ، حيث يردّد القسم النهائي .

ويقول « راغون RAGON » أن القسم ليس عاميّ كما يؤدّي في العالم الدنيوي ، لأنه قديم وموقّر ، ولا إكراه فيه ، وتعابيره فعّالة ، لأن الذي يؤدّيه وعيناه معصوبتان يكون في حالة انتقال من القساوة إلى الحضارة . ويقال أنه في الأسرار القديمة كان القسم يصدم روح المكرّس هكذا ، عبر التخويف من العقاب ، كي يقدم على اتخاذ قراره ، وعلى المحافظة على قسمه .

إن القسم موجود لدى كل المجتمعات الإنسانية ، وهو تأكيد خاص ، ووعد احتفالي ، ودائماً يتضمّن أجزاءً ثلاث ، وهي : دعاء ووعد ولعنة .

الدّعاء ، عادة يكون غالباً دعوة للألوهية ، ولكن في بعض الأحيان من القوى الممسوسة وللكائنات المرعبة ، كضمانة للقسم .
الوعد ، هو موضوع القسم بالذات ، أي الإعلان بوضوح عما سيتمّ التعهّد به .
اللّعنة ، تعدد العقوبات التي يتقبّلها مؤدّي القسم في حال لم ينفذ ما تعهّد به .
إن القسم يقيّد من يؤدّيه بشكل نهائي ، ويستحيل عليه الرجوع عنه ، وإذا حصل هذا ، يكون قد حنث بيمينه على التعهّد الذي قام به .

يجب ألاّ نخلط بين القسم ، والميثاق الذي عادةً ما يكون اتفاقاً يمكن فضّه إثر عدم التقيّد به ، أو بأحد شروطه ، أو إثر بعض الظروف ، وذلك على الأقل دون أن يكون مشفوعاً بقسم .
ولم ينفك المؤلّفون المعارضون للماسونية عن تسمية القسم الماسوني بالميثاق ، وذلك لجعل القارئ يقارب بين هذا القسم والميثاق الممسوس .
كتب الأب « ريبيه RIBET » : إن الميثاق ينجز بكلمات توجّه إلى الشيطان ، أو بقبول صيغة يقترحها الشيطان نفسه ، بظهوره وتقديم العون المطلوب منه ، أو بعد استدعائه بواسطة توسّلات ووعود .
وعادة لا يكون هذا التعهّد شفهياً ، بل مكتوباً ، والضحية توقّعه ، بالدم بعض الأحيان ، وغالب الأحيان ينجز التكريس داخل جمعيات

سرية ، وفق صيغ مشينة يفرضها رؤساء هذه الجمعيات على الطلاّب ، بعد التصوير لهم المباهج والازدهار المؤقتين .
بالواقع إن القسم الماسوني يصاغ برعاية مهندس الكون الأعظم أو كتب الشرائع وبالوعد بعدم إفشاء الطقوس الماسونية بغير استحقاق ، وبالقبول مسبقاً بعقاب في حال حنث اليمين .

هذا القسم هو بسيط واحتفالي لكن ليس فيه ما يروّع . والأب « لاريدان LARUDAN » في كتابه « الفراماسون المسحوقون » (أمستردام ١٧٤٧) يورد نصّاً لقسم ماسوني يظهر أنه كلّياً نتاج مخيلّته . وهو : « لذلك أتعهّد تحت طائلة عقوبة أتقبّلها أن حنثت بكلامي ، وهي أن تحرق شفتاي بالحديد الأحمر ، وتقطع يداي ، ويقتلع لساني ، ثم وفي أي محفل للأخوة الفراماسون ، وطوال الاحتفال بقبول أخوة عاملين يعلّق جسدي ، وذلك لذلي الأبدي عن خيانتي ولإخافة الآخرين . ويحرق عند نهاية الجلسة ، ويبعث بالرماد إلى المحافل الرئيسية ، كي يراه باقي الأخوة ويخافون ، ثم يرمى في الهواء ويتبعثر ، وهكذا يحتفظ كل الأخوة بذكرى مخيفة عن خيانتي ، يا إلهي وأناجيله المقدّسة ساعدوني » .

∴

في درجة مبتدئ يؤدّي القسم الأول بإمساك الكأس باليد اليسرى ووضع اليد اليمنى على القلب عندئذٍ تكون الكأس محتوية على الماء

الصافي ، كما أن هاتين الحركتين ترمزان إلى نقاء وإخلاص طالب التكريس .

بالنسبة للقسم الثاني يركّز الطالب طرف البركار ، المفتوح على قلبه وهو يمسك به بيده اليسرى فيما يضع اليد اليمنى على الزاوية الموضوعة على سيف .

لقد رأينا سابقاً رمزية البركار ، فيما اليد اليمنى الموضوعة على الزاوية ترمز إلى الاستقامة وعلى السيف تعني القبول بالعقاب عند الحنوث .

وفي درجة شغّال يضع طالب التكريس اليد اليمنى على الزاوية والبركار المتشابكين .

في درجة أستاذ يمسك في اليد اليمنى البركار موضوعاً على الزاوية فوق سيف .

أن نعود إلى ما سبق وقلناه حول هذه المواضيع ، لأن رمزيتها المبنية سابقاً تفسّر بوضوح معنى قسم كل منها .

بصورة عامة عندما يؤدّي القسم تحرق وصيّة التكريس ، وبالواقع تحرق تلك الوصيّة التي كانت كتبت بيد الطالب ، لأن الكتابات الأرضية قد تختفي وتهلك ، ولكن الذي كتب في الغيب يستمر أبداً .

بالنار يتحوّل المرئي إلى اللامرئي ، الغيب ، هذا كان معنى المحرقات والذّبائح والتقديمات ، المقدّمة في الزمن القديم للآلهة ،

وذلك بقصد إعطاء السمو للفعل المادي وتحويله إلى آخر روحي وانتقاله من صعيد فيزيائي إلى آخر غير مادي .

إن القسم المكتوب والشفهيّ والمحروق يحقق حسب الرمزيّة التقليدية فعلاً كاملاً محققاً بالعناصر الأربعة :

الورق هو المادة الصلبة........................ التراب
الحبر ، سائل ، هو................................ الماء
التلفّظ بصوت عال يتحقق بواسطة................ الهواء
الاحتراق يتحقق أخيراً بواسطة.................. النار

∴

إن طالب التكريس ، بعد تطهرّه من قبل العناصر الأربعة يصبح قادراً بعد أداء القسم بالصيغ التي حدّدناها ، على قبول التكريس الماسوني .

إن التقاليد الخفيّة تغرق وتنطوي وحتى تفسد بالطقوس ، بقدر ما يبتعد هؤلاء عن فهم معناها ويصرّون في الوقت عينه على تكييفها مع العقلية العامة لعصرهم .

وقد أشار إلى هذا التفاؤل « رينيه غينون RENÉ GUÉNON » بالقول : « إن الانتقال من العملانية إلى النظرية أبعد ما يشكل تحسناً كما يشتهي المحدثون الذين لم يفهموا المعنى ، وهو أيضاً ، أي

إلى جانب انحرافه بكل معنى الكلمة ، على الأقل انحطاطاً بمعنى الانتقاص ، وكما قلناه أن هذا الانتقاص عبارة عن إهمال ونسيان في كل ما هو منجز ، لأنه هنا يكمن العملي الحقيقي لكي لا يبقى إلاّ رؤية محض نظرية عن الاختبار المُساريّ . بديهي القول أن غالبية الطقوس ، خاصة تلك المحرّقة منها ، تحتاج إلى إعادة صياغة كاملة لإعادة إعطائها عظمتها وفعاليتها . (ولا شك أن من سيقوم بذلك عليه امتلاك معرفة معمّقة بالرمزية الباطنية وبالمعنى الخاص جداً لحرّية الطقوس ، وبمعرفة جدّية وواسعة بعلم العروق البشرية « أنتولوجي ») .

٨. السيف البرّاق أو المتوهّج

جاء في التوراة « إن الرّب الإله ... أقام شرقي جنّة عدن (الكروبين) وشُعلَةَ سيفٍ متقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة » (سفر التكوين ٣ : ٢٤) .

و(الكروبيون CHERUBINS) هم طائفة أو طبقة من الملائكة ، الذين يمتشقون سيوفاً من نار . أما السيف المتوهّج في الماسونية فهو إعادة تصور لسيوف الحراس الملائكيين .

لذا تعطي شفرة هذا السيف شكلاً متموّجاً يجسّد بصورة موضوعية الحركة المتماوجة لألسنة اللّهب (صورة رقم ٣١) .

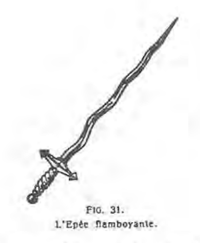


FIG. 31.
L'Epée flamboyante.

وحسب « راغون RAGON » السيف المتوهّج هو سلاح رمزي يعني أن العصيان ، والخطأ ، والسوء ، والجريمة ، يجب أن تستبعد من معابدنا .

وكتب « ويرث » ، الأقرب إلى الحقيقة الماورائية (ميتافيزيقيا) : « إن السيف المتوهّج يرمز إلى « الكلمة » ، أي إلى الفكرة الفعلية . إنه السلاح الوحيد للمكرّس ، الذي لن ينتصر إلا بقوة الفكرة وبالقوة التي يحملها في ذاته » .

وقد درس « ماريوس لو باج MARIUS LE PAGE » السيف المتوهّج مطوّلاً في مجلة « الرمزية » . بالنسبة إليه يحمل هذا السيف ، معنيين هامين ، معنى الخلق بواسطة « الكلمة – النور – الصوت » ، ومعنى التطهر والتكفير في امتحانات المصير .

في الماسونية استخدم السيف المتوهّج في تكريس الطالب ، وإذا الطقوس العديدة على الرغم من اختلافها في بعض التفاصيل ، لكن الفكرة الجوهرية تبقى عينها . غالباً يلتقط المحترم السيف باليد اليسرى ويمدّ شفرته فوق رأس الطالب ، ثم يضرب عليها ثلاث ضربات بالمطرقة . وسابقاً كان المحترم يضع السيف على الشكل التالي : على رأس الطالب ثم على الكتف الأيسر ثم على الكتف الأيمن ، ويطرق طرقة واحدة في كل مرّة ، أو حتى ثلاث طرقات .

متوافقون مع « ماريوس لو باج » نفكّر أنه يتناسب وضع السيف بالتتابع على الرأس ثم على الكتف الأيسر ومن بعده على الأيمن حسب المطابقات « سفيروتية » : (KETHER التاج) – (BINAH العقل) – (HOKHMAH الحكمة) .

ففي طقوس الفروسية القديمة كان القبول كفعل خلق الفارس بضربه بالسيف ومن الجهة المبلطحة لا من الجهة المنسونة باليد اليمنى ثلاث مرات على الرّقبة وعلى الكتف . يقال أيضاً أن « ضربة العرّاب » كانت تعطى بالضرب ثلاث ضربات عنيفة على الرقبة ، الأمر الذي نستغربه لوحشيته ولنتائجه « الفيزيولوجيّة أي الوظائفية » الهامّة ، ولا سيما أن الرقبة هي على رأس العمود الفقري ، وهي قاعدة الرأس والدماغ ، وهو مركز الصلة الذي يكون حسب الفيزيولوجيا عضو صلة الوصل بين الحساسية والحركة .

نشير هنا إلى الدلالة على أنه يوجد تشابه وليس تطابق بين تكريس الفارس وتكريس المبتدئ الماسوني .

يقول « لو باج LE PAGE » أن التكريس وفق الطقوس الماسونية الجديدة تبدأ بهذه الكلمات « إني أخلقك » . إذاً هناك فعل خلق جاء من إرادة ، هي إرادة المحترم العامل باسم الماسونية بواسطة الاهتزاز الصوتي ، والسيف المطروق . لأن كائناً جديداً كلياً يجب أن يخلق . ومفعول الدفقات الصادرة من السيف يجب أن تتشرّب كي تدخل نهائياً إلى الطالب .

هذا المؤلّف هو من القليلين الذين عرفوا كيف يفهمون الرمزية الحقيقية لطقوس التكريس الماسوني . للأسف إن الذين كلفوا القيام بهذا الاحتفال وإنجازه لم يقفوا دائماً وكاملاً على أهميته الخاصة .
يجب التذكير أن الرقم ثلاثة هو رقم درجة المبتدئ ، وعندما نضع السيف على رأس الطالب ، من المناسب طرق ثلاث طرقات ، أما إذا وضع على الرأس والكتفين تطرق طرقة واحدة كل مرّة ، وإلاّ تكون الطرقات ساعتئذٍ ، تسعة ، وتتناسب مع درجة أستاذ .

فضلاً عن ذلك إن الطقس المحدّد في مؤتمر لوزان عام ١٨٧٥ يحدّد : « إن المحترم يضرب ثلاث ضربات متساوية بمطرقته على شفرة السيف الموضوع بصورة خفيفة على رأس الطالب » .

يجب أن يمسك السيف المتوهّج باليد اليسرى (الجانب السلبي) والمطرقة باليد اليمنى (الجانب الإيجابي) . هذا السيف ليس سلاحاً بل هو أداة للنقل ولذلك يتوجّب إمساكه باليد اليسرى .

لا يجب استعمال السيف المتوهّج إلاّ عند تكريسات فردية ، إذ في الاحتفالات الأخرى تستخدم سيوف ذات شفرات مستقيمة .

داخل المحفل يمسك السيف دائماً باليد اليسرى ، (بعض المرات نحمّل السيف للطالب ونطلب منه أن يضع طرفه على صدره ، وهذا خطأ يتوجّب تجنّبه ، لأن الطالب يتوجّب عليه وضع طرف البركار وليس السيف على صدره) . فقط الحارس يمسك السيف باليد اليمنى لأنه مدافع مكلّف بالسهر على حراسة الهيكل بقساوة ، كي يمنع دخول أي غريب إليه .

تستخدم السيوف مرّتين عند القبول بالدرجة الأولى .

١. المرّة الأولى تستخدم السيوف في الرحلة الثانية للطالب لإحداث الضجّة التي ترمز بالطقس إلى معارك الإنسان الذي يجب عليه أن يشنّها لكي ينتصر على عواطفه وأهوائه وعلى عواطف وأهواء الآخرين . وهذا الهدير العدائي هو الصادر من الغابة العميقة والحظيرة الذي على المكرّس أن يتجاوزه .

٢. المرّة الثانية عندما « يتلقّى الطالب النور » ، عندها كل أعضاء المحفل يوجّهون إليه رؤوس سيوفهم ، ليقدّموا له العون بحصر جهد قويّ ومنتفع له .

طبعاً لم يتوان المناهضون للماسونية عن النظر إلى هذه الحركة على أنها تهديد بالموت يوجّه على للمكرّس الذي يتخاذل أو يتراجع .

« عند طرق المطرقة تسقط العصبة ، يقول « جان كوتسكا » الذي كان يعرف جيداً معنى هذا الطقس ، فيبصر المنتسب الجديد « مجلس لوسيفير » الذي يهدّده المنتقم » .

أجل صحيح أن الطقس يقول أن السيوف الموجّهة نحو الطالب تشير من جهة إلى العون الذي يمكن أن ينتظره من أخوته ، ومن جهة ثانية تشير إلى العقاب الذي يتعرّض له إن خنث بوعده . هذا تفسير تعليمي صرف على المكرّس ألاّ يكتفي به .

إن السيوف الماسونية مصنوعة من شفرة ضيقة ومن حدّين ، وقبضاتها ذات شكل صليب ، عادةً تكون مزخرفة بصور رمزية . هذه السيوف – وهنا علينا أن نكرّر تفسيرنا – ليس لها أية إمكانية للقتل . إنها فقط أدوات ومن المهم ألاّ ننكر فضائلها . لأن وجودها في الماسونية يشير إلى أن التكريس الحاصل هو فعلي ، أي بعلاقة مع إرادة المنتسب ، الذي عليه أن يصارع ليدخل بالاختبار المُساريّ .

القبّة الفولاذية .

إن « القبّة الفولاذية » هو شرف خاص يؤدّي لذوي الشأن والأعيان في بعض المناسبات ، إذ يصطف الماسون على صفّين متوازيين ومتقابلين ويشبكون السيوف الممسوكة باليد اليمنى ، بشكل يتكون في قبّة ، من تحتها يمرّ الذي يؤدّى له هذا التشريف . وهنا علامة الانتظام (أي السلام) تؤدّى بصورة استثنائية باليد اليسرى .

يعود تاريخ هذا التشريف إلى القرن الثامن عشر عندما دخل لويس السادس عشر إلى فندق المدينة في باريس ، يوم السابع عشر من تموز ١٧٨٩ ، وشكّل له الماسونيون الحاضرون هذه القبّة الفولاذية على درج هذا الصرح . إن رمزية « القبّة الفولاذية » تحكي عن نفسها دون التشديد على الحديث عنها . وهي أن الماسونيين يضعون قوتّهم بخدمة الذي يحتفلون به ، وأن هذا النوع من السقف يمثّل الحماية التي يؤدّونها . وأن السيف عندما يكون ممسوك باليد اليسرى، يكون عمل مادّي وليس لنقل معنوي للاختبار المُساريّ .

هذا الاحتفال احتفظ به ، أو تبنّاه العسكر عند زواجهم ، ويشكّل طقساً عند جماعة « الكزاترياس KHSATRIAS » (يعرف أن الطبقات الأربعة في الهند هي: « البراهمانيين BRAHMANES » أي الكهنة، « الكزاترياسيين KHSATRIASIENS » أي المحاربين ،

« الفايزسيين VAICYASIENS » أي المزارعين والتجار ، « السودارسيين CUDRASIENS » أي العمال والحرفيين ، وحسب التخطيط العلمي العاشر لأقدم مجموعة أناشيد للكتب المقدّسة الهندوسية فإن الطبعة الأولى هي فم الإله ، والثانية ذراعاه والثالثة جانباه والرابعة قدماه ، الأمر الذي يوجد تناسباً مع العناصر الأربعة وهي النار ، الهواء ، الماء والتراب) .

٩. النقاط الثلاث

عادةً تستخدم النقاط الثلاث بشكل مثلّث كعلامة مختصرة في الماسونية ، بدون شكّ يشار إلى الماسونيين بنعت « أخوة النقاط الثلاث » . هذا النعت الذي يطلقه المناهضون للماسون كسخرية وتهكّم ليس هو كذلك بحدّ ذاته لأنه يؤكّد فقط أن النقاط الثلاث هي مهمّة في الماسونية ، لأنها تمثّل الدلتا أو المثلث الذي سنتكلّم عنه فيما بعد .

يوضح « راغون RAGON » أن الاختصار بالنقاط الثلاث لم ينطلق إلاّ مع بيان الثاني عشر من آب ١٧٧٤ المرسل إلى المحافل من قبل الشرق الأكبر ، للإعلان عن امتلاك مكان إقامة جديد .

بينما يؤكّد « ف. شابوي F. CHAPUIS » عكس ما أوضحه « راغون » بأن هذا الاختصار هو سابق لعام ١٧٧٣، إذ على السجل الأول للمحاضر لمحفل « الإخلاص » ، في شرق « بيزنسون » ظهرت النقاط الثلاث (صورة رقم ٣٢) .

a b c d
FIG. 32. — Les trois points.

هذه الوضعية لُحظت جيداً في البيان وسُجّلت في انتخابات الثالث من كانون الأول ١٧٦٤ .

وكتب « جان دي بافيللي » : أتت النقاط الثلاث من جمعية المهن حيث ظهرت لترمز إلى المثلّث . والنقاط الثلاث قد ترمز إلى رمز ثلاثي الجوانب ، (كل منها مطوي على شكل مثلّث ، ومتواجد على الميداليات القديمة ، وهذا الرمز مشابه لرمز آخر مؤلّف من اندماج ثلاثة أحرف S على قاعدة مثلّثة ، وهذا نوع من مزدوج لولبي ، قد يكون رمزاً شمسياً متشابهاً « للسواستيكا » الموجود لدى كل الشعوب الهندو-أوروبية) . ونتج هذا الرمز الثلاثي من بعض تمثيلات النقاط الثلاث الحاملة معها رموزاً ثلاثية (ثلاث أرجل بشكل مثلّث) . وظهر أن النقاط الثلاث كانت ذات دلالة في طقس جمعية المهن (رفاق الحرية أو رفاق واجب الحرية) .

والاختصار الثلاثي قد لا يكون دائماً مثلّثاً مرتكزاً على قاعدته ، وإنما نجده أيضاً تحت أشكال أخرى (راجع صورة رقم ٣٢) . ويقول « فيشر » حول هذا الموضوع :

نحن أمام وضعية تؤكّد بكثير من الدّقة أن الاختصار الماسوني للنقاط الثلاث قد جاء من الفنّ الهيروغليفي المصري ، حيث كان مطبّقاً على الشكل التالي : « لتسجيل عدد من الخضار المتشابهة أو من النوع عينه ، كان المصريون يكتبون الحرف الأول من الشتلة ويضعون ثلاث زهرات لوتوس وراء هذا الحرف . وكانوا يضيفون ثلاث حبات وراء الحرف الأول لاسم المعدن وثلاث خطوط متموّجة وراء الحرف الأول للسائل » .

« ولفهم العالم القديم وخصوصاً التاريخ والاستعمالات لدى المصريين القدامى ، يجب ألاّ نتجاهل أن الدين لديهم كان يهيمن على الحياة الخاصة ، وكل ظروف الحياة الخاصة والعامة كان لها بالضرورة مسحة دينية ، وطابع رمزي » .

يقول « فيشر » أن ثلاث نقاط الاختصار الماسوني هي تقليد لزهرات اللّوتوس الثلاث ، للحبّات الثلاث ، للنقاط والخطوط المتوّجة الثلاث .

من رسالة صديقنا الدكتور « أوكتاف بليار OCTAVE BELIARD » الذي حول هذا الموضوع نورد المقاطع التالية :
« إنه لمن التبسيط أن النقاط الثلاث الماسونية تعود بأصلها إلى الهيروغليفية المصرية لأنه إذا كتبنا أ.·. (أخ) و ش.·. (شرق) والنقاط الثلاث هي إحدى علامات الجمع في تلك اللغة » .

أيضاً في العصور الكلاسيكية يشكّل الجمع بإضافة الدّلالة النوعية للشيء المعني ثلاث مرّات ، علماً أن زهرات اللّوتوس الثلاث لم تكن لتدل فقط على اللّوتوس على عدد غير محدّد ، وعلى أشياء كثيرة ، وعلى الجمع ، عبّر عنه المصريون بثلاثة ، لكنهم استعملوا شيئاً آخر للتدليل على ثلاثة فقط .
وأضيف بشأن الخطوط الثلاثة المتموّجة التي تكلّم عنها « فيشر » للتدليل على سائل .
إن الخط المتموّج كان حرف (N) . وثلاثة من هذا الحرف هي الدلالة العامة لكل السوائل ، لكل ما يرتبط بها من أفكار ، (كالنقاء والتطهر ، إلخ...) . وأعتقد أن هذا آتٍ من فكرة المياه الأولية الكونية لدى بدء العالم ، الدلالة عليها هي .N.OU » .

من هنا تلاحظون ، يقول الدكتور بليار ، كم يشرد « فيشر » عندما يقول : عند الإشارة إلى جمع شيء ما ، أن المصريين كانوا يثنّوا ، ويثلّثوا ، ويربّعوا ... إلخ ، العلامة أو الهيروغليفية الأساسية ، وفقاً

للكمية . بالواقع لم يربّعوا ، بل يثنّوا المثنّى ، ويثلّثوا الجمع للمعيّن وحتى الاسم الكامل أحياناً وخاصة إذا كان مكوّن من كلمة غير واضحة . وليس الحرف الأول كما تفعل بـ : أأ .:. أي الأخوة ، وفي ش ش .:. أي الشروق .

هذا الحرف الأول والرمز الفكرة أو الصوت والعلامة الأبجدية والمقطعية كانت لا تعني شيئاً . في المصرية كان الحرف الأساسي بعض المرات يعني كلمة كاملة ومعاني مختلفة ككلمة بحر MER التي كانت تعني أبيض وحب ومحراث إلخ ... إنه التعريف الذي يوضع بعد الكلمة الذي يحدّد كل المعنى .

لذا ليس علينا أن نضيف شيئاً إلى دحض الشروحات المخطئة لـ « فيشر » .

المختصرات

لقد استعملت المختصرات بإفراط عند اليونانيين والرومان ، وهؤلاء جعلوا نصوصهم صعبة القراءة كما أمر بذلك الامبراطور « جوستينيان » . كما أن الاسم الرمزي (SIGLE) كان يقوم على استعمال حرف واحد للتدليل على كلمة واحدة .

وقد شاع الاختصار بالتقلّص في العصور الوسطى واستعمل له من أصل الكلمة حرفان أو ثلاثة للتدليل على تلك الكلمة وليس على غيرها ، وذلك مع خط فوق حروف الاختصار .

وفي أيامنا استخدام الاختصار أصبح مصنّفاً ودقيقاً ولا يلقى صعوبات .

غالباً كلمة محفل ترسم بشكل مربّع أو مستطيل وهنا ليس لأن المحفل مربّع أو مستطيل إنما الحرف الأبجدي الماسوني هو مربّع ولكن لا يجب أن ننسى أن نرسم في وسطه نقطة . ولا نعلم من أين كان أساس الأبجدية الماسونية والتي تشكّل رسومات أساسها زوايا قائمة وليست عبرانية . يوجد في الماسونية أبجديات أخرى للدرجات العليا ولكنها لا تستعمل .

والاختصارات المستعملة في الماسونية من النوع الذي لا يتقاطع مع غيره (معلّق) . ولا سيما أن القاعدة الصارمة تقضي بعدم استعمال الاختصار إلاّ للمفردات الماسونية ، وبالتالي لا يستخدم مع الدنيويين . وهذه أهمها :

الأول يستعمل فيه الحرف الأول من الكلمات التالية : أ.·. أخ ، ش.·. شرق ، ع.·. عصر ، م.·. ماسوني ، ع.·. ت.·. عصر تافه ، أ.·. ع.·. أخ عزيز ، س.·. ن.·. سنة النور ، ل.·. م.·. م.·. ك.·. أ.·. لمجد مهندس الكون الأعظم .

الثاني يستعمل فيه المقطع الصوتي الأول ، وذلك كي لا يكون هناك إبهام أو شكّ . كما في الكلمات التالية أع.·. أعمال ، نو.·. نور ، أخ.·. أخوي ، مح.·. محترم ، من.·. منبه ، خط.·. خطيب ، أمس.·. أمين السر ، زا.·. زائر ، عا.·. عادي .

وللتدليل على الجمع في الاختصارات يثنى الحرف في النوع الأول ولا يثنى المقطع الصوتي : أ.·. أ.·. أخوان ، م.·. م.·. محترمي محافل .·.

الأبجدية الماسونية

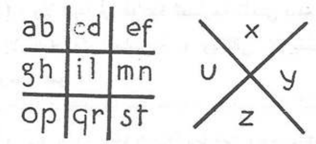


FIG. 33. — Clef de l'alphabet maçonnique.

Les lettres sont les suivantes :

a b c d e f g h i l m

n-o p q r s t u x y z

FIG. 34. — L'alphabet maçonnique.

Les lettres k, j, v et w manquent; elles sont remplacées par c, i, u.

تستعمل التحريفات عادةً في الماسونية لكتابة العناوين في المراسلات وأيضاً لكتابة الكلمات المقدّسة وكلمات المرور لكلّ درجة .

LES ANAGRAMMES

Les anagrammes ont souvent été utilisés en Maçonnerie pour la suscription des correspondances . Voici quelques exemples :
Monsieur Legrand Netori……pour Grand Orient
Monsieur Carpidie………….. pour Loge Picardie
Monsieur Sithem……………. pour Loge Thémis .
Fréquemment aussi les mots sacrés et les mots de passe afféreny à chaque grade sont donnés sous forme d'anagramme .

١٠ . العصر الماسوني

كي يتمّ التأريخ وفق العصر الماسوني ، يضاف أربعة آلاف لسنة التأريخ العادي ، وذلك لإعادة أصل الماسونية بصورة رمزية إلى بداية خلق العالم وفقاً للتقليد التوراتي . كتب « وينتر WINTER » بهذا الخصوص :
إن « جيمس أوشر » صاحب رتبة كنسية عالية ، أنكليكاني وعالم ، ولد في دبلن عام ١٥٨٠ ودفن في « ويستمنستر » بناءً لأمر من « كرومويل » الذي قدّر علمه ، وكتب أعمالاً مختلفة ، أحدها (كتاب

السنين فيتيرس ونوفي تستامنتي) (١٦٥٠ – ١٦٥٤) يحتوي على تأريخ توراتي شهير يعود إلى سنة أربعة آلاف وأربع قبل الميلاد ، إلى تاريخ خلق العالم . يجب فهم ذلك أنه العصر الذي بدأ فيه تاريخ العالم بنوع من الدقة (سفر التكوين) .

من المرجّح أن مؤسسي الماسونية الحديثة أخذوا هذا التأريخ كأساس للعصر الماسوني ، الذي يعيدونه بصورة رمزية إلى خلق العالم . وتنسجم تراتبية « أندرسون » مع هذا التأريخ ، الذي هو من رأي هذا الدكتور والقسيس البروتستاني . (أندرسون هو مؤلّف كتاب دساتير الماسون المنشور عام ١٧٢٣ ، وهذا الكتاب خارج القسم التاريخي ، هو قابل للنقاش ، ولكنه يحتوي على موجبات الماسوني التي لا زالت لتاريخه تؤخذ بعين الاعتبار) . نضيف أن تسلسل الأحداث تاريخياً « لأوشر » وضع وفق النص العبري .
« ستيفان هالز STEPHEN HELES » يضع تسلسل تاريخي توراتي منذ مئة سنة ، هو بريطاني وعالم نبات وفيزيائي ، وعضو الجمعية الملكية في لندن ، ولد سنة ١٦٧٧ في دوقية « كنت » ومات سنة ١٧٦١ ، وضع تأريخاً يعيد خلق العالم إلى العام ٥٤١١ قبل العصر الجاري .
أضاف : يظهر أنه عندما اعتمد الماسونيون تسلسل الأحداث التاريخية « أوشر » كقاعدة للعصر الماسوني ، لم يكن تأريخ « هالز » قد وجد بعد . ولم أجد وقت ظهور التأريخ الأخير

لـ « هالز » ، لكنها قد تكون لاحقة لسنوات ١٧٢١ و ١٧٢٣ .
ولاعتماد التأريخ الماسوني يشار إلى أن شهر آذار هو الشهر الأول وشهر شباط هو الشهر الأخير، فآذار يتناسب مع الحمل ، العلامة الأولى في الفلك وشباط مع الحوت ، العلامة الأخيرة .
فمثلاً ١٥ شباط ١٩٤٧ يكون في العصر الماسوني ٥٩٤٦/٢/١٥ ، ومثلاً ٦ آذار ١٩٤٧ يكون في العصر الماسوني ٥٩٤٧/١/٦ .

∴

إن درس الروزنامة معقّد جداً ، تحت حكم « شارلمانيه » ، كان أول السنة محدّداً بالأول من آذار . وفي القرن الثاني عشر ، أصرّت الكنيسة على أن السنة تبدأ من سبت النور ، عشية عيد الفصح ، عشية قيامة المسيح ، لكن هذا الأمر يجعل أيام السنة عدداً متغيّراً ، نظراً لتحرك موعد عيد الفصح . شارل التاسع عام ١٥٦٤ أعاد بدء السنة إلى الأول من كانون الثاني ، ثم احتفظنا بهذا الاستعمال .
وهناك بعض الانقطاع عند ظهور الروزنامة الجمهورية ، إذ الجمعية الوطنية صوّتت في ٥ تشرين الأول ١٧٩٣ على مرسوم يقضي بأن السنة تبدأ يوم الاعتدال الشمسي عند الخريف ، أي يوم ٢٢ أيلول عند منتصف الليل . وهذا التأريخ اختير بدلاً من الاعتدال الشمسي الربيعي في ٢٢ آذار ، لأنه تحديداً أعلنت الجمهورية الفرنسية يوم ٢٢ أيلول ١٧٩٢ ، وذكرى ذلك اليوم الشمسي « فاندومیار » ، الأول من السنة الأولى للجمهورية . وقد استمرّت الروزنامة

الجمهورية قيد الاستعمال طوال ثلاث عشرة سنة حتى الأول من كانون الثاني ١٨٠٦ .

∴

كل الأشهر أخذت عددية الثلاثين يوماً وكان يجب إضافة خمسة أو ستة أيام على الأشهر وكانت تسمى « LES SANS CULOTTIDES » أي « الغير مسرولة » نسبة إلى الجيش الجمهوري الذي كان يرتدي السراويل وكانت تعني هذه العبارة أن هذه الأيام الخمسة أو الستة كانت غير خاضعة للنظام الجمهوري .

إلى أن ألغى « نابليون بونابرت » هذه الرزنامة إرضاءً لمشيئة « روما » أو الكنيسة الكاثوليكية .

إن واقع إضافة أربعة آلاف سنة للسنة الجارية ، هو تأريخ رمزي لبداية العالم (وكانت إثباتاً كلّياً للحرية الدينية) . لكن الماسونية أقلعت عن هذا الاستعمال في يومنا ، وعادةً ما تؤرّخ وفق العصر الحالي .

إن هذا التراجع أمام الاستعمالات العادية يبدو لنا خطأً .

وفي بعض الأحيان يسبق الأعداد الثلاثة الأخيرة من التأريخ الحالي بعلامة ، اللانهاية وهي رمز إلى اللانهاية في الرياضيات . وإذا ما اعتمدت الفترة « اليوليوسية » ، قد تبدو الماسونية أكثر واقعية ، ومنطقياً هذه الفترة هي ٧٩٨٠ وهي حصيلة الأعداد ١٥ ، ١٩ ، ٢٨ وهي على التوالي ، تدليل روماني (فترة ١٥ سنة) ، والدورة القمرية أو العدد الذهبي (فترة ١٩ سنة) بعدها يعود القمر إلى سابق وضعه

ومنطقياً هذه الفترة هي ٧٩٨٠ وهي حصيلة الأعداد ١٥ ، ١٩ ، ٢٨ وهي على التوالي ، تدليل روماني (فترة ١٥ سنة) ، والدورة القمرية أو العدد الذهبي (فترة ١٩ سنة) بعدها يعود القمر إلى سابق وضعه بالتمام ، والدورة الشمسية (فترة ٢٨ ، بعدها تعود أيام الأسبوع لنفس التواريخ في الأشهر) .

و « شكاليجر SCALIGER » يرى أن سنة ٤٧١٣ قبل المسيح تمتلك وحدة التدليل الروماني (وهو الدورة الشمسية والدورة القمرية) .

فإذا ما سعينا ما بين السنوات الأولى في مختلف العصور ، انطلاقاً من الفترة « اليوليوسية » لوجدنا :

٩٦٣ – السنة الأولى لعصر اليهود .
٣٩٣٨ – السنة الأولى لعصر الاولمبياد .
٣٩٦١ – السنة الأولى لتأسيس روما « فارون VARRON »
٣٩٦٧ – السنة الأولى لنبونسار (نبوخذ نصّر) .
٤٧١٤ – السنة الأولى المسيحية .
٥٣٣٥ – السنة الأولى للهجرة .
٦٥٠٥ – السنة الأولى للجمهورية .

إذا كان تال ٤٠٠٠ سنة الرمزية قد رفضت كمضاعفات لا تجدي نفعاً ال ٤٧١٣ سنة التي ننصح بها ليس لها أية حظ أن تقبل .

الفصل الثالث

المحترف (المشغل ATELIER)

١. الهيكل والمحفل :

إن المجالس للماسونيين لمختلف الدرجات تسمّى غالباً « مشاغل ATELIERS » كذكرى لجمعيات « البنّائين » الأوائل العملية . ويتميّز كل مشغل بلون يتناسب مع الوشاح الذي يلبسه أعضاؤه . المشاغل الزرقاء أو الرمزية ، هي المحافل التي تجمع الماسونيين من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثالثة .

المشاغل الحمراء (أو مجمعية) : هي المقامات التي تجمع الماسونيين من الدرجة الرابعة إلى الدرجة الثامنة عشر .
المشاغل السوداء (أو الفلسفية) : هي المجالس أو مجمّع للماسونيين من الدرجة التاسعة عشر إلى الدرجة الثلاثين .
المشاغل البيضاء : هي المحاكم الأسمى لدرجة الواحد والثلاثين ، ومجمع الدرجة الثاني والثلاثين ، والمجلس السامي للدرجة الثالث والثلاثين .

يختلف المؤلّفون الماسونيون فيما بينهم على تسمية هيكل ومحفل . عند البعض ليس الأمر سوى مجموعة ماسون ، وعند آخرين أيضاً لا وجود للمحفل إلاّ عند اجتماع الماسونيين وانعزالهم .

(المشاغل التي تجمع الماسون من الدرجة الرابعة إلى الرابعة عشر تسمى محافل الكمال ولا تتميّز بأي لون . ربما سمّيت بالمشاغل الخضراء بالنظر إلى وشاح الأستاذ الكامل (الدرجة الخامسة) لكن هذه الدرجة لا تمارس ، كما لا تمارس سائر الدرجات ، أي أنها تعطى دون تكريس .

في الطقس الإيكوسي تعطى الدرجات التالية :

١ – ٢ – ٣ – ٤ – ١٣ – ١٤ – ١٨ – ٣٠ – ٣١ – ٣٢ – ٣٣ –

في الطقس الفرنسي لا تطبّق إلاّ الدرجات التالية :

١ – ٢ – ٣ – ١٨ – ٣٠ – ٣١ – ٣٢ – ٣٣–

المحفل هو مجموعة من الماسونيين ، وحدة جماعية محدّدة لها حيويّتها الخاصة بها ، وروحيتها الخاصة بها . وفي المناسبات ، إن الماسوني الذي يزور محفلاً غير محفله ، يشعر باختلاف واضح بين روحية المحفل الذي يزوره والمحفل الذي ينتمي إليه .

بالعكس ، إن المكان غير ذي أهمية ، لأن أي محفل يجتمع في هذا الهيكل أو في غيره دون إن تتأثّر خصائصه الخاصة به . (فكم كان قرار حكومة فيشي بإلغاء الماسونية قراراً وهمياً بظلّ الاحتلال

الألماني ، لأنه بقي الماسونيون في المحافل يحوّلون المكان الذي يجتمعون فيه ، وذلك بحماس أكبر لم يعرفوه سابقاً) .

يقول « إدمون غلوتون » بصواب : إنه هناك الكثير من الأخوة يفكّرون خطأ بوجوب وجود مشغل مرتّب وفق زخرفة معينة ليؤوا إلى أعمالهم ، لأنه أي قاعة تصلح لذلك ، لحظة تكوّن المحفل بين الأعمدة . وإذا ما عرفت هذه التفاصيل أكثر فأكثر ، ستتواجد مشاغل في كثير من الشروق ، لأن بعض الأخوة يتراجعون أمام النفقات التي يستوجبها تجهيز وصيانة مكان خاص ، وإذا ما اجتمعوا عند أحدهم فيستطيعون أن يشتغلوا ماسونياً .

كل درجة تمتلك « لوحة محفل » . وهذه اللّوحة كانت في البداية ترسم على الأرض بواسطة طبشورة .

وسندرس في الفصل الرابع « لوحة المبتدئ » .

إن كلمة محفل آتية لا محال من « الرفاقية » . يقول « هنري كريبان HENRI CREPIN » أن كلّ هؤلاء العمّال كانوا يعملون في ورش مقامة تحت غطاء رمادي ثقيل ، المحافل كانت مقسومة حسب تعبير ذلك الزمان ، إلى غرف ومشاغل ، كمدينة عمّال حقيقية محكومة من قبل المهندس أو « مقصّب الحجارة APPAREILLEURS » . وهذا الكاتب يقول في مكان آخر أن الحرفيين الذين عملوا في كاتدرائية « ستراسبورغ » عام ١٢٧٦ ، كانوا ينقسمون أو يتجمعون في محافل ماسونية محكومة بأنظمة خاصة ، كنوع من روابط أو جمعيّات ديمقراطية ، دينية ، وسريّة ،

كغالبية الجمعيات المشابهة التي تكوّنت في تلك الحقبة . سنعود إلى معالجة هذه المسألة في الفصل الرابع .
إن الهيكل هو التحقيق المادي « للوحة المحفل » ورمزياً متّجه كاتّجاه مذبح الكنائس ، إذ المدخل هو في الغرب ومركز المحترم في الشرق والجهة اليمنى إلى الجنوب واليسرى إلى الشمال .

ويوضح « راغون » وهو يتحدث عن المحفل : أن المحفل هو مربع طويل ، الذي هو (LOGA) بالسنسكريتية ، وهو يعني العالم ، الذي يشبه الدائرة وعلى الأقل الدائرة المستطيلة ، كالمدار الذي يقطعه سنوياً كوكبنا حول الشمس .
يقول « راغون » أن هذا الخطأ يرجع بتاريخه إلى قدامى المكرّسين الذين لم يشكّوا أبداً بهذا التناقض وقد أعطوا للأرض هذا الشكل ، من هنا التعابير الغربية من خط الطول وخط العرض المستعمل من الجغرافيين ، وهذا الخطأ حاد ومستمر .
هذا الجهل المنسوب إلى الأقدمين من قبل « راغون » ، يبدو أنه كان مشكوك فيه . وقد كتب « لويس شوشود LOUIS CHOCHOD » بمعرض الحديث عن الأشكال المربّعة لدى الصينيين أن الصيغ السحرية للصين اتخذت من الدائرة رمزاً للكون ، ومن المربع رمزاً للانتظام الرباعي للتيار الكوني . كما زعم بعض المستشرقين بأن الصينيين تخيّلوا السماء كروية والأرض مربّعة ومسطّحة .

يبدو لنا أن شكل الهيكل مربّع المستطيل (المربع المستطيل يشكّل « القاعدة الذهبية » المستعملة من قبل « بتروس تالماريانوس PETRUS TALEMARIANUS » لبناء نظريات تكريسية ، ولبناء محفل ماسوني ، الذي هو تجسيد للقاعدة الذهبية ، والذي يتكوّن من مربّعين فلكيين ، نقطتا ارتكازهما يشكّلان طرفي الاعتدال الشمسي وتساوي النهار بالليل ، إنه صورة عن الكون الشمسي) .

إن هذا الشكل هو المفضّل على أي شكل آخر ، لجهة التطبيق ولجهة الرمز ، لأنه يتوافق مع التقسيم الداخلي ، ويشكّل الممر أو الطريق المؤدية من الغرب إلى الشرق ، أي نحو النور . وإذا ما كان الهيكل موجّهاً باتجاه غرب – شرق ، فإنه ينتقل مع الأرض ويذهب لملاقاة الشمس .

الهيكل حيث يمكن إقامته ، هو مكان موقّر حيث يسيطر النور ، بالمعنى الماسوني للكلمة . لذا الرسائل الماسونية تصدر عن هيكل أو عن محفل تكون مؤرّخة . هكذا : شرق ... ، وعندما الماسوني يكتب مكتوب لأخيه ، لا يجب عليه أن يؤرّخه هكذا (شرق ...) لأن الشرق ليس مرادف لاسم مدينة .

وعندما يسأل ماسوني عن حدود الهيكل ، عليه أن يجيب ، « طوله يبدأ من الغرب إلى الشرق ، وعرضه من الشمال إلى الجنوب وارتفاعه من أعماق الأرض إلى أعلى السماء » ، لأن الهيكل هو صورة الكون ، وحدوده لا يمكن أن تكون محدّدة .

« رَحبة » هو المكان الذي يكون أمام الهيكل ، وهو تعبير شائع الاستعمال في الماسونية للتدليل على أطراف الهيكل . « الرَحبة » في معبد أورشليم كان مؤلّفاً من ثلاث فسحات ، الواحدة فوق الأخرى، و « رَحبة » الكهنة ، هو المكان الذي لا يجلس فيه إلاّ الكهنة .

- **محفل « سان جان » (القديس يوحنا)**

محافل الدرجات الثلاث الأولى في الماسونية تسمى محافل « سان جان » . إليكم وحسب الطقوس القديمة ، الأسئلة التي كان تطرح للأخ الزائر والأجوبة التي عليه إجابتها :

- أخي من أين أنت آتٍ ؟
- من محفل « سان جان » ، محترم .
- ما يفعلون في محفل « سان جان » ؟
- ينشؤون هياكل للفضيلة ويحطمون الحبوس المظلمة المخصصة للرذائل .
- ماذا تجلب معك ؟
- سلام ويُمن وترحيب لكل الأخوة .
- ماذا جئت تعمل هنا ؟
- لأسيطر على أهوائي وأُخضع إرادتي لواجباتي وأُحرز تقدّماً في الماسونية .

– إجلس يا أخي ونرحّب بك في مشغلنا الذي يتلّقى بشكر مؤازرة أنوارك .

بالنسبة لـ « أوزوالد ويرث » ليس هناك من شكّ أن هذه التسمية محفل « سان جان » متأتية من العصور الوسطى ، للتعاونيات البنائية ، من « الجمعيات الأخوية لـ « سان جان » . ونجد لمعلّمي البنّائين من مفصّلي وناحتي الحجارة ، قديسيهم وهم : « سان بازيل » ، « سان توما » ، « سان لويس » ، « سان غريغوار » ، « سان ألبينيان » ، « سان مارتان » ، « سان اتيان » ، « سانت بربارة » ، « الأربعة المتوّجين » وغيرهم . ولم يذكر « سان جان » .

إن عيدي القديس يوحنا الإنجيلي ، ويوحنا المعمدان هما على التوالي في ٢٧ كانون الأول (الاعتدال الشتوي) وفي ٢٤ حزيران (الاعتدال الصيفي) ، هما عيدان شهيران في الماسونية ، يحتفل فيهما بجلسات خاصة .

القديس يوحنا المعمدان ، ابن زكريا وأليصابات ، نسيبة العذراء مريم، سُمّي « بالسابق » لأنه كان عليه أن يحضر الطريق أمام يسوع ، وسمّي « بالمعمداني » ، لأنه كان يعمّد في نهر الأردن ، وقد زجّه هيرودوس في السجن لغضبه على ما أنّبه عليه من زواجه من امرأة أخيه ، هيروديا ، ثم فيما بعد قطع رأسه . يعيّد لقطع رأسه في ٢٩ آب . والمعابد الصغيرة التي شيّدت بالقرب من الكاتدرائيات،

وبالنظر إلى الغاية منها سمّيت « المعمدانية » وكانت تهدى إلى القديس يوحنا المعمداني . « يوحنا المبشّر » ، نو الابتسامة السحرية، التي أعطاه إياها ليوناردو دي فنتشي في لوحاته يعظ بالزهد والتوبة .

ربما الماسونية تلعب ، بمعنى ما ، دور المبشّر وتذكرنا بالصراع الروحي الذي قاده يوحنا المعمداني ضدّ العشّارين والجموع . « يوحنا المبشّر » الذي كان يشاطر مأكله وثيابه مع المحتاجين والتعساء ، كان يعتبر شخصاً محفوفاً بالمخاطر ، ولأجل أفكاره الأخوية والعادلة قطع هيرودوس رأسه ، إنها جريمة لا تغتفر .

وبالنسبة إلى يوحنّا الإنجيلي ، فقد ترك لنا مقدّمة إنجيله ، كإنجاز حقيقي كلّه شاعريّة وباطنية .

في البدء كان الكلمة

والكلمة كان عند الله

وكان الكلمة الله

هذا كان في البدء عند الله

كلّ به كون وبغيره لم يكن

شيء مما كان

فيه كانت الحياة

والحياة كانت نور الناس

والنور يضيء في الظلمة

والظلمة لم تُدركه

في بعض المحافل يوضع الكتاب المقدّس الذي يحتوي العهدين القديم والجديد ويفتح عند الصفحة الأولى من إنجيل يوحنا الموصوف غالباً « بإنجيل الروح » . وحسب بعض المؤلّفين يمثّل القديس بطرس الكنيسة « الخارجية » والقديس يوحنا « الداخلية » . أيضاً قد يفهم من استعمال لفظة « سان جان » في الماسونية الإثبات الأكيد لتعلّقه بالغنوصية (GNOSE) المعتبرة لفقه سرّي وباطني للكنيسة . وعلينا الإشارة أن اسم جان يعود أيضاً للأسطورة السرية « للكاهن جان » في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، الذي كان ملكاً للتتر . ولغاية القرن الثامن عشر ، أطلق على « النجاشي الحبشي » هذه التسمية (الكاهن جان) ، علماً أن أكثر من إمبراطور للحبشة حمل اسم جان . ويقال أيضاً أن فرسان الهيكل يحتفلون بأهم أعيادهم يوم القديس حنا الصيفي وأن الماسونية لا تقوم إلاّ باستمرارية هذا التقليد المأخوذ عن فرسان الهيكل والماسونية .

وقد أطلق على اسم جان ، (جانوس) ، وهو إله لاتيني ذو وجهين ، أحدهما وجه شاب وثانيهما وجه كهل ، وذلك كرمز إلى الماضي والمستقبل ، وإلى السنة التي تنتهي والأخرى التي تبدأ .

وما زال يتميّز عند سان جان الصيفي ، ٢٤ حزيران ، بالنار التي تضرم في مناطق عديدة ، وبالفلكلور والتقاليد إحياءً للذكرى . قد تكون الماسونية أحسنت بإعطاء هذا الاسم لمحافلها لكثرة المعاني التي يمكن إلصاقها بذلك .

٢. القبّة المنجّمة :

دائماً يكون شكل الهيكل كقبّة تمثّل السماء والليل ومرصّعة بالنجوم المرئية .

يوضح « راغون » أن قبّة الهيكل زرقاء ومنجّمة كما هي السماوات، تأوي كل الناس بدون تمييز بين طبقة وصنف ولون .

لا تحتكر الماسونية القبب المنجّمة ، لأن هياكل الزمن القديم والكنائس زخرفت على هذا النحو .

يظهر أن « هويسمان HUYSMAN » أكثر إيحاءً وشاعرية ، لكنه لم يفهم رمزية اللّون وكوكبة القبّة . يقول : كثيرون يزعمون أن داخل الكاتدرائيات طُليَ بألوان في العصور الوسطى . فهل هذا صحيح ؟ فرضاً أنه صحيح بالنسبة إلى الكنائس الرومانية فهل هو صحيح بالنسبة إلى الكنائس الغوطية ؟

أودّ أن أقتنع في كل الأحوال أن معبد « شارتر » لم يتغيّر بزركشته وألوانه كتلك التي نودّ أن نحمّلها في « سان جرمان ديبري ST. GERMAIN DEPRÉS » و « نوتردام لاغراند » في بواتييه و « كنيسة سان سوفير » في بروج . فضلاً عن ذلك ، لا يمكن تصوّر الألوان ، إذ ما أصرّ على الأمر ، إلاّ للكابلات « CHAPELLES » أي الكنائس الصغيرة ، ولماذا صباغ جدران الكاتدرائية ؟ ولاسيما أن زخرفته ورسمه يضيّق المجالات ويخفض القبب ويثقل الأعمدة .

إذاً الكنيسة ، الكاتدرائية وهيكل الله ، هي غابة بأعمدتها ، فلا بدّ أن يكون سقفها قبّة السماء .

حتى ولو تحمّل وتعذّب « هويسمان » يؤكّد « ث. بياريه TH. PIERRET » أن الكنائس كانت مغطاة سابقاً بالصباغ ، خصوصاً في القرن الثاني عشر ، وكانت قد لوّنت الأعمدة باللّون الأحمر ، ورؤوسها بالأخضر ، والقبب بالأزرق السماوي . وفي القرن الثالث عشر تحلّت زخرفة الكنائس بكلّ عظمتها ، ويمكننا أن ننظر بإعجاب خصوصاً في باريس إلى كنيسة « سانت شابيل » ، التي لوّنت قبتها باللّون السماوي وزرعت نجوماً من ذهب .

إن الهيكل يرمز ، كما قلنا ، إلى الكوزموس (الكون) ، ليس فقط في الماسونية بل وفي كلّ الأديان . وكتب « لوك بنواست LUC BENOIST » هذا الجزء من هيكل رمسيس الثاني ، المحفوظ في متحف القاهرة يحمل نقشاً مفاده : « هذا الهيكل هو كالسماء بكلّ أجزائها » . إن تأمّل السماء المنجّمة يعطي اطمئناناً وصفاءً للفكر بارزان ، ويدعو ليس إلى الأحلام بل إلى التأمل الذاتي . إن القبّة المنجّمة في الهياكل الماسونية هي بنفس الوقت رمزاً لكونيتها وسموّها الحقيقي .

٣. الدلتا المشعّة أو المنوّرة والمثلّثات

في الشرق ، أي خلف وفوق مقعد المحترم يظهر مثلّث أو « الدلتا المشعّة » .

تنقسم المثلّثات إلى عائلتين ، كبيرتين ، هي المثلّثات المتساوية الجانبين ، والمثلّثات غير المتساوية الجوانب ، علماً أن المثلّث المتساوي كل الجوانب ، أي جوانبه الثلاثة ، هو أيضاً مثلّث متساوي الجانبين .

المثلّث ، ذو زاوية قائمة ، هو إمّا متساوي الجانبين ، وإمّا غير متساوي الجوانب ، ومثلّث بيتاغور هو مثلّث ذو زاوية قائمة ، وأضلاعه بنسبة ٣ إلى ٤ مما يعطي حتماً ٥ للضلع الثالث . ويعطي هذا المثلّث بمجموع تربيع ضلعيّ الزاوية ما يساوي تربيع الضلع الثالث $3^2 + 4^2 = 5^2$ أي ٩ + ١٦ = ٢٥ وهناك عدّة مثلّثات من ذات النوع ٥ ، ١٢ ، ١٣ و ٧ ، ٢٤ ، ٢٥ و ٨ ، ١٥ ، ١٧ و ٩ ، ٤٠ ، ٤١ إلخ ... (صورة رقم ٣٦ – ٣٧ – ٣٨ و ٣٩) .

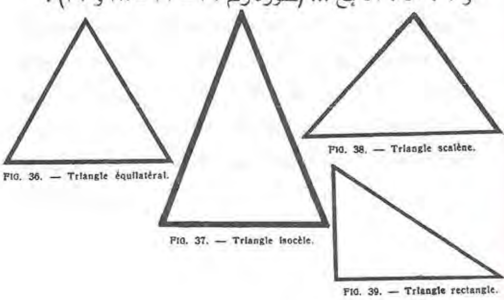


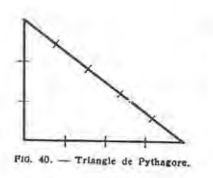
FIG. 36. — Triangle équilatéral.

FIG. 37. — Triangle isocèle.

FIG. 38. — Triangle scalène.

FIG. 39. — Triangle rectangle.

إن مثلّث بيتاغور هو الوحيد الذي له هذه الصفة أي بنفس الوقت له تصاعد حسابي بنسبة ١ : ٣ ، ٤ ، ٥ .
(صورة رقم ٤٠) .


FIG. 40. — Triangle de Pythagore.

لم يستعمل المصريون في أيام الفراعنة حملاً معقوداً بنسبة ٣ و ٤ و ٥ قياسات متساوية ليحقّقوا مع الطبيعة الزاوية القائمة لإعادة إظهار الحدود التي تطمر عند طوفان نهر النيل .
ويسمّى مثلّث بيتاغور بعض المرات « المثلّث الذهبي » ولكن يجب عدم خلطه مع مثلّث آخر ذهبي الذي له علاقة مع «العدد الذهبي» .
إن عبارة « العدد الذهبي » ، المطبقة على الروزنامة ، ، تتّصف كما رأينا ذلك بدورة ١٩ سنة حيث أيّام الأسبوع تعود لذات التواريخ . وتشير هذه العبارة إلى نسبة مسمّاة « قدسية » ، فيها الجزء الأصغر إلى الجزء الأكبر هي معتبرة كأكبر الكلّ .
هذه النسبة موجودة في « البانتاغرام » ، أو النجمة ذات الفروع الخمسة . يشار إلى هذه النسبة بالحرف اليوناني في (Φ) ويسمى مثلّث « السام » ، ذلك الذي يشكّل رأس البانتاغرام ، والذي له زاوية في رأسها تساوي ٣٦ ست وثلاثين درجة والزوايا الأخرى تساوي كل وحدة ٧٢ درجة ، فهذه الإشارة بالسمو أُعطيت له من قبل الفيتاغوريين .

أفلاطون ألغى المقياس الهندسي، واستبدله بالسحر ، (كما قال لونسلو هوجبن) ، المثلّث المتساوي الأضلاع هو الشكل الأساسي للأرض ، والمثلّث وفيه زاوية قائمة هو روح الماء، والمثلّث المختلف الأضلاع هو الهواء ، والمثلّث ذو الضلعين المتساويين هو النار الأساسي (صورة رقم ٤١) .

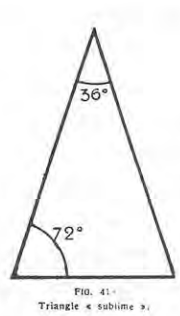


FIG. 41 ·
Triangle « sublime ».

وقف أفلاطون بين الأشكال المتعددة الوجوه المنتظمة ، التي فيها الجوانب والزوايا والأضلاع المجسّمة متساوية للعناصر ، ولكن إذا ما تحدّث عن مثلّثات تشكل الأوجه مجسّمة لهذه الأشكال ، فإنه لم يحدّد أبداً ولم ينسب أي شكل من أي مثلّث إلى العناصر .

لقد صنّف تلك الأشكال المتعددة الأوجه المنتظمة على الشكل التالي :

الرباعي : (أي الوجوه الأربعة مؤلّفة من مثلّثات متساوية الجوانب) يتطابق مع عنصر النار .

الثماني : (أي الوجوه الثمانية مؤلّفة من مثلّثات متساوية الجوانب) يتطابق مع عنصر الهواء .

العشريني : (أي الوجوه العشرين مؤلّفة من مثلّثات متساوية الجوانب) يتطابق مع عنصر الماء .

السداسي : أو المكعّب (أي وجوه مربّعة) يتطابق مع عنصر الأرض .

الثاني عشر: (مؤلّف من إثني عشر وجهاً على شكل عدّة خماسي منتظم) ، يتطابق مع ما نسمّيه « الأثير » .

من المفيد أن نشير إلى كم هو كبير عدم فهم العصريين بما يتعلّق بالعناصر التقليدية . « مرسيل بول MARCEL BOLL » كتب عن تلك العناصر وهو يجهل عمق معناها الفلسفي والماورائي : إن فلسفة أفلاطون تعرّف إلى العناصر الأربعة (نار ، أرض ، هواء وماء) التي من خلالها حاول علماء عصره أن يفسّروا مجمل الظواهر الحسّية ... ولا أحد من تلك العناصر المنسوبة ذو طبيعة حسّاسة : لأن الهواء هو خليط من غازات عدّة ، والماء هو جسم مركّب ، والأرض هي خليط متعدد العناصر ومعقّد جداً ، أما النار ليست مادة في حالة معيّنة ، هي ظاهرة لا يمكننا تحديدها إلاّ كتفاعل كيميائي عنيف يتولّد عنه ضوء وحرارة .

أيّاً كان العالم ، عليه أن يكتفي بمعالجة المواد التي يتقن معرفتها ، وإلاّ سيتوه الذي يتبوّأ منزلة رفيعة في كثير من الأشياء ، يتناول ببساطة العلوم القديمة التي يسيء معرفتها ، ولا يعرف شيئاً من الباطنية أو العلوم الخفية ، لذا يستحسن الدرس قبل إطلاق الأحكام ، وليس الدرس السريع والسطحي مع موقف مسبق ومزدر ، الذي لا يؤدي إلى معرف كافية لذلك .

ويبدو « مرسيل بول MARCEL BOLL » أنه ينعم بعماه الطوعي فيستشهد بأمثاله : إن الرياضي الإنكليزي « برتراند راسل BERTRAND RUSSEL » ، أسف أن يكون « أرسطو » أحد الأعلام الكبار لمصدر الجنس البشري ، و « إريك بل -ERIC TEMPLE BELL » و « لانسيلوت هوكبن LANCELOT HOGBEN » ، توافقا من جهتهما ليعلنوا التأثير المؤسف لأفلاطون : نحن نقول أن « برتراند راسل » و « إريك بل » و « مارسيل بول » علماء مشهورين لربّما هم من أغلبية المعاصرين بما يخص العلوم الرمزية والتقليدية جهّال ، ويتباهون بعدم تفهّمهم بهذه الأمور .

لنترك هذا الاستطراد ونعود للمثلّثات مع « الأب أوبر » الذي كتب :

« وفق رأي « بلوتارك » ، كان يشبّه « كزينوكرات XÉNOCRATE » القدسية لمثلّث متساوي الجوانب ، كون فيه كل الجوانب متساوية أي أنه الكمال ، فيما العباقرة لا يتشابهون سوى مع مثلّث متساوي الضلعين فقط ، وبالتالي ينقص شيء ما كي يكون كاملاً ، والناس العاديون يتشبّهون بالمثلّث غير المتساوي الأضلاع وربّما هذا النوع من المثلّثات هو الفكرة الأكثر دقّة عن كل ما في الطبيعة من عدم مساواة .

إن المثلّث المتساوي الجوانب يرمز إلى الثالوث الإلهي في التعليم المسيحي .

يقول المطران « باربيه دو مونتول » :
هذا المثلّث بجوانبه وبزواياه الثلاث المتساوية ، هو رمز شديد التعبير .



FIG. 42. — Le « Tétragramme » dans le Triangle.

نراه كهالة على رأس الإله أو بين يديه ، منذ القرن السابع عشر وبولغ به وفي داخله كُتب اسم يهوه بالعبرية أو رسم عين الله الذي يرى كل شيء (صورة رقم ٤٢) .

إن الدلتا المشعّة في الماسونية تحمل عادةً في مركزها الرباعي المقدّس ، المؤلّف من « IEVE » ، أي العين الإلهية . وهذه الرباعية هي الاسم الإلهي الذي حصر حق تسميته بالكاهن الأكبر عند اليهود مرّة واحدة في السنة .
يلاحظ « ألكسندر ويستغال » أن أصل الرباعي « JHVH » مشكوك بأمره ، لأن أحداً لا يعرف الأمر بدقة وتأكيد مطلق ، كيفية لفظ هذه الكلمة . ونظراً لتحريف الكلمات الآتية من ترجمة الأسماء أو استعمالها بلغة أخرى كما تلفظ بلغتها الأصلية ، فإننا نقبل كل يوم على استعمال كلمات مشوّهة ومحرّفة ، كما في « موشيه » الذي نسميه « موسى » ، وأورشليم (القدس) وغيرها .

إن الدراسات على الرباعي المقدس هي عديدة ومتغيّرة وغامضة ، ولا نستطيع تفحّصها كلّها في هذه الدراسة .

إن العين ترمز على الصعيد الفيزيائي ، إلى الشمس المرئية ، التي منها ينبثق النور . وعلى الصعيد الانتقالي أو « الفلكي » ترمز إلى الكلمة « اللوغوس » أي العقل الأول والمبدأ الخلاّق . على الصعيد الروحي أو الإلهي ترمز إلى « مهندس الكون الأعظم » (صورة رقم ٤٣) .



FIG. 43. — L' « Œil divin » dans le Triangle.

∴

يثير المثلّث فكرة الثالوث ، وهذه ليست تصوّراً أو إدراكاً مختصاً بالدين المسيحي حصراً بل الثالوث متواجد في كل من :

التريمورتي الهندسة : براهما (الخالق) ، فيتشنو : (المحافظ) ، سيفا : (الهادم) . في مصر يمكننا ذكر الثالوث الممفيسي ، المؤلّف من الإله « بتاح » أو زوجته « شخمت » وابنهما « نفرتون » .

وحيث الثالوث الأوزيري (أوزيريس – إيزيس – حورس) .

وحيث الثالوث الثباتي (أمون – موت – خونسو) .

في بلاد فارس حيث (أورامازدا ، أورمزد) السيد الحكيم العبقري – و (فوهي مانو) الفكر الحسن – و (أشافاهيستا) العدل الأكمل .

ونستطيع مضاعفة أمثلة الثالوث في كثير من الأديان .

∴

وفي الماسونية تترجم الجوانب الثلاث للمثلّث بالصيغة التالية :
التفكير الجيد ، القول الحسن ، العمل الصالح ، وأيضاً تترجم بالشعار الشهير : « حريّة مساواة ، أخاء » .

يقول « راغون » أن نقاط المثلّث الثلاثة ، تعني الماضي والحاضر والمستقبل ، والمثلّث بكامله يعني الأبدية أو الإله الأزلي . وزواياه الثلاثة تعني الحكمة والقوة والجمال ، صفات الله . وتعني أيضاً الملح والكبريت والزئبق ، مبادئ عمل الله . والزوايا الثلاث تمثّل العهود الثلاثة للطبيعة ، سلطان الخالق والمراحل الثلاث للدورات الدائمة : ولادة – حياة – موت ، وهي دورات يتحكّم بها الله دون أن يكون محكوماً وبكلمة إن المثلّث هو شعار الألوهة .

ويفرض الثالوث نفسه علينا في مجالات مختلفة ، لكونه يحقق التوازن بين قوّتين متقابلتين أو متناقضتين ، هما الإيجابي والسلبي . في الوقت الحاضر يقول العلم كلمته : وهي تتلخّص أن كل مادة تحلّ في النهاية إلى « فوتون » (الجزئيات الأكثر صغراً والمنيرة) ثم تتجمّع هذه الأخيرة في الفضاء فتكوّن سديم (NEVULEUSE) أو عوالم في حالة تكوين . وهكذا فالمادة الأكثر خشونة هي حسب العلم مؤلّفة بالنهاية من النور ، وهي حسب التوراة في سفر التكوين من نور خلقها الله في اليوم الأول ، وفي اليوم الرابع خلق الشمس .

إذاً إن الجوهر الباطني للمادة هو النور ، فإن المحيط الذي به يتحرّك هو الظلمة : الفضاء هو الليل ، المادة هي النهار . إن الزمن لا يوجد إلاّ عندما تتجمّع الفوتون (الضوئيات) بالإلكترونيات ، والذرات

والجزئيات تكوّن مجتمعات مؤهلة للانفصال . ويقيس الزمن هذا الانفصال الذي يبدأ منذ أن يتكوّن : فالولد الذي يولد يبدأ في قطع طريق تقوده حتماً إلى الموت . إذاً سنعطي كتفسير مطلق أكثر دلالة للمثلّث الماسوني : النور ، الظلمات ، والمدّة . فالنور والظلمات يكوّنان جانبين منحرفين يتوازيان ويجتمعان عند القمّة ، والزمن أو المدة تشكل قاعدة المثلّث (صورة رقم ٤٤) .

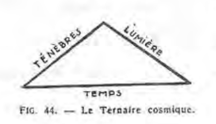


FIG. 44. — Le Ternaire cosmique.

بقي علينا أن نحدّد شكل الدلتا المشعّة . لا نقبل بالمثلّث المتساوي الأضلاع ، بالرّغم من كل كمالياته التّي يراها بعض المؤلّفين ، والتّي بنظرنا هي غير ثابتة . بفضل المثلّث المتساوي الضلعين على أن قاعدته تكون أطول من الضلعين . هكذا مثلّث يشبه مدخل الهياكل ، فيما يعود لنِسَبِ وقياساته ، عامة المقبول هو أن طابعه يجب أن يكون « وقور » وأن ارتفاعه يجب أن يكون أدنى ، أي أن تكون فتحة زاويته العليا كبيرة .

وفي هذا الإطار نفضّل مثلّثاً زاويته في القمّة هي ماية وثمان ١٠٨ درجات ، وكل زاوية من الإثنتين الأخريين تساوي ٣٦ . (نلاحظ أن الرقم ١٠٨ = ٣ × ٣٦ ، إنه الرقم المقدّس عند البوذية والتانتريسية TENTRISME أي المعرفة الباطنية ESOTERISME وقوانين الطبيعة) ومعنى هذا الرقم إيزوتيريكياً مهم جداً .

فهذا المثلّث الذي نفضله يشكّل نسب « العدد الذهبي » ، على الرغم من كونه النقيض للمثلّث « السامي » ، لأنه يولّد شعوراً بالتوازن خصوصاً إذا ما تمّت مقارنته مع غيره من المثلّثات (صورة رقم ٤٥) .

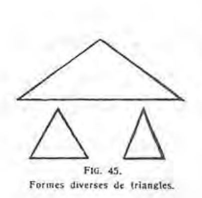


FIG. 45.
Formes diverses de triangles.

يمكن الملاحظة أنه في بعض الهياكل الماسونية ، تقترب الدلتا المشعّة تقريباً من حدود هذا المثلّث ، لأن نسبتها تفرض نفسها بنفسها . ثلاثة وضعيات لهذا المثلّث ، تخوّل رسم الخماسي ، الذي لهذا السبب سمّي بالمثلّث الثلاثي المتشابك .

إليكم بالأرقام الكاملة القياسات الصحيحة بكفاية التي تسمح برسم الدلتا : قاعدة ٨١ – ارتفاع ٢٩ – ضلع ٥٠ (صورة رقم ٤٦) .

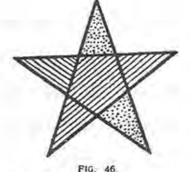


FIG. 46.
Le Triple Triangle recroisé.

(أما القياسات الدقيقة هي = قاعدة = ١,٦١٨ وضلعين يساوي كل واحد = ٥) .

يلاحظ أنه في هذا المثلث ، المجزأ على هذا النحو ، الخماسي يرتسم طبيعياً في داخله وبالنتيجة ، ترسم النجمة المشعّة داخله ، على الرغم من أنها تنسب إلى الدرجة الثانية ، إلى درجة شغّال، تظهر هكذا منذ الدرجة الأولى (صورة رقم ٤٧) .

FIG. 47. — Le Delta, le Pentagone et le Pentagramme.

إن العين الإلهية والرباعي اللذان يتواجدان يذكران برأينا ، بالدين المسيحي ، ويمكنه عند بداية الدرجة الأولى استبداله بالنجمة المشعّة . لأن الماسونية ، كما قلنا سابقاً ، تحدد موقعها ما وراء وبعيداً عن الأديان .

٤. المربّع الطويل

إن مكان المربّع الطويل في الهياكل الماسونية هو في المكان الذي احتلّته « المتاهات » في الكنائس ، وهو مبلّط ببلاط مربّع ، ومن اللّون الأسود والأبيض بطريقة متعاقبة وتكوّن « البلاط الموزاييك » الذي سنتكلّم عنه فيما بعد ، لأننا سنجهد في تحديد نسب المربّع الطويل .

إن عبارة « مربّع طويل » كانت في السابق مرادفة « للمستطيل » علماً أن كلمة مستطيل لا تشير أبداً إلى نسب أضلع ، كما لا تشير كلمة « مربّع طويل » إلى أطوال الجوانب .

يقول « أوزوالد ويرث » أن « المربّع الطويل » ، يضمّ الرموز الأساسية لدرجة مبتدئ ، التي كانت ترسم قديماً على أرضية المحفل عند افتتاح الأعمال ، ثم يمحى كل أثر منها عند الاختتام . وكان هذا العمل مساوي لحلقة سحرية تستخدم للاستحضارات . كان المشتركون يتصوّرون أن الروح الماسونية كانت تهبط فيما بينهم إلى حدّ أن المكان مهما كان متواضعاً بواسطة سحر الطقوس وإيمان الحضور يتحوّل إلى مكان مقدّس أكثر احتراماً من أي هيكل فخم وضخم .

يبدو أن ويرث يخلط هنا بين « المربّع الطويل » ولوحة المحفل ، لأنه من الصعب القبول بـ « مربّع طويل » على أنه « دائرة » حتى لو كانت هذه « الدائرة » حلقة حماية .

∴

ما هي النسب المعطاة سابقاً إلى « المربّع الطويل » ؟

فمن الصعب أن نعرفها ، ذلك لأن أسلافنا لم يسلمونا أي معلومات حول هذا الموضوع . لأنه إذا ما كانت هذه النسبة هي ١ × ٢ لكان سمّي بالتأكيد المربّع المزدوج . لنتفحّص المستطيلات الثلاثة في الماسونية :

١ – المستطيل ٣ × ٤ : في هذا المستطيل الخط الواصل بين زاويتين متقابلتين تساوي ٥ ، وبالتالي هو مؤلف من مثلثين وفق مثلث بيتاغور ، أي من أعداد كاملة .

يعرف أن مثلث بيتاغور وإثباتاته ، يشكلان جزءاً من جوهرة محترم الشرف ، مما يدفع إلى الاعتقاد أن هذا المستطيل هو «المربع الطويل» الحقيقي . لكنّ شكله القصير لا يستجيب للاستعمال الماسوني وقد أشرنا إليه فقط لكي نرفضه (صورة رقم ٤٨) .

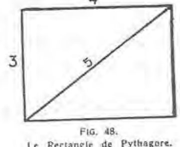


FIG. 48.
Le Rectangle de Pythagore.

٢ – المستطيل ١ × ١,٦١٨ : هذا المستطيل ، على عكس المستطيل السابق ، لا يقاس بأعداد كاملة ، لكن نسبه تدعونا إلى التدقيق به بدقة وانتباه .

يقول « ماتيلا غيكا MATILA C.GHIKA » : نلاحظ أن المستطيل الذي له نسبة ذات خصائص المقطع الذهبيّ ، يتمتّع بخصائص هندسية ذات شأن عالي دعت غالب الأحيان إلى اختياره بوعي أولا وعي ، إمّا كمستطيل مؤطّر وإمّا كعنصر مساحة في فنّ العمارة ، في الرسم الزيتي في الفنون التطبيقية ، وحتى في الأشياء المألوفة (صورة رقم ٤٩) .



FIG. 49. — Le Rectangle d'or.

نستطيع التفكير بأن المقطع المذهّب كان أحد « أسرار » الماسون البنّائين ، ولاسيما أن غالبية الكاتدرائيات مزجت في تصميم النسبة المذهّبة . ونقرأ أيضاً في الموضوع نفسه من ماتيلا غيكا ما يلي :

إنه بحقّ يسمح بالتأكيد على أن الهندسة الباطنية البيتاغورية نقلت من القديم حتى القرن الثامن عشر بواسطة روابط البنائين من جهة (وهي انتقلت من جيل إلى جيل بواسطة طقوس تكريس كانت خلالها الهندسة تلعب دوراً أساسياً) ، ومن جهة أخرى بواسطة السحر ، بواسطة الزخرفة على شكل وردة في الكاتدرائيات والطلسم الخماسي للسحرة . إن رسم هذا المثلّث هو سهل لمن يعرفه ، ومن الممكن أن الماسون الأوائل في الحقل النظري لم يتعرّفوا إليه ، ولذلك رسموا مربّعاً مزدوجاً بدلاً من « المربّع الطويل » . للأسف لم نستطع تقديم أي إثبات نهائي يؤكد افتراضنا ، ولا أي مستند لذلك افترضنا على التكهّنات .

إن التسمية الباطنية لهذا المربّع هي « مربّع الشمس » نفسه (صورة رقم ٥٠) .

FIG. 50.
Le Carré et la Section d'or.

٣ – المستطيل ١ × ٢ : هو « المربّع الطويل » لغالبية المحافل الماسونية . وحسب ما يعتقد « ناغرودسكي W. NAGRODSKI » فإن « المربّع الطويل » هو مفتاح « العدد الذهبي » . كتب :

إن « المربّع الطويل » ، أو المربّع المزدوج هو مستطيل وجوانبه بنسبة ٢ إلى ١ أو ١ إلى ١/٢ ، أو نصف المربّع المقسوم طولاً .
بفضل هذه النسبة فإنه يقدّم مفتاح قسمة الخط إلى أوسط أو أقصى حدّ وهذه القسمة هي ضرورية للبنائين الذين سمّوها «المقطع الذهبي» .
وتتم هذه القسمة بسهولة برسم الخط الواصل بين الزاويتين المتقابلتين من المربّع المزدوج OC وبرسم الأقواس AT و TT ، مما يؤدّي إلى إيجاد « المقطع المذهّب » عند منطقة T' التي تقسم الخط AC إلى أوسط وأقصى حدّ .

ليس من الضروري الانطلاق من « مربّع مزدوج » لرسم المقطع المذهّب ، نظراً لإمكانية الحصول عليه إنطلاقاً من مربّع بسيط حسب ما ذكرناه بالصورة رقم ٥٠ .
مع ذلك علينا الاعتراف بأن رأي « ناغرودسكي » هو ذا قيمة ، بالأخص لو أخذ بالاعتبار الاستعمال المتّبع عادة . نضيف أن الاسم الباطني لهذا « المربّع » هو « مربّع القمر » (صورة رقم ٥١) .

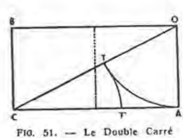


FIG. 51. — Le Double Carré et la Section d'or.

∴

فبعد تردّد طويل قبل القرار ، استخلصنا مع « ناغرودسكي » أن المربّع المزدوج هو « المربّع الطويل » للمحافل الماسونية ، لأنه أينما وجد هذا التقليد حوفظ عليه ، صودف وجود النسب ١ إلى ٢ . وبعد أخذ المسألة بالاعتبار ، من حيث التحريفات الحاصلة منذ البداية على الرموز ، بسبب الجهل الظاهر للعيان في كثير من الأحيان ، نؤكّد أن « المربّع الطويل » هو حتماً مستطيل وبنسبة مذهّبة . إنه مخطط قابل لتطبيقات عديدة قائمة ، سندرسها فيما بعد ، في « النجمة المشعّة » ، التي سبق ووجدت في الدلتا المشعّة ، حيث زاويتها في القمة هي ١٠٨ ماية وثمان درجات كما أشرنا أعلاه .

٥. الأعمدة الثلاث : حكمة – قوّة – جمال

وفق تعليمات الطقس الإيكوسي ، هناك ثلاث أعمدة يتوجّب وجودها بشكل الزاوية على زوايا « المربّع الطويل » ، واحدة على زاوية الشرق يمين ، الثانية على زاوية يمين الغرب والثالثة على زاوية الغرب الشمال ويجب عدم الخلط بين هذه الأعمدة الثلاث مع العامودين الموجودين على مدخل الهيكل (صورة رقم ٥٢)

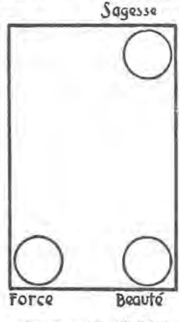


FIG. 52. — Les trois Piliers.

يقول « راغون » أن أسماء الأعمدة الثلاث ، الدعائم السرية لهياكلنا، هي الحكمة (للاختراع) والقوّة (للتوجيه) والجمال (للتزيين) . إن تحليلات « راغون » ومؤلّفين آخرين ماسونيين تدلّ على أن رمزية الأعمدة الثلاث مشابهة لرمزية العامودين اللذين ينطبق عليهما شعارا الحكمة والقوة . في ثلاثية الحكمة ، القوة ، الجمال ، « أوزوالد ويرث » يضيف إليها ثلاثيات هي :

آب – ابن – روح قدس

روح – نفس – جسد

إيجابي – سلبي – حيادي – إلخ ... (لوحة رقم ٢) .

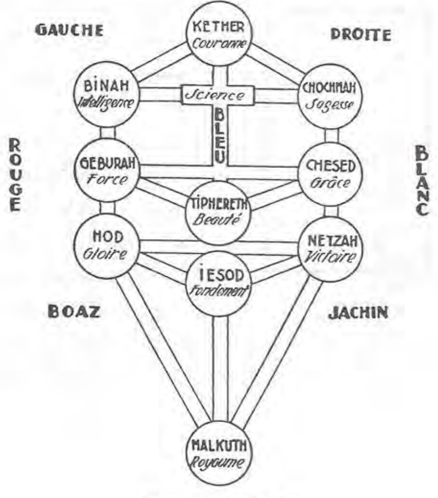


PLANCHE II. — Les Sephiroth.

يلاحظ أن أسماء هذه الأعمدة الثلاث هي الأسماء الثلاثة لسفيروث الكابّاليين ، كما يعرف أن السفيروتيين يمثّلون في الكابالا العبرية نظاماً خاصاً أو للانبعاث الربّاني الإلهي كما بيّنا في لوحة السفيروث . أصلاً هناك بالتأكيد خلطٌ بين « شيزاد » (النعمه) وتيفريس (الجمال) ، لأن الدعائم الثلاث المنظورة من « المربّع الطويل » ، لا يمكن أن تكون إلاّ « شوشماح » ، و « جابوراح » و « شيزاد » ، فيما الرابعة تربط مباشرة بين المنظور واللامنظور ، « بيناح » أي الذكاء الأعلى ، المتحرّر من كلّ مادة موجودة ، لكنه غير ظاهر لأعيننا الفانية . فضلاً عن ذلك إن موضع هذه الأعمدة الثلاث بالنسبة إلى بعضها تفترض حتماً وجود رابعة غير منظورة . العامودان ، اللذان سنلحظهما فيما بعد ، يتناسبان مع « نتزاح » و « هود » . كل واحدة من الأعمدة الثلاث ، تتناسب مع أحد الضباط الثلاثة الرئيسيين في المحفل، وهي الحكمة للمحترم ، والقوّة للمراقب الأول ، والنعمة للمراقب الثاني (صورة رقم ٥٣) .

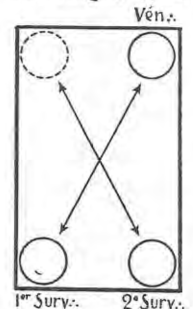


FIG. 53.
Les trois Piliers et les Officiers.

يوضح « GUILLEMAIN DE SAINT VICTOR » أن الأعمدة الثلاث لا يتوجّب أن تعرف من الماسونيين إلاّ في درجة أستاذ لأن

السبب الأكثر بساطة والأكثر قوة هو أن المبتدئ لا يجب أن يعرف أن الحكمة المشار إليها بالعامود ج.·. لا يجب أن يعرف الشغّال – الرفيق أن الحكمة والقوة هما شعار العامودين وأن الأستاذ وحده له أن يعرف الجمال أي منتهى الأشياء السامية . لا شيء يبرّر مثل هذا الغير المسموح ، خاصة عندما تكون الأسباب معلّلة وصادرة من اختلاط واضح ما بين الدعائم والأعمدة .

يقول « ليد بيتر » بحق أن الدعائم الثلاث ، يمكن أن تصنع من حجارة منحوتة الشكل ، ومن الغرانيت ، ومن الرخام ، لأن هذه المواد الثلاثة تتناسب على التوالي مع الفضائل الثلاث : الحكمة ، القوة ، النعمة (أو الجمال) . وكل واحدة من الدعائم يمكن أن تمثّل واحداً من أهم الأنواع الثلاثة لنظام الهندسة المعمارية اليونانية وهي « الدوريكية ، الإيونية والقورنثية » إليكم باختصار خصائص الأعمدة في الأنظمة الهندسية المعمارية (لوحة رقم ٣) .

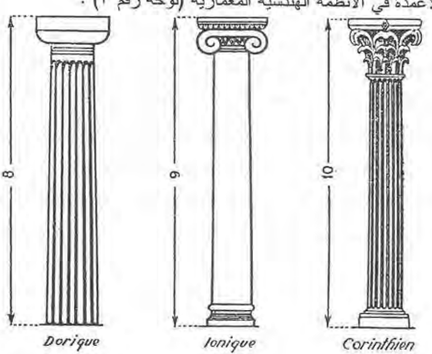


PLANCHE III. — Les Trois Ordres d'architecture grecs.

العامود « الدوريكية » هو قصير وضخم ، فيوحي إلى القوّة والعظمة ، علّوه يساوي ثمان مرّات قطر قاعدته ، شكله الخارجي الدائري منحوت فيه عشرين قناة صغيرة ، القطر بشكل أضلاع ، ورأسه مرتفع شيئاً بسيطاً وعلى شكل مستطيل . اسمه أعطي له حسب « فيتروف VITRUVE » نسبة إلى دوروس DORUS « ابن إيلان » ، ملك أشاي و « بيلوبونيز PELOPONESE » .

العامود « الإيوني » أكثر رشاقة . علوّه يساوي تسع مرّات قطر قاعدته ، وعليه أربع وعشرين قناة مفصولة بخطوط وليس بأضلع ورأسه ذات تدويرة مزدوجة ولولبية ، تسمى « القرن » ، وهذه التسمية هي حسب « فيتروف » نسبة إلى جماعة « الإيونيين » في آسيا ومن هيكل « آفيزيا » .

العامود « القورنتي » ، هو الأجمل ، علوّه يساوي عشرة أضعاف قطر قاعدته وهو أملس أو ذو قنوات ، تاجه كسلّة من ورق « الأكاسيا » ، وهو يعود ، حسب « فيتروف » ، إلى النحات « كالليماك » من قورنثية CORINTH . وقد رمز بالعامود الدوري (الدوريكي) إلى الرجل ، وبالعامود « الإيوني » إلى المرأة .
بعض المرّاتّ يضاف إلى الأنظمة الهندسية المعمارية المحددة أعلاه، نظام « مركب » أو « الروماني » ، ونظام آخر هو «التوسكاني» .

هذه الأنظمة هي « حديثة » وتشترك مع الأنظمة الثلاثة الأخرى ولا يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في الرمزية الماسونية .
العامود « الدوري » ، يتناسب مع « القوة » ، ومع « جبوراح GEBURAH » ، والعامود « الإيوني » مع الحكمة و « شوشماح SHOSHMAH » ، والعامود « القورنتي » مع النعمة أو الجمال و « شيزاد CHEZAD » .
نلاحظ أن في المربّع الطويل ، وفق الخطوط المنحرفة الواصلة بين الزوايا ، « الحكمة تتقابل مع القوة » ، و « النعمة مع الذكاء » ، الدعامة الفرضية .

في الماسونية الأنكلو-ساكسونية ، تنحت الدعائم مصغرّة على منصّة الضباط ، فعندما يرفع المنبّه الأول دعامته يخفضها الثاني ، والعكس أيضاً ، كدلالة لمبدأ التفوّق في مجرى الأعمال .
إن الدعائم الأربعة هي حدود المربّع الطويل (للعالم المثالي) والذي يمنع مبدئياً أي كان أن يمشي عليه ، بينما العامودين الموجودين عند المدخل يعربان عن تناقض قويّ في العالم المكوّن . (فيما لو أخذ بعين الاعتبار تعليماتنا المختصرة ، في الهياكل حيث حوفظ لحسن الحظ على الدعائم الثلاث ، ووضعت بالضبط موضعها الدعائم وفق النمط الخاص بها . وأيضاً نصرّ ألاّ يخلط أبداً بين رمزية الدعائم الثلاث ورمزية العامودين) .

ملاحظة على السفيروث :

يعتبر الله في ذاته أو بما يظهر فيه . إما في ذاته قبل أي ظهرور فهو كائن غير محدود ، غامض ، غير مرئي ، صعب المنال ، بدون صفة محددة ، كالبحر الذي لا شواطئ له ، كالهوة التي لا تنتهي عند قعر ، كسائل مرهّل ، يعرّف بغير قدير تحت تعريف ما ، ولا يمثّل بصورة ، ولا باسم ، ولا بحرف ، وحتى لا بنقطة . أقلّ الكلمات نقصاً يمكن استخدامها : هي بدون نهاية ، اللامحدود « أنصاف ENSAPH » أو « أيين AYIN » غير كائن .

عندما يظهر الله ، يصبح سهل المنال ، معروف ، ويمكن تسميته ، والاسم الذي يعطيه إياه يطبّق لكل تجلّي أو ظهور لوجوده .

إن « أنصاف » و « أيين » تظهر في عشر طرق بواسطة السفيروث . وكل واحدة منهم : التاج ، الحكمة ، الذكاء ، النعمة، القوة ، الجمال ، النصر ، المجد والأساس ، تشكل عالماً خاصاً من الوحي أو من إعلام لـ « أنصاف » ، وتخوّل تسميته . كل دائرة أو تحديد « الأنصاف » هو « سفيرا » .

السفيروث ، هي شبيهة بأوعية مختلفة الأشكال ، يملأها « الأنصاف » ، دون أن تستنفده لأنه يفيض منها ، أو هي شبيهة بكؤوس من زجاج متباينة يتجاوزها بطريقة مختلفة دون أن يخسر من نقاء بياضها : هذه الأوعية تمثّل حدود الجوهر الإلهي ، وهي الكؤوس الزجاجية تمثّل درجات الظلمة التي تحتها يخبئ « الأنصاف » لمعانه كي يفسح بالمجال أمام تأمله .

ما زالت « الكابالا » تمثّل الله على شكل « آدم سماوي » ، « آدم كادمون KADMON » ، تعيّن موضع كل واحد من السفيروث من أعضائها ، مطبّقة عليهم مبدأ المتعاكسين . ومبدأ الجنس . فمن أوّل السفيروث وأعلاها ، الذي يتحكّم بالرأس منذ أقدم الأيام ، جاءت « سفيرتان » ، أو مبدآن ، ذكر إيجابي وهو الحكمة – الأب ، وأنثى سلبية وهي الذكاء – الأم ، اللذان يحيطان « الوجه الأكبر » و « الرأس الأبيض للقديم » . من الحكمة والذكاء ولد العلم ، الوسيط أو الرابط والذي لا يعد من أعداد السفيروث . ومن الذكاء تولد « سفيرتان » أو مبدآن ، ذكر إيجابي هو النعمة ، وأنثى سلبية هي القوّة ، اللذان كساعدي « آدم كادمون » ، الذي يتركّز في « سفيرا » جديدة هي الجمال الموجود في الصدر أو القلب والقادر على تحقيق كل الأشياء . أخيراً من القوّة يصدر النصر ، وهو « سفيرا » ذكر حيوي ومجد ، « سفيرا » أنثى سلبية ملائمة للساقان المركّزان في الأساس ، والذي رمزه هو عضو التناسل . وهناك « سفيرا » ، التاج فوق الرأس ، وأخرى هي المُلك تحت قدمي « آدم كادمون » . فإذا ما أخذنا هذه السفيروث العشر فيما بينها وبالنسبة إلى موضعها ، لوجدنا في الاتجاه العامودي ، على العامود « اليمين » السفيروث الذكور : وهي الحكمة ، النعمة والنصر ، وعلى العامود الشمالي السفيروث الأنثوية : الذكاء ، القوّة ، المجد ، وعلى العامود الوسطي : التاج ، الجمال ، والأساس الذي يتحكم بالمُلك .

وفي الاتجاه الأفقي : التاج ، مدعّم بالحكمة والذكاء ، ويشكّلون ثلاثية متفوّقة على الصعيد الميتافيزيقي (العلم الماوراء الطبيعة) ، النعمة ، القوّة والجمال يشكّلون ثلاثية على الصعيد الأخلاقي ، النصر ، المجد والأساس ، يشكّلون ثلاثية فيزيائية ديناميكية (أي مادية وحيوية) .
وهذه الثلاثيات تختصر في ثلاثية أخرى ، مؤلّفة من التاج والجمال والمُلك ، التي تتلاءم مع الجوهر ، التفكير والحياة . إن الثلاثية الأولى تتعلّق بعالم الخلق ، فيما السفيروث السبع الأخرى تتعلّق بعالم البناء (العمارة) . وضعية السفيروث على هذا النحو تثير مشابهات مضطربة ، مع « شاكراس » الهندوسية فيما تتعلّق بالجسم الإنساني .

٦. الضبّاط ومواقعهم

يتكوّن محفل كامل من أحد عشر ضابطاً هم :
١. الرئيس المحترم
٢. المنبّه الأول (المراقب الأول)
٣. المنبّه الثاني (المراقب الثاني)
٤. الخطيب
٥. أمين السر
٦. الخبير

٧. المرشد
٨. أمين الصندوق
٩. التشريفاتي
١٠ الحارس الداخلي
١١ الحارس الخارجي

(يشار فوراً إلى أن كلمة ضبّاط تعني المكلّفين بالمهام وليس المعنى العسكري) . لقد اكتفينا بتحديد الضبّاط الأحد عشر الضروريين لعمل المحفل . لكن من الممكن إضافة خبير ثانٍ وثالث ، وناظر الأختام ، وناظر المحفوظات المكتبية وأستاذ ثانٍ للاحتفالات ، ومهندس ، وأستاذ المقاعد ، ... إضافة إلى أنه بالإمكان تسمية مساعدين لجميع مناصب الضبّاط ، إلاّ لمناصب المحترم والمنبّهين ، لأنه بالإمكان أن يكون المساعدون مبتدئين ورفاقاً ، كما أن الضبّاط الأحد عشر الأساسيين ، وكلاء المهام ، عليهم أن يكونوا بدرجة أستاذ . وإذا ما تغيّب المحترم ، يحل محلّه المنبّه الأول وإذا ما تغيّب هذا الأخير حلّ محلّه المنبّه الثاني ثم أي أستاذ يسمى عند شغور أي من الوظائف .
لقد عدّدناهم وفق النظام المتبع .
الضباط الخمسة الأوائل يسمّون بالأنوار ، يشغلون كأمين السر وأمين التشريفات نوعاً من طاولات مثلّثة .

الجلسات تحتاج لوجود سبعة ضبّاط لافتتاح أعمال محفل ما ، فإذا ما تغيّب أحدهم يستبدل بأحدهم من درجة أستاذ . وإذا لم تشغل الطاولات السبع ، فلا يمكن أن تفتتح الأعمال بصورة طقسية .

تقول الطقوس القديمة ، أن الماسونيين الثلاثة الأوائل يشكّلون محفلاً بسيطاً . والخمسة الأوائل محفلاً صحيحاً ، والسبعة يشكّلون محفلاً كاملاً .

الثلاثة في المحفل البسيط هم المحترم والمنبّهان ، الأول والثاني ، والخمسة في المحفل الصحيح هم الثلاثة الأوائل بالإضافة إلى أستاذين ، وأخيراً يتألّف المحفل الكامل من السبعة هم الخمسة الأوائل ومن مبتدئ ورفيق . وإذا ما كان خمسة ماسونيين من درجة أستاذ قادرين على افتتاح أعمال المحفل ، فأمين الصندوق وأمين التشريفات لا يمكن أن يتواجدا إلاّ في المحافل المستمرّة ، وليس في اجتماعات ماسونية وفق الظروف .

- المحترم هو رئيس المشغل ، عليه مهام صعبة جداً جداً ، لأن عليه تلقّي مسؤولية التوجيه الروحي لمشغله وسائر الأعمال التي تصنع فيه .
- المنبّه الأول يوجه أعمال الرفاق ويسهر على الانتظام العام .
- المنبّه الثاني مكلّف بتنشئة المبتدئين ودوره هام جداً ، لأن عليه تنشئة وتدريب وتكوين الماسون الجدد . المنبهان هما مساعدا المحترم عند افتتاح أعمال المحفل ، لأن ثلاثتهم يحملون المطرقة كعلاقة لمهامهم .

- الخطيب مكلّف باختصار الأعمال أو المناقشات وليس لأحد أن يتناول الكلام بعده ، لأن خلاصاته توضع موضع التصويت ، فإما تقبل وإما ترفض من قبل المشغل . إن الخطيب يمثّل القانون الماسوني ، فعليه معرفة دساتير وأنظمة المحفل الأكبر تماماً ، له ولأمين السر الحق بطلب الكلام مباشرة من المحترم ، بينما الآخرون يطلبون الكلام من خلال المنبهين اللذين ينقلان السؤال . وللخطيب أن يحتجّ على المحترم فيما لو لم تراع الأنظمة .
- أمين السر يحرّر المحاضر ويسجل أسماء لوحات العمل ويهتم بالعلاقات الإدارية بين المشغل والمحفل الأكبر .
- الخبير يوجّه طالبي التكريس في احتفالات التكريس ، ويسهر على حسن تنفيذ الطقوس التي يجب أن يعرفها جيداً ، وهو مكلّف أيضاً اختبار الأخوة الزائرين .
- أستاذ الاحتفالات يدخل الزائرين بعد اختبارهم إلى مراكزهم المخصصة لهم ويمكنه الحلول محل الخبير في احتفالات التكريس .
- أمين الصندوق له مهام غير مريحة وهي جمع الاشتراكات المنتظمة ، وعليه السهر لحسن التنظيم المالي للمحفل .
- أمين الضيافة ، يجمع الهبات بكيس الحسنات ، وعليه زيارة الأخوة المرضى أو المحتاجين ليأتيهم بالمساعدة الشهمة بقدر ما يستطيع . (يحمل أمين الضيافة في بعض الأحيان إسماً مختصاً

بالحسنات ، لكنه جاء في القانون الماسوني للمحافل الموحّدة والمصححة في فرنسا ، المؤتمر الوطني ليون ، ٥٧٧٨ ، التدوينات التالية ، إن كيس الحسنات له مفتاحان يتوجّب اجتماعهما كي يفتح ، مفتاح بين يدي المحترم ومفتاح مع أمين الضيافة الذي لا يمكنه سحب أي شيء منه دون موافقة الأستاذ والمنبّهين) .

- الحارس ، يحرس باب الهيكل من الداخل ، وهو يسمح بدخول الأخوة الذين يصلون بعد افتتاح الأعمال .
- « الحراسة والاختبار » هما كلمتان ماسونيتان وتعنيان وضع الهيكل بمأمن من التيارات ، أي حمايته من الفضوليين .
- « اختبار أخ » : تعني استجوابه ، لاستنتاج كونه ماسونياً ، وأن درجته تتناسب مع درجة عمل المحفل ، الذي يطلب الانتساب إليه .
- « حرس المحفل » ، من جهة تعني الاطمئنان إلى الأمن ومنع أي تدخل خارجي ، ومن جهة ثانية المشاركة بالأمن عند ترك المحفل . وبطريقة التوسّع استطراديّة ، « حرس المحفل » أصبحت مرادفة للخروج . فإن عبارة « حرس المحفل » أصبح مرادفها الطرد .

وإذا ما نجح بعض العامة بالدخول إلى اجتماع ماسوني ، وإذا ما تبين لأحدهم ذلك الأمر فيقول « إنها تمطر » أي أن المحفل ليس محروساً .

هناك في الطقوس القديمة الماسونية حارسان ، واحدهما داخل المحفل والآخر خارجه .

يقول « آد. غلوتون » : في ظلمات الغرب يقيم الحارسان ، حارس داخلي يحرس الباب ويتلقى التعليمات من الحارس الخارجي الذي يحرس في الممر . فبفضلهما نعمل بدون قلق ، مطمئنين إلى أن أحداً من العامة لا يمكنه الدخول بغتة إلى محفلنا ليفاجئنا . وقد أعطيت غالباً خطأ هذه المناصب إلى أخوة شباب الذين ليس لديهم الخبرة الكافية لمثل هذه الوظيفة ، بينما في التقليد القديم ، التي في بعض المحافل حتى اليوم تطبّق ، كان المحترم السابق يقوم بوظيفة حارس، وذلك للتدليل على الأهمية التي أولاها أسلافنا لمنصب الحارسين .
أحياناً اعتبرت مناصب الضبّاط ، كمناصب ذات شرف ، فيما هي مسؤوليات خاصة ووقتية ، وانتقالية ، ولا يستلزم أي تسلسل تراتبي، لأن كل الضبّاط هم أساتذة ، وليس لهم أن يبرزوا أي تعريف شخصي ، ولأن منصب الحارس هو هام وضروري كأهمية وضرورة منصب المحترم . لذا أظهرت الطقوس القديمة حكمة كاملة عندما أعطت هذا المنصب لمحترم أنهى دوره بالرئاسة . هذا التقليد الذي هو تعليم وأمثولة تواضع يجب أن يستمر .

∴

إن الضبّاط الأحد عشر ، كما عدّدناهم موجودون على الشجرة السفيروتية . مكان أمين الصندوق ، ومكان أمين الضيافة يتواجدان بصورة منعكسة بالنسبة إلى مكانيهما التقليدي في المحافل .
وهذا الانعكاس يبدو لنا مفضّلاً في الاستعمال المتبّع .

بالواقع إن على أمين الصندوق مع أمين السر الاهتمام بإدارة المحفل، مع العلم أن الخطيب صالح أكثر من غيره لإعطاء رأيه لأمين الضيافة حول استعمال أموال أكياس الحسنات .

في الطقس الإيكوسي يتواجد المنبّه الأول إلى اليسار عند الدخول إلى المحفل ، والثاني إلى اليمين . في الطقس الفرنسي موضعهما معكوس ، سنعود إلى هذا الموضوع عند معالجة العامودين ، حيث موقعهما معكوس في الطقسين .

ولأسباب تطبيقية ، يتّخذ الخبير مكانه إلى اليمين ، وأستاذ الاحتفالات إلى اليسار ، فيما موقع الحارس هو بالتمام تجاه موقع المحترم .

كيثر KETHER

التاج

المحترم

شوشماح CHOCHMAH

الحكمة

الخطيب

بيناح BINAH

الذكاء

أمين السر

شيزاد CHESAD

النعمة

أمين الضيافة

جبوراح GEBURAH

الحزم

أمين الصندوق

تيفيراث TIPHERETH

الجمال

أستاذ الاحتفالات

نتزاح NETZAH

المجد

المنبّه الأول أو الثاني

هود HOD

النصر

المنبّه الأول أو الثاني

أيازود IESOD

الأساس

الخبير

ملكوت MALKUTH

المملكة

الحارس

إن مجمل المساعدين الجالسين على الجانبين من اليمين واليسار في المحفل يحملون اسم « الأعمدة » . إلى اليمين هو « عامود الجنوب » ، إلى اليسار هو « عامود الشمال » .
يجلس المبتدئون من جهة عامود الشمال ، لأنهم ما زالوا جزئياً في الظلمة ، ولأن هذا الجانب هو الأكثر تعتيماً ، ويجلس الشغّالون من جهة عامود الجنوب ، والأساتذة يمكنهم الجلوس كما يحلو لهم من العامودين . أما ذوو الرتب الرفيعة ، أعضاء مجلس تنظيم الأخوة الماسون حسب الطقس الفرنسي ، أو المستشارون الفيديراليون حسب الطقس الإيكوسي ، والمحترمون القدماء ، والمحترمون الزائرون ...إلخ ، يجلسون في الشرق ، على يمين ويسار المحترم .
إن مكان الضبّاط كان موضوع عدّة أعمال دراسية ، بينها « أعمال أوزوالد ويرث » الذي ، حاول إنشاء صلة بين مهام الضباط والرمزية الكوكبية التنجيمية والتي يقدمها على الشكل التالي :

المحترم يتناسب مع المشتري
المنبّه الأول يتناسب مع المريخ
المنبه الثاني يتناسب مع الزهرة
الخطيب يتناسب مع الشمس
أمين السر يتناسب مع القمر
الخبير يتناسب مع زحل
أستاذ الاحتفالات يتناسب مع عطارد

إننا نقبل بهذه الموافقة ، إلاّ ما يتعلّق بالإثنين الأخيرين ، وهما زحل وعطارد ، لأننا نفضّل توافق هذين الكيانين الكوكبين مع بعضهما البعض .

من السهل تبرير هذه التخصيصات :
المشتري ، أستاذ السماوات ، هو المحترم لأن به تكمن الحكمة .
المرّيخ ، الإله الشديد ، يتناسب مع المنبّه الأول ، الذي يجب أن يكون متصلّب في القوة والتشدد .
الزهرة ، اللطيفة والجميلة ، هي النعمة وتتناسب مع المنبّه الثاني .
المرّيخ والزهرة يتناقضان ولكن يتكاملان ، الأول هو القوة الذكرية والثاني هو اللطافة الأنثوية .
الشمس ، المنسوبة للخطيب ، تسيطر على المشتري فلكياً ، والخطيب حارس « القانون الماسوني » قادر كما قلنا على « السيطرة » على المحترم في بعض الحالات الخاصة .
القمر ، انعكاس الشمس ، يسجّل بأمانة كل ما يصدر عن منصّة الخطيب .
عطارد ، رسول الآلهة ، هو الحارس الخارجي ، الذي يبلّغ الحارس الداخلي بوجود الأخوة الذين يودّون الحضور والذين يطلبون قبولهم .
زحل ، الإله المتبصّر ، الذي يقيم في الأمكنة المظلمة ، هو الحارس الداخلي الذي يعلن عن وجود الذين اعتبرهم أهلاً للدخول .

∴

إن الضبّاط الذين عيّنوا على هذا الشكل بأحكام على رؤوس نجمة من ستة أضلاع أو « خاتم سليمان » .

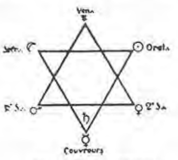


FIG. 54. — Les Officiers et le Sceau de Salomon.

المحترم والمنبّهان الذين يديرون المحفل يكوّنون المثلّث الصاعد والحراس ، يكوّنون المثلّث النازل ، وكلهم يؤلّفون المحفل (صورة رقم ٥٤) .

كما يمكننا توزيع الضبّاط على أطراف « البانتغرام » ، أو « النجمة الخماسية المشعّة » .


FIG. 55. — Les Officiers et le Pentagramme.

وبالمختصر يمكننا تبني الصورة « السفيروتية » للمحافل الهامة ، والمخطط السداسي للمحافل الأقل أهمية ، والمخطط الخماسي للمحافل المتشكلة والتي لا حاجة لتعيين حارس فيها (صورة رقم ٥٥) .

هذه المخططات الثلاث لا تغيّر أبداً موضع الضبّاط ، بل فقط يتغيّر فيها عدد الضبّاط .

وإذا ما رسمنا رجلاً ممدّدا على الظهر ، في الهيكل ، يكون رأسه المحترم وذراعاه الخطيب وأمين السر هما يداه أمين الصندوق وأمين الضيافة وقدماه هما المنبّهان (صورة رقم ٥٦) .

Vén∴
S∴ T∴
O∴ H∴
1er S∴ 2e S∴

FIG. 56. — L'Homme et le Temple (Rite Ecossais).

في الطقس الأنكلو-ساكسوني ، المنبّه الثاني يوضع في وسط « عامود الجنوب » ، ويحتل موقع القلب في صورة الرجل الممدد ، فيما يحتل المنبّه الأول موقع الجنس (القوة) ويكون الحارسان عند القدمين (القاعدة ، المساندة) ، (صورة رقم ٥٧ و ٥٨) .

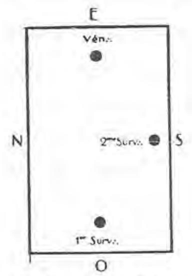


FIG. 57. — Place du 2e Surv∴. (Maç. anglo-saxonne).



FIG. 58. — L'Homme et le Temple (Maçonnerie anglo-saxonne).

إن الهيكل هو كونٌ كامل : في نفس الوقت « ماكروكوزم MACRO COSME » ، أي الكون الأكبر والإنسان بذاته الذي يكون الكون الأصغر « MICRO COSME » ، إن مواقع الضبّاط تشير إلى أن الرمزية الماسونية ككل الرمزيات التقليدية ، تضم قيماً متعددة ، وتشتمل على شمولية لا يمكن أبداً تجاهلها .

٧. التنقّل في الهيكل

كيف يجب أن يتمّ التنقّل في الهيكل ، هل من اليمين إلى اليسار ؟ أم من اليسار إلى اليمين ؟ بصورة اعتباطية استنسابية كما يعمل عادة ؟ نتطرق هنا إلى مسألة دقيقة وصعبة الحلّ .

من المهم قبل أي شيء تحديد الكلمات المستخدمة ، كاتجاه حركة عقارب الساعة ، « SINISTROSUM » وهو اتجاه من اليسار إلى اليمين ، فيما الاتجاه المعاكس هو من اليمين إلى اليسار ويسمى « DEXTROSUM » (صورة رقم ٥٩) .

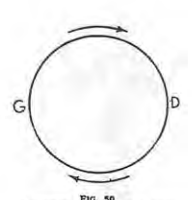


FIG. 59.
Mouvement de gauche à droite.

نلاحظ هنا أن الكلمات المستعملة من « اليمين إلى اليسار » ومن « اليسار إلى اليمين » لا تكفي لتحديد اتجاه حركة دائرية . بالفعل إن اتجاهاً من اليسار إلى اليمين هو اتجاه عقارب الساعة في الجزء الأعلى من قرص الساعة أمّا في الجزء الأسفل فالاتجاه هو من اليمين إلى اليسار (صورة رقم ٦٠) .

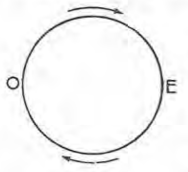
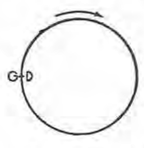
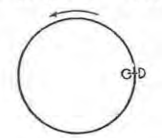


FIG. 60.
Mouvement d'Ouest en Est.

كذلك الأمر عندما نقول أن حركة أي كوكب هي من الشرق إلى الغرب أو من الغرب إلى الشرق . لذا ، لتجنّب أي غموض وإبهام فإننا سنستخدم صفتين خاصتين بالحركة الدائرية بالنسبة إلى يميننا وإلى يسارنا . سنستعمل كلمة « اتجاه يميني DEXTROCENTRIQUE » عندما ندور ويميننا داخل الدائرة وعندما ما يكون يسارنا إلى خارج الدائرة ، سنستعمل كلمة « اتجاه يساري SINISTROCENTRIQUE » عندما يكون شمالنا داخل الدائرة ويميننا خارجها (صورة رقم ٦١) .





Sens dextrocentrique. FIG. 61. Sens sinistrocentrique.

بصورة عامة ، يعتبر اليمين خيّراً ، واليسار شرّاً في الرسومات الجامدة ، كذلك الأمر بالنسبة إلى الحركات التي تتّجه نحو اليمين أو نحو اليسار . ويعود التطبيق السحري الخاشع اليساري في غالب الأحيان إلى عمليات مشؤومة .

يقول « فيكتور هنري » أن اليمين يتنازل لليسار في طقوس السحر الأسود في الهند القديمة : فإذا كان الأمر التقاط شيء ، فباليد اليسرى، وإذا تقدّمنا ، فبالقدم اليسرى ، كما يقدّم الجانب الأيسر للنار وإلى كل اللواحق التي يدور حولها .

وكتب « غوبليه دالفييلاّ GOBLET D'ALVIELLA » يجب الملاحظة أنه في كل الطقوس الدوّارة ، تبدأ الحركة نحو اليمين ، أي باتجاه عقارب قرص الساعة . ثم يعدد بعد ذلك عدّة وقائع :

الطقوس البراهمانية توجب أصولاً وشكلاً لتنفيذ الحركة الدائرية إلى اليمين ، كما يحمل المكان المخصص للدوران حول المكان المقدّس في أقدم الهياكل البراهمانية ، اسماً ذا دلالة وهو « برادكشينا » ، الذي يعني نحو اليمين (DEXTROVERSUM) دائرة من اليسار إلى اليمين .

الهندوس يعرفون تطبيق السحر الخاشع نحو الشمال « برازفيا » ، الدوران بالعكس ، لكنه دوران مشؤوم ، وفعل السحر الأسود .

في « إيكوسيا » « السلتيون » ما زالوا يحتفظون بعادة الدوران ثلاث مرات بالأشياء التي يودّون تقديسها والأشخاص الذين يودّون تقديم التشريفات أو الحماية لهم .

في الاحتفالات الجنائزية ، على العكس ، يتم الدوران نحو اليسار . ويوضح « غوبليه دالفييلاً » أن معنىً إيجابياً يعطى للدوران إلى اليمين وأن معنىً سلبياً يعطى للدوران إلى اليسار ، لأنه في الأول ، الحركة تتبع سير الشمس ، فيما الثاني يعاكسها .
ويؤكد أن الدوران في طقوس الحزن كان متبعاً بدوران إلى اليمين (DEXTER) . وربما يعطي الطقس البراهماني المفتاح للطقس المزدوج إذ في سيره الأول يذهب الكاهن إلى أجداده أي إلى عالم الموت ، وفي سيره الثاني يعود إلى هذا العالم ، الذي هو عالمه .

يسمي « رينيه غونون » « القطبي » الاتجاه الدائري نحو اليسار والاتجاه نحو اليمين « بالشمسي » : إذ الدوران ينجز بالحالة الأولى ومركز الدائرة هو إلى اليسار ، فيما المركز إلى اليمين في الحالة الثانية (وهذا ما يسمى في السنسكريتية باراداكشينا) . هذه الحالة الأخيرة هي تستعمل خصوصاً في التقاليد الهندوسية والتيبيتية ، فيما الحالة الأخرى تستعمل في التقليد الإسلامي ، وليس عديم الفائدة أن نذكر أن اتجاه هاتين الحركتين ، المتجهتين على التوالي من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين يتناسب أيضاً مع الكتابة في اللغات المقدسة لهذه الأشكال التقليدية . واتجاه الدوران في الماسونية بشكلها الحالي ، هو « شمسي » ، فيما يظهر أنه كان « قطبياً » في الطقس القديم العملاني ، الذي أوجب وضع تاج سليمان في الغرب بدلاً من الشرق كي يخول شاغله تأمل الشمس في مشرقها .

في علميّ الكواكب والفلك ، نسمّي « اتجاه مباشر » الحركة التي تتمّ بعكس عقارب الساعة ، ونسمّي « اتجاه تراجعي » الحركة التي تتمّ بعكس الحركة الأولى .

أيضاً نعرف أن دوران الأرض على محورها هو من اليسار إلى اليمين ، وإنها تدور حول الشمس بنفس الاتجاه . من جهة أخرى الكواكب تتحرك بنفس الاتجاه لكن اختلاط مختلف الحركات وقد يصوّر الأمر بعض الأحيان أنه سير معاكس ، أي « تراجعي » ، من اليمين إلى اليسار .

وحدهما الشمس والقمر ، علماً أن الشمس تعتبر ككوكب في علم التنجيم ، يظهران أبداً أي ظهور بالسير التراجعي (صورة رقم ٦٢) .

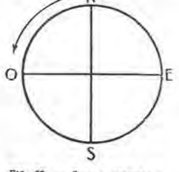


FIG. 62. — Sens « stellaire » ou sinistrocentrique.

بعد حركة الأرض تظهر القبة السماوية تدور من اليمين إلى اليسار ، والشمس من اليسار إلى اليمين .

نقول إذاً : في الحالة الأولى حركة « كوكبية » وفي الثانية حركة « شمسية » (صورة رقم ٦٣) .

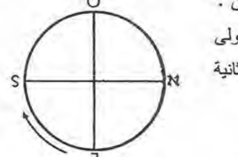


FIG. 63. — Sens « solaire » ou dextrocentrique.

إن الدوران الفعلي للنظام الشمسي هو من اليسار إلى اليمين ، وبالتالي فإن المحفل يمثّل الكون ، والضبّاط يمثّلون الكواكب ، لذا من المنطق أن يتمّ سير هؤلاء وفق الاتجاه الفعلي ، لكننا في هذه الحالة نصطدم بالتقليد الذي يعتبر كل حركة من اليسار إلى اليمين هي حركة شرّيرة .

يوجه الهيكل باتجاه الشرق والنور حيث الشمس تشرق في الشرق ثم تمضي إلى الظهيرة نحو الجنوب ثم تغيب في الغرب ، وبالتالي الاتجاه من اليسار إلى اليمين يذهب لملاقاة الشمس .

في هذا الدوران ندخل من اليمين ونخرج من اليسار ، نذهب نحو الشرق مروراً بالجنوب ونخرج من الغرب مروراً بالشمال .

رمزياً ومنطقياً ، هذا الدوران يجب أن يكون الوحيد الممكن في الماسونية : الماسوني يذهب نحو النور بالدخول إلى الهيكل ويعد في الظلمة (أي عالم الغير ملمّين) ، عند خروجه . من المهم الملاحظة أن الماسوني وهو يسير ، لا يزعم أنه يتوخّى معارضة السير الطبيعي للعالم ، كما تزعمه طقوس السحر الأسود ، لأنه يجب الاستنتاج أن التأثيرات الخيّرة والشريرة المنسوبة إلى شكل الدوران مسألة اصطلاح .

نحن ننصح السير من اليسار إلى اليمين ، لكننا لا نعارض أي محفل يعتمد سيراً معاكساً ، شرط أن يقدّم أسبابه ، وتكون هذه الأسباب مقبولة .

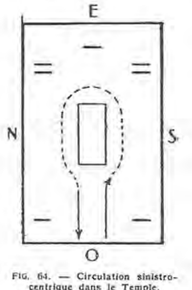


FIG. 64. — Circulation sinistro-centrique dans le Temple.

في مطلق الأحول ، يجب اعتماد أحد الاتجاهين وفرض تطبيقه . وبالتالي إنه غير مسموح أن يتمّ السير بالاتجاهين ، لذا من الضروريّ والحاجة اعتماد اتجاه واحد طقسي للسير (صورة رقم ٦٤) .

هناك إستثناء واحد يجب الإشارة إليه ، عند افتتاح الأعمال ، على المتنبّهين السير ، واحداً إلى اليمين وواحداً إلى اليسار ، أمام العامودين المؤلّفين من الأخوة المجتمعين ، ويتلاقون مرتين ، مرة عند المحترم ومرة عند رجوعهم لمكانهم أمام الحارس ، لكن إذا تصرّفوا بخلاف ذلك ، أي أنهم مشوا واحداً تلوَ الآخر من اليسار إلى اليمين يكونون قد مرّوا أمام الأخوان عند عامود الجنوب ، عندها يمكن لأخوان عامود الشمال أن يروا الإشارة التي عليهم أن ينفّذوها أمام منبّهم . وفي كافة الحالات الأخرى فإن اتجاه الطقس إلزامي .

٨. المشاغل

يجب أن يضاء الهيكل رمزياً بواسطة شموع ، إذ يتوجّب منها ثلاث في درجة مبتدئ ، وخمس في درجة شغّال ، وسبع في درجة أستاذ . وفي درجة المبتدئ يتواجد شمعدان على كل من منصّة المحترم والمنبهين ، قبل افتتاح الأعمال ، وحده المحترم تضاء شموعه ، ثم خلال الافتتاح ، يعطي المحترم النور إلى المنبّهين . قبل افتتاح الأعمال ، وحده المحترم تكون شمعته مضاءة وعند الافتتاح يعطي الشعلة للمنبّهان ويشكّلون الشموع الموضوعة على رأس الدعائم المخصصة لهم . هكذا هناك ستة أنوار في الهيكل : ثلاثة ، في عالم النموذج الأصلي (المربع الطويل) وثلاثة في العالم المنجز . لكن احتراماً للرمزية التقليدية يجب أن تضاء شموع الدعائم الثلاث من ثم يأتي المحترم والمنبهان إلى أخذ الشعلة من الدعيمة الخاصة بكل منهم ، لأن هؤلاء الضبّاط هم انعكاس عالم النموذج الأصلي .

على الشموع الست أن تحترق خلال مدة الانعقاد . ويجب أن تضاء شموع الدعائم الثلاث قبل دخول الأخوة إلى الهيكل وأن تطفأ فقط بعد خروجهم ، لأن النور المنبثق من المربع الطويل ينتشر دون انقطاع . من المستحسن أن تفهم جميع المحافل هذه الرمزية وتتبناها لتطبيقها ، وهكذا تتسامى الرمزية الماسونية وتتفاعل .

على مادة الشمع أن تكون صافية وطبيعية قدر المستطاع ، ووحده شمع النحل يستجيب لهذه المواصفات . كما أن رمزية النحل ذاتها تضيف إلى الشمع معانيها ، التي هي العمل ، العدل ، النشاط ، الأمل .

∴

يقدّم الشمع رمزية ثلاثية لم يتناس الكتاب الدينيون الإشارة إليها ، إذ هي بالنسبة إليهم صورة التثليث ، آب وإبن وروح قدس ، الشمع هو الآب والخيط هو الابن والشعلة هي الروح القدس .

كما يمكن أن يمثل الثلاثية : جسد ، نفس ، روح ، وهذه الثلاثية هي صورة السمو الروحي . ويمثل الشمع رمزية حياتية (الإنجاب) ، موجودة في الزهرة . (يقبل وضع الزهور الطبيعية على المذابح الكاثوليكية ، ويرفض وضعها إذا كانت اصطناعية ، والاصطناعي المقبول منها هو فقط المصطنع من الحرير) .

شعلة الشمعة هي حية وطقسية فيما الضوء الناتج عن الغاز والكهرباء له شيء ما اصطناعي عادة ما يشعر به أولئك الذين لم ينعدم لديهم الشعور السحري .

إن الطقس الكاثوليكي قد منع بهذه العبارات الإضاءة الحديثة : إن الغاز أو الكهرباء لا يمكنهما استبدال الزيت لمصباح « القربان المقدّس » ولا الشموع الطقسية . كما لا يمكن وضع إنارة من هذا النوع بالإضافة إلى الشموع على أدراج المذبح . يمكن استخدام المصابيح محل ومكان الشموع ، باستخدام زيت الزيتون للاحتراق . وزيت الزيتون ينصحه الأقدمون لكي يحترق ليلاً نهاراً دون انقطاع أمام بيت القربان . مع ذلك هناك قبول ببعض التسويات، التي بنظرنا هي حقيقةً تدنيس الحُرمات مثلاً : إن رئيس الأساقفة يسمح للكنائس الفقيرة استعمال زيوت أخرى نباتية ، وفي بعض الحالات الملّحة الزيت المعدني (صورة رقم ٦٥) .

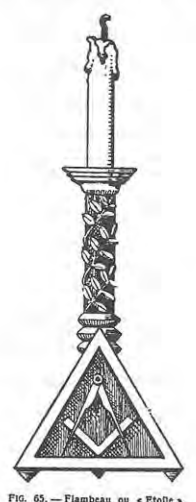


FIG. 65. — Flambeau ou « Etoile ».

لشجرة الزيتون معنى رمزي هو السلام والبِرّ والبحبوحة والخصوبة، لكن تفضيلنا يتّجه نحو الشمع الذي شعلته هي أصفى وأجمل من المصباح ، ولأنه سهل الاستخدام وأكثر ملاءمة .

إن الرمزية المتسامية والعالمية للماسونية تستلزم بكل جلاء تمسك بالشكليات الطقسية التي لا يمكن إهمالها ، على الرغم من أنها ليست ديناً بالمعنى المعروف للكلمة ، ولكنها « كنيسة EGLISE » بالمعنى الحقيقي للكلمة « ECCLESIA » أي جمعية «ASSEMBLEE » .

إن المشاغل تحمل في الماسونية اسم نجوم . وبالتالي يجب علينا أن نقول : « أعد انقشاع النجوم » بدل التعبير النثري الباهت « أشعل المشاعل » .

∴

عندما يدخل زائر رفيع المستوى أو صاحب أهلية ، إلى الهيكل يسبقه التشريفاتي ، الذي يحمل « نجمة » . وهذا تقليد نجده في التاريخ القديم ، وهذا ليس « لإضاءة » الزائر الذي نسبقه بمشعل ، بل لكي نرمز إلى « النور » الذي يمثّله .

∴

تحدّثنا عن الاحتياطات التي اتّفق على اتخاذها لإشعال الشمعدانات كي تبقى الشعلة « نقية » ، ولإطفائها يستحسن عدم النفخ عليها ،

وإنما يفضّل سحقها بالمطرقة . قد تكون هذه التعليمات غريبة ، ومع ذلك ليست إلاّ امتداداً لتقليد يتعلّق بعبادة النار عند الفرس .

يقول « ماندسلو » : ليس هناك أكثر غلاءً وقيمةً وقدسيةً عند الفرس من النار ، التي يحتفظون بها بعناية ، لأنه ليس من شيء يمثّل الألوهة جيداً إلاّ النار ، لذلك لا ينفخون أبداً بشمعدان أو « بمصباح » ولا يبادرون أبداً إلى استخدام الماء لإطفاء النار حتى ولو كان المسكن في خطر الاحتراق ، لكنهم يحاولون إخمادها بالتراب .

ويقول مؤلّف آخر :
بالنسبة إلى النار العامة والعادية ، عبادتها من قبل « الكيبر LES GUEBRES » تقوم على الإبقاء عليها بواسطة مادة لا يتصاعد منها دخان ولا رائحة كريهة ، ولا يرمى فيها أي شيء قذر ، وأي نوع من القمامة ، ولا تترك أبداً لأن تنطفئ ، ولا تشعل بواسطة الغم ، كل ذلك خوفاً عليها من شعور سيّء يمسّها ويفسدها . إن انطفأت صدفة يتوجّب ساعتئذٍ جلبها من مجاورين ، أو إشعالها بواسطة مروحة . وتقوم هذه العبادة أيضاً على عدم لمس هذه النار التي تتغذى وتلقّم بالعظام رجيع البقر وما شابههما .
إن الشمعدانات في الهيكل الماسوني هي نار مقدّسة وليست تفاصيل طقسية وهمية ، لذلك يجب ألاّ يترك هذا الاستعمال مهمل .

٩. التبخير

إذا بدا للبعض أن « تقليد » الطقوس الدينية بالشمعدانات في الماسونية هو استحالة ، فما عساهم يقولون عن التبخير الذي سنتحدث عنه ؟ ومع ذلك هو برأينا ليس ضرورياً وحسب ، بل هو أساسي كما سنوضحه فيما بعد .

قبل كل شيء ، من المهم الملاحظة أن البخور لم يستخدموه طقسياً في الكنيسة إلاّ نحو القرن الرابع ، لأن المسيحيين الأوائل لم يستعملوا البخور ، لأنه كان بالنسبة إليهم من خصائص العبادة الوثنية . من جهة ثانية طلب من المسيحيين الذين تخلّوا عن إيمانهم أن يقدموا تضحية وهي عبارة عن وضع بخور على فحم محترق أمام أصنام الآلهة .

ويقول « ترتوليان » : إننا لا نقدّم للإله حفنة بخور أو نقطتي خمر صافٍ .
لقد أعطي للبخور شرحاً مادياً يقول أنه استخدم لطرد الروائح الكريهة ولتصحيح الهواء الملوّث في الهياكل التي تحت الأرض .
موسى أمر بصنع مذبح « ليحرق البخور » ووضعه في الهواء الطلق : بكل تأكيدٍ لم يكن لتصحيح الهواء الملوّث .

تكلّم مار بولس في رسالته إلى العبرانيين عن مذبح من ذهب للعطور ورؤيا القديس يوحنا ، وضع ملاك عند المذبح وفي يديه مبخرة من ذهب صاف . أعطي كثيراً من العطور كي يقدّم صلوات لكل القديسين ، على المذبح الذهبي القائم أمام العرش ، ودخان الروائح المتشكل من صلوات القديسين تصاعد من يد الملاك نحو الله . وهكذا إذا كان أوائل المسيحيين يبدون بعض الفتور لتبنّي عادات وثنية ، بعض الأسفار تثبت أنه عند اليهود ومنذ البدء ، وحتى في عبادات كل آسيا ، استعمال البخور كان له معنى ديني .

البخور ودخانه يحتويان على مفعول مطهّر أكيد وهذا المفعول المادي يرافقه مفعول نفسي ويوفّر حالة نفسية خاصة ملائمة للارتقاء الروحي ، لذلك يتوجب استعماله في الماسونية ، خصوصاً عند حفلات الاختبار المُساريّ .

ليس البخور راتين صافياً ، بل هو خليط من مختلف راتينيات ، وقد لا يدخل فيه بعض الأحيان أي بخور صاف أو لُبان . وكلمة بخور « ECENS » في اللاتينية « INCENCIUM » لا تعني أية مادة خاصة ، بل تطلق وصفاً على « كل ما يحترق » ، والبخور الحقيقي هو اللُبان (OLIBAN – OLEUM LIBANI , HUILE DU LIBAN أي الزيت اللبناني الآتي من بوسويليا BOSWELIA المتنوع الريتينيات) .

وبعض الأحيان يغش بخليط مع « السندرك » مادة صمغية عفصية، وريتين الصنوبر ، وريتين الكولوفان (ريتين صفراء شفافة) ، التي تعطي رائحة حادة واضحة . إضافة إلى صموغ الريتينيات للتبخير هناك المرّ ، واللُبان الجاوة أو راتنج بلسمي ، وخشب الصندل . وللتبخير في الماسونية يستحسن استعمال خليط من (لُبان جاوة أو راتنج بلسمي BENJOIN – مرّ MYRRHE – لُبان OLIBAN وفق النسب التالية : لُبان ٣ ، مرّ ٢ وراتنج بلسمي ١

هذا المزيج يعطي رائحة مستحسنة جداً ، يرمز برأينا إلى العوالم الثلاثة ، العالم الإلهي ، والعالم الإنساني والعالم العادي . يجب استعمال المرّ الصحيح ، أو المرّ المذاق ، المسمى أيضاً المرّ الذكري (أم HERABOL) والتنبه إلى عدم استعمال المرّ الأنثوي (BISABOL – APOPOMAX) . وبالنسبة إلى الراتنج البلسمي من سيام ، نفضل ذلك الآتي من « لاووس » ، المسمى خطأ الرتنج البلسمي من سيام ، على الآتي من « سومطره » ، الذي يتصاعد منه رائحة قوية وغير ناعمة . واحتراق الخليط من الروائح يتم على فحم جمر موضوع في مجمرة .

والمبخرة المستعملة في الكنائس سبق للرومان وعرفوها ، وسموها « سوريبولوم سوفيروريوم » ، لكننا نفضل المجمرة (صورة رقم ٦٦) .



FIG. 66.
Cassolette ou brûle-parfum.

إن الشموع والتبخير هما برأينا المساعد والمحسّن الضروري للاحتفالات الماسونية ، لتعطيها الصفة الاحتفالية ، التي يجب أن تسود في الهياكل . ونقول هنا « المساعد والمحسّن » لأنه شيئاً في الطقوس الأساسية للنظام الماسوني .

١٠ . الكتب المقدسة على الطاولة الموقّرة

أمام طاولة المحترم يوجد طاولة موقّرة على شكل ثلاثي عليه توضع الكتب المقدسة والزاوية والبركار .

إن الأنوار الثلاثة الكبرى في الماسونية (وهي الكتب المقدّسة والزاوية والبركار) ، دائماً مطلوبة خلال أعمال المحفل الأكبر ، والمحافل العاملة تحت رعايته ، علماً أن الأهم بين هذه الأنوار هي الكتب المقدّسة ...



الفصل الرابع

لوحة المبتدئ

بدايةً ، كل قاعدة من الممكن تحويلها إلى محفل بمجرد الرسم بالطبشورة على الأرض « اللّوحة » الرمزية للدرجة التي سنعمل بها المشغل « المحترف » . وكانت هذه « اللّوحة » تمحى عند انتهاء الجلسة .

فيما بعد استعملت اللّوحات المصنوعة من قماش ومرسوم عليها ما يلزم من رسوم ، وتعرض في الجلسات .

والآن ينسخ كل محفل كل هذه الرموز لـ « اللّوحة » والمؤلّفة من : عامودين متوّجين برمّانتين يحيطان باب يقودنا إلى سلّم مؤلّف من ثلاث درجات ومن ثم إلى بلاط مرسوم بشكل مربّع أسود وأبيض ، ونرى داخل الهيكل ثلاث نوافذ وحجراً غشيماً وحجراً مكعّباً مروّساً ، وحبلاً ذا ثلاث عقد يلفّ « اللّوحة » التي تضم إلى جانب ما تضمّ ، الشمس والقمر ، والزاوية والبركار ، والشاقول ومقياس الاستواء والمطرقة والإزميل ، ولوحة الرسم . وجميعها رموز تكلمنا عنها سابقاً (لوحة رقم ٤ TABLEAU D'APPRENTI) « لوحة المتمرّن » .

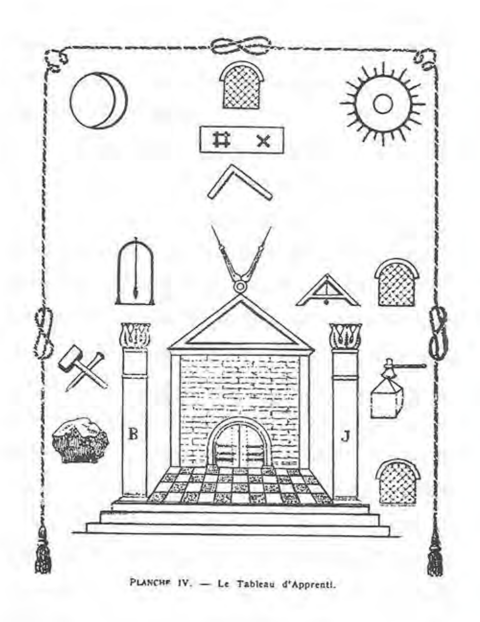


PLANCHE IV. — Le Tableau d'Apprenti.

(لوحة رقم ٤)

الهيكل :

علينا الرجوع إلى التوراة للبحث عن مواصفات هيكل سليمان في سفر الملوك الأول – السادس :

« ... وكان البيت الذي بناه الملك سليمان للرّب ستون ذراعاً طولاً ، وعشرون عرضاً وثلاثون ذراعاً علواً ، والرّواق أمام هيكل البيت عشرون ذراعاً طولاً على محاذاة عرض البيت ، وعشرة أذرع عرضاً أمام البيت . وصنع للبيت نوافذ بعوارض مشبّكة . وبنى على جوانب البيت طوابق من حوله محيطة بجدران البيت من الهيكل والمحراب ، وصنع في الطوابق غرفاً جانبية . فالطابق السفلي عرضه خمسة أذرع ، والأوسط عرضه ستة أذرع ، والثالث عرضه سبعة أذرع ، لأنه صنع مناكب في جدران البيت من الخارج على محيطه لئلاّ يتعدّى على جدران البيت . « وبُنِيَ البيت عند بنائه بحجارة جاهزة من المقلع ، فلم تكن تسمع مطرقة ولا إزميل ولا شيء من آلات الحديد في البيت عند بنائه » . وكان باب الغرفة الوسطى عند الجانب الأيمن من البيت . وكان يصعد إليها في سُلّم لولبي ومنها إلى الثالثة . فبنى البيت وأكمله وسقفه بجذوع وألواح من خشب الأرز... » « ... وبنى في مؤخّرة البيت ، على مسافة عشرين ذراعاً ، ألواحَ أرز ، من الأرض إلى جوانب السقف ، وبنى في داخله محراب قُدس الأقداس .

فكانت مقدّمة البيت وهي الهيكل ، أربعين ذراعاً . وكان في البيت من الداخل خشب الأرز ، فلم يكن يُرى حجر . وهيّأ المحراب في داخل البيت ليجعل هناك تابوت عهد الربّ . وكان طول المحراب عشرين ذراعاً وعرضه عشرين ذراعاً وعلوّه عشرين ذراعاً ، ولبّسه بالذهب الخالص . وكان تجاه المحراب مذبحٌ من الأرز ، فلبّسه بالذهب الخالص ، ولبّس سليمان داخل البيت بالذهب الخالص ، ومدّ سلاسل ذهب أمام المحراب وقد لبّسه بالذهب . ولبّس بالذهب كل البيت بكامله . ولبّس مذبح المحراب كلّه بالذهب ... » .

كل هذه التفاصيل ، على الرغم من دقتها الظاهرية ، لا تخوّلنا إعادة رسم تصميم دقيق وصحيح للهيكل ، علماً أن بعضهم حاول إعادة تكوين تصوّرات قابلة للنقاش جداً .

يقول « كانتنو CONTENAU » بأن هيكل سليمان ، الذي يكون تعبيراً صادقاً وكاملاً للفن اليهودي ، قد دمّر كلّياً ، ولا يمكننا بالمقارنة والمشابهة إلاّ أن نقرّب بينه وبين صروح صغيرة تعود لعصر يقارب عصر الهيكل .

وهذا لم يمنع « رشيوتي G. RICHIOTI » من الكتابة : إن الهيكل أي بيت « يهوه » ، كان بناءً من ثلاثة أقسام هي : الواجهة الخارجية ، التي أخذت نهجاً لمبدأ قديم باتجاه الشرق ، ومنها كان يتم الدخول إلى قاعات ثلاثة متتالية : المدخل بعرض أحد عشر متراً

(عشرين ذراعاً) وبطول خمسة أمتار ونصف (عشرة أذرع) ، فيما لم يعطِ علوّه بدقّة ، لكنه بكل تأكيد تجاوز ستة عشر متراً ونصف المتر (ثلاثين ذراعاً) .

« العولا » – (هكحال – من السومرية – E.GAL – أي البيت الكبير) المسمى « المقدس – قوديش » ، وهو بعرض أحد عشر متراً وبطول إثنين وعشرين متراً (أربعين ذراعاً) وبعلوّ ستة عشر متراً ونصف المتر .

« سيلا أو أديتون » (في العبرية « دبهير » ، المسمى « قدس الأقداس » – المحراب ، قوديش « قواداشيم » ، الذي يشبه غرفة مكعّبة من أحد عشر متراً (طول ، عرض وعلوّ) .

إذاً إن طول الداخل من الواجهة حتى أعمق قدس الأقداس هو ثمانية وثلاثون متراً ونصف المتر (سبعون ذراعاً) وعرضه هو أحد عشر متراً .

لا شك في أن هناك بعض التحفظات على الأوصاف بدقّة ، التي لم تعتمد سوى على النصوص التوراتية غير الواضحة بما فيها الكفاية .
كما لا نحاول من جانبنا إعادة بناء مادية ، لهيكل سليمان ، الذي ليس أكثر من رمز ، لكنه رمز إلى الهيكل المثالي ، وحيث كل ماسوني فيه هو حجر نقل بدون فأس ومطرقة ، وسط السكون والتأمل . فيما يتم الصعود بواسطة أدراج لولبية ، وهي « حلزونية » يشير على المكرّس بذاته ، وبالعودة إلى هذه الذات يتمكّن من الوصول إلى

الكمال الذي يبقى غايته . وتعني كلمة سليمان في العبرية ، « الرجل الهادئ » ، وهيكل سليمان هو « هيكل السلام » ، السلام المتعمّق الذي يتّجه إليه كل الماسونيين الصادقين الذين لا يولون أهمية لاضطراب العالم الخارجي .

بهذا الشكل والمعنى فقط يجب اعتبار هيكل سليمان ، الذي شيّد بسبع سنوات ، التي هي عمر رمزي للأستاذ الماسوني ، للذي توصّل كمالية الاختبار المُساريّ .

شيّد هيكل سليمان بالحجارة من الخارج ، ومزيّن بخشب الأرز من الداخل ، والذهب فيه وفير . فالحجر هو الثبات والخشب هو الحيوية والذهب هو الروحية بكل ما فيها من كمال .

لا يعتبر الماسوني هيكل سليمان كحقيقة تاريخية ولا كمفهوم ديني يهودي ، بل يأخذه على محمل معناه الباطني العميق والجميل .

العامودان :

ومن الصعب أيضاً ، وفق التوراة أن تدرك كيفية صنع العامودين ، الموضوعين أمام الهيكل أو حتى في داخله . إليكم الوصف حسب سفر الملوك الأول ، الإصحاح السابع :

« ... وأرسل الملك سليمان وأتى بحيرام أبي من صور ، وهو ابن أرملة من سبط نفتالي ، وأبوه رجل من صور ، حرفيّ نحاس ، وكان ممتلئاً حكمةً وفهماً ومعرفةً في عمل كل صُنعٍ من النحاس ، فأتى إلى الملك سليمان وعَملَ كلَّ عَمِله .

وصبَّ عامودي النحاس ، طول العامود الواحد ثماني عشرة ذراعاً ، ومحيط العامود خيط طوله إثنا عشرة ذراعاً . وصنع تاجين من نحاس مسبوك .. ليضعهما على رأس العامودين ، فعلوّ التاج الواحد خمسة أذرع . وكان للتاجين اللذين على رأس العامودين حبائك كصنع السّباك وضفائر كصُنع السلاسل ، سبعٌ للتاج الواحد وسبعٌ للتاج الآخر . وصَنَعَ رمّانات ، فجعل صفّين منها على محيط الحبيكة الواحدة لتغطية التاج الذي على رأس العامود ، وهكذا صنع للتاج الآخر . وكان التاجان اللّذان على رأس العامودي في الرواق على شكل السّوسن ، كل واحد أربعة أذرع . وكان على تاجي العامودين فوق البطن الذي عند الحبيكة مئتا رمّانة على صفين محيطين بالتاج الواحد . ونصب العامودان في رواق الهيكل ، نصب العامود الأيمن وسمّاه باسم ياكين ، ونصب العامود الأيسر وسمّاه بوعز . وعلى رأس العامودين كان شكل سوسن . وهكذا تمّ صُنع العامودان » .

كما للهيكل ، فالتفاصيل المعطاة للعامودين هي غير واضحة ولا تعطينا الإمكانية لإعادة تكوين صورة صحيحة ، لأن التكرار يقتل النص ويحوّله أكثر فأكثر إلى غير واضح .

وكتب « راغون » حول هذا الموضوع « أن للعامودين ، كما هو ظاهر علوّهما ثمان عشرة ذراعاً ، ومحيطهما إثنتا عشر ذراعاً ، وقاعدتهما إثنتا عشر والتاجين خمسة أذرع . ما مجموعه سبع وأربعين ، وهو عدد مساوٍ لعدد الكواكب وصور الأبراج ، أي عالم الفلك . إن قياسات العامودين مغايرة تماماً لكل قواعد فنّ العمارة ،

وذلك لتحذيرنا أن حكمة وقوة المعماري الإلهي هما فوق قياسات وحكم البشر . وهما من النحاس لمقاومة الطوفان أي الهمجية ، لأن النحاس ههنا شعار الثبات الأبدي لقوانين الطبيعة ، القاعدة الأساسية لنظرية الماسونية . وهما فارغان ليستوعبا أدواتنا التي هي مكتسبات بشرية . أخيراً بالقرب منهما ندفع للعمال ونعيدهم وهم راضين ومسرورين لإطلاعهم على العلوم » .

لماذا يقول « راغون » ، أن مواصفات العامودين مغايرة لكل قواعد فنّ العمارة ؟

هذه المواصفات هي ، على العكس متكيّفة جداً لأعمدة منفصلة . (يسأل إذا لم يخلط المؤلّفون الماسون بين المحيط والقطر في مواصفات الأعمدة) وقد استعار « راغون » رأيه من « غويلمان دي سان فيكتور GUILLEMAIN DE SAINT VICTOR » الذي قال : إن بعض الماسونيين النيّرين ، لكنهم غير مطّلعين بما فيه الكفاية على رموز الماسونية ، يجدون أن الأمر مضحك بمحيط دائرة من إثني عشرة ذراعاً ، وذلك بقولهم أن عاموداً من ثماني عشرة ذراعاً طولاً على قاعدة دائرية محيطها إثنا عشرة ذراعاً ، لأمر مخالف كلياً لقواعد فنّ العمارة . قد يكونون على صواب ، لكن دائرة عظيمة بهذا الشكل ، ومخالفة للقواعد المعمول بها بين البشر ، هي شعار لإعلان حكمة ومقدرة الكائن الأسمى ، اللّتان تفوقان حدود وحكم المخلوقات . (إن الذراع اليهودي يساوي ٠,٥٢٥ من المتر

وفق مختلف المؤلّفين . وبالتالي فإن علوّ العامودين يساوي ما يقرب من تسعة أمتار ونصف المتر ، والدائرة تساوي في محيطها ستة أمتار وثلاثين ، والقطر متران . وكل هذه المواصفات ليس فيها ما هو غريب ، بل هي قابلة تماماً للانجاز) .

إذاً إن القطر كان يساوي أقل بقليل من أربع أذرع ، والعلو كان نحواً من ثلاث وعشرين ذراعاً مع التاج ، وبالتالي فإن وحدة القياس المستعملة تساوي ستاً فيما كانت تساوي في الفنّ الإغريقي في العامود « الدوري » الذي سبق واستعرضناه في الفصل السابق نحواً من ثمان .

العامودان من النحاس للمقاومة ، وفق « راغون » ، لكن بعد إنجازهما لم يحدث طوفان وحتى اليوم لم نجد أثراً لهما .

وهما فارغان ، كما يقول ، لوضع الأدوات . فالتوراة لم تصنع لهما خزانة ولم تشر إلى أبوابهما ، لكن « ليد بيتر » (صاحب كتاب : الوجهة الباطنية للماسونية) يجد لها أبواباً ثلاثة ، واحداً فوق آخر ، وهي جميعاً غير منظورة من الأمام ، ومقفلة على خزانات ، « حيث كانت تحفظ المحفوظات والكتب والقوانين وسائر المستندات » .

∴

وإذا ما قرأنا بروّية وصف العامودين ، الأول بخمسة أذرع علوّاً والثاني بأربعة ، مما يجعل علوّ العامودين (٢٧) سبعة وعشرين ذراعاً ووحدة القياس سبع (٧) .

فضلاً عن ذلك تتحدث التوراة عن سبعة صفوف من السلاسل ، ومن السوسن بأربعة أذرع علواً ، ومن تاجين بخمسة أذرع علواً . فإذا كان التاج يعلوّ خمسة أذرع ، الزنابق بأربع ، فتبقى ذراع واحدة ضمنها يتوجّب إيواء سبعة صفوف من السلاسل ، فتكون السلاسل من مقياس صغير جداً لدرجة أنها تكون غير مرئية على علوّ عشرة أمتار . ولم تتحدّث التوراة عن القاعدتين ، ربما لعدم وجودهما ، مما يعني أن العامودين وضعا ببساطة على الأرض مع مرتكزهما .

هذان العامودان متشابهان ، فقط يختلفان بموضعهما إلى اليسار وإلى اليمين وباسميهما . مع ذلك يعطينا ، «ج رشيوتي G. RICHIOTI» توضيحات « هامة » دون أن يذكر مصدرها : « على كل من جانبي البهو يوجد عامود برونزي فارغ القلب بعلوّ تسعة أمتار وتسعين (ثماني عشرة ذراعاً) ، متوّج بتاج مستدير بعلوّ مترين (وخمسة أذرع) أي بعلوّ مجمله إثنا عشر متراً (ثلاث وعشرون ذراعاً) . إسم العامود إلى اليمين « ياكين » (وهو ثابت) وإسم العامود إلى اليسار « بوعز » (وبه القوة) ، وحسب شكلهما الحالي هذان الإسمان يجب أن يعودا إلى « يهوه » الذي أوقف الهيكل ، ولكن بالنظر إلى تعليمات قديمة، يظهر أن إسميهما كانا « ياكون» (وهو ثابت) و « بي عز » (بقوة) وينسبان إلى الهيكل (صورة رقم ٦٧) .

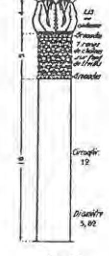


FIG. 67.
Colonne
du Temple.

ياكين وبوعز إسما العامودين :

يوضح « الكاهن كرامبون » للمعنيين فيشرح إسمي العامودين على الشكل التالي : « ياكين أو إياكين » تعني (هو أقام) و « بوعز » في العبرية تعني (بالقوة) نجمع الكلمتين إلى بعضيهما تعني أن الله أقام بالقوة وبشدة ، الهيكل والدين الذي هو المركز .

يقول « أوزوالد ويرث » أن التوراة تعلّمنا أن العامودين من النحاس، وهما عمل الصوري حيرام ، قد ثبّتا على مدخل هيكل سليمان ، واحد إلى اليمين تحت اسم ياكين وآخر إلى اليسار تحت اسم بوعز .

وبالتالي ليس هناك من احتجاج على الجنس الرمزي للعامودين ، إذ الأول يعتبر كذكر من جراء التسمية الأولى « ايود » ، وهي صفة عبرية تتناسب مع الذكرية على وجه العموم . « وبيت » هي الحرف الثاني في الأبجدية العبرية ، وتعتبر أنثوية للغاية ، لأن معناه يعني البيت والسكن ، لذا يعتبر عامود ج ∴ عاموداً مذكراً إيجابياً ، وعامود ب∴ أنثوياً سلبياً . وبالتالي فإن رمزية الألوان تستوجب أن يكون الأول أحمر والثاني أبيض أو أسود . وكلمة ياكين تكتب بالعبرية بالأحرف ايود (ياء) كاف (كاف) ايود (ياء) نون (نون) يكين . وتكتب كلمة بوعز من الأحرف بت (باء) عين (عين) وزين (زين) بعز . فكما كلمتا ياكين وبوعز لهما رمزان للتوالد بالفعل

الذكري والأنثوي ، فتأتي رمزية الرمانتين وما لها من معنى وقيمة ، علماً أنه لا يجب أخذ هذه الرمزية كعامل إفساد ، بل كرمز خلاّق مولّد للحياة .

موضع العامودين :

ما جاء في التوراة هو قطعيّ ، نضع « ياكين » إلى اليمين و « بوعز » إلى اليسار وهذا ما يتطابق مع الرمزية التقليدية والعالمية .

يضع الطقس الإيكوسي العامودين كما تقدم ، فيما يعكس موضعهما الطقس الفرنسي . فيضع « ياكين » إلى اليسار و « بوعز » إلى اليمين ، ولا شيء يبرر هذه الطريقة ولا يبرر نقلهما إلى داخل الهيكل (صورة رقم ٦٨ و ٦٩) .

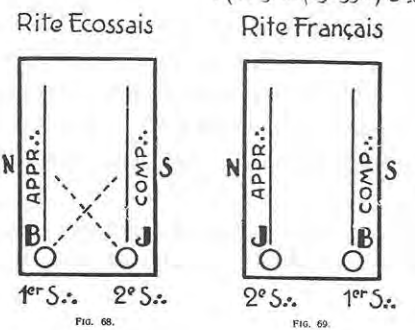


FIG. 68.

FIG. 69.

ونلاحظ أنه في الطقس الإيكوسي ، المنبّه الأول هو إلى الشمال والمنبّه الثاني إلى اليمين عند الدخول إلى الهيكل ، بينما في الطقس الفرنسي معكوسان . وفي الحالتين المنبّه الأول هو عند قاعدة العامود باء « B » والثاني عند قاعدة العامود جيم « J » .

وفي استنتاجه لهذه المفارقة كتب ويرث أن النظامين مقبولان ، بافتراض أن التناسبات تتقاطع ، شرط أن يبقى المنبّه الأول عند العامود ج.·. والثاني عند العامود ب.·. لأن مقياس الاستواء الشاقول اللذان يزيّنان هذين الضابطين يعودان إلى الكبريت ج.·. إيجابي ذكري ، وإلى الزئبق ب.·. سلبي أنثوي . إن موقع المنبّهين في الهيكل لا يتعلّق بحتمية العامودين ، ولكن بالدعامتين اللتين معهما . ولقد رأينا أن الدعامتين هما « جبوارح » ، القوة ، و « شيزد » ، النعمة ، ولا مجال بالتالي للشك ، فيكون المنبّه الأول إلى اليسار والثاني إلى اليمين .

ياكين وبوعز يطابق بالسفيروت إلى « نتزاح NETZAH » و « هود HOD » اللذان يؤلّفان مع « إياذود IESOD » مجموعة واحدة (أنظر لوحة ٤) . وحسب الكبّاليين « إياذود IESOD » له صلة بصفة مولّد ، وله قدرة الله المخصبة . نتزاح وهود يؤلّفان إذاً عناصر مولّدة الذي يجمعهما إيازود ، القدرة المخصبة المركزية .

المبتدئون ، الجالسون في الجانب الشمالي ، هم تحت رعاية المنبّه الثاني الموجود في الجنوب إلى اليمين ، والشغّالون الموجودون في

الجنوب هم تحت رعاية المنبّه الأول الموجود في الشمال ، وفق الطقوس الإيكوسية .

إن العامودين هما حدود العالم المخلوق ، وأن للمنبهين رعاية المتبدئين ، وباختصار نعتقد أن المنبّه الأول يجب أن يتواجد إلى اليسار والمنبه الثاني إلى اليمين ، ونفكّر أنه على العامودين أن يقوما إلى خارج الهيكل وليس في داخله . إن المبتدئ ينظر نحو الجنوب ، والشغّال نحو الشمال وهذا يتناسب مع اتجاه مغناطيسي سلبي . أما المحترم والمنبهان ، فيأخذون اتجاههم من الشرق إلى الغرب وهذا ما يتناسب مع اتجاه إيجابي، وفق سير الشمس (صورة رقم ٧٠) .

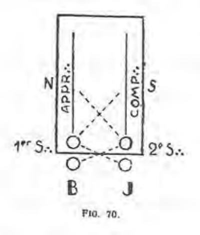


FIG. 70.

ألوان العامودين :

يتّفق المؤلّفون الماسونيون على تطابق الشمس بالعامود ج∴ والقمر بالعامود ب∴ ويلصقون بهما الألوان التالية : الأحمر للعامود ج∴ والأبيض أو الأسود للعامود ب∴ وتتشابه هذه الألوان على التوالي مع الإيجابي والسلبي .

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار النص التوراتي ، فإن العامودين كانا من النحاس الأصفر وأن لونهما هو لون المعدن عينه . ولكن للتفريق بينهما أضيفت ألوان ، وهذه الإضافة هي تعسّفية وقابلة للنقاش ، إذ أننا على خلاف مع غالبية المؤلفين الماسونيين .

نلاحظ أن اللون الأبيض يتوافق كلياً مع الحكمة ، والنعمة والنصر ، فيما اللّون الأحمر مع العقل والحزم والمجد ، واللّون الأزرق يتفق مع التاج والجمال والأساس ، وأخيراً فإن الأسود يتطابق مع « الملكوت MALKUTH » .

هكذا إلى الجانب الأيمن (الإيجابي) نخصّص اللّون الأبيض ، وإلى الجانب الأيسر (السلبي) اللّون الأحمر ، وفي الوسط اللّون الأزرق (المحايد) ، وعند القاعدة اللّون الأسود (المادة) .

وبإعطاء الأبيض للسفيروت الأيمن وبالتالي إلى « ياكين » ، نحترم الرمزية الشمسية ، المخصّصة لهذا العامود ، بما أن نور الشمس هو أبيض .

العامود ج.·. يجب أن يكون أبيض والعامود ب.·. أحمر . فالأبيض هو لون السماء والهيكل والقبة المنجمة . فالماسونية تعطي اللّون الأبيض إلى أعلى الدرجات والأحمر إلى الدرجات الوسطى والأزرق إلى الدرجات الأولى ، التي على أصحابها أن يطبّقوا بادئ ذي بدء التسامح .

∴

إن العامودين ، كما قلنا ، يحدّدان حدود العالم المبتكر وحدود هذا العالم المكوّن من غير المُلِمّ الذي يعتبر أن الحياة والموت هما النقيضان المتطرّفان لرمزية ميّالة نحو توازن لا يمكن أبداً أن يتحقق، لأن القوة البنّاءة لا يمكن أن تنجز بقدر ما أنجزته في مهماتها القوى الهدّامة ، هاتان القوّتان المتعارضتان هما « ضروريتان » الواحدة للأخرى ، فلا يمكننا تصوّر عامود ج.·. بدون عامود ب.·. ، كما لا يمكن تصوّر حرارة بدون برودة ، ونور بدون ظلمات ... إلخ ، فالكائن البشري الحيّ هو دائماً في حالة توازن غير مستقرة بما أنه يغرز خلايا فتية ويستبدلها بخلايا جديدة . حتى الأجيال الجديدة لا يمكنها أن تثبت وجودها إلاّ بعد ما الأجيال القديمة تتخلّى لها عن هذا الحقّ . وهذان العامودان هما صورة العالم ، ومن المستحسن ترك هذا العالم خارج الهيكل ، لأن الهيكل قائم على دعائم ، هي الأخرى قائمة في عالم النموذجيات المثالية حيث يذوب في « النور » الساطع والدائم النضارة .

٢. الرمانات ، الزنبق ، السلاسل

يعلو العامودان الملحوظان في لوحة « محفل المبتدئ » ثلاث رمانات مفتوحة وهكذا تتباعد عن الوصف التوراتي . حيث الصورة

المبسّطة تتجسّد بأن هذه اللّوحة كانت ترسم بطبشورة على الأرض .
لكن حذف الزنابق والسلاسل غير مشروح عنه .
كتب « راغون » أن فيلون وجوزف ذكرا أن زنابق ورمّانات كانت تعلو عامودي هيكل سليمان . إن الزنابق تشير إلى وداعة المجتمع ، والرمانات تشير إلى طهارة الصداقة . والزنبق ، حلّ محلّ « النيلوفر NENUPHAR » الذي هو شعار الآلهة فينوس ، وهكذا المسيحيين نقلوه إلى العذراء مريم . ويوضع الزنبق على مداخل الهيكل للدلالة على براءة الروح والتي بها نتحلّى عند دخولنا إلى الهيكل .
سنرى لاحقاً ما يجب التفكير به حول هذه الادعاءات .

الرمانات :

لنأخذ أولاً بعين الاعتبار رمزية الرمانة بالمفهوم الديني : فحسب قداسة البابا غريغوريوس أن هذه الثمرة ترمز إلى الإحسان الذي يضم فضائل كثيرة . فالرمانة تحت قشرتها تخبّئ كثيراً من الحبوب اللذيذة الطعم وترمز إلى التواضع حسب المونسنيور « بابيه دي مونتول BABIER DE MONTAULT » ، الذي جعل منه أيضاً شعار البابوية الذي يعبّر عن اتحاد أبناء الكنيسة في حضن الأمومة .

وكتب « أنجلو غوبرناتيس » الذي تعمّق بالمعنى أن عدد الحبوب الكبيرة التي تحتويه الرمانة ، جعلها في الرمزية الشعبية كممثل

للخصوبة وللتولّد وللغنى . ففي شكل الرمانة المفتوحة كانوا يعتقدون بأنه يشبه التناسل عند المرأة .
ويزعم أن الثمرة المعطاة من حواء لآدم ، ومن « باريس » إلى « فينوس » لم تكن تفاحة بل رمانة ، مما يستوجب نعني برمانة كل مرة تذكر فيها التفاحة في الأساطير والاستعمالات الشعبية المتعلّقة بالزواج .

هذه الرمزية الجنسية والإخصابية هي بكل تأكيد الأكثر صحّة ، وهي التي نتبنّاها بكلّ دقة ، لأنها رمزية باطنية دينية قديمة لبابل واليونان، مروراً بسوريا وعباداتها الأنثوية الآتية لا محال من الهند والهندوسية .

فالرمانة شجرة تعلو ما بين ثلاثة أمتار وثمانية ، مصدرها بلاد ما بين النهرين ، وفلسطين وبلاد فارس . وتتواجد بحالتها النصف برية في المناطق الحارة والمعتدلة ذات نصفين من الكرة الأرضية خصوصاً في منطقة البحر الأبيض المتوسّط ، وفي البرتغال وأسبانيا، ثمرها صالح للأكل أما قشرة جذورها فهي سامة وتستعمل في الصيدلة .
اسمه في علم النبات « PANUCA GRANATUM » (بانوكا غراناتوم) ومعنى بانوكا أي أحمر بلون الحبوب التي بداخله ومعنى آخر آتٍ من فينيقيا (PUNIQUE) (حرب بين روما وقرطاجة) ،

وغراناتوم يعني حبوب (جران) وناتوم يعني (تفاح) ، ويمكن ترجمتها (تفاح حبوب حمر) .
وفي الماسونية حبوب الرمانة الموضوعة في لُباب شفّاف يرمز إلى وحدة الماسون فيما بينهم بواسطة مثال مشترك . وبما أن قشرة الجذور هي سامة كما أشرنا ، فالرمانة تبين لنا أيضاً أن الماسونيين المنحدرين من عالم فاسد في جوهره ، يرتقون إلى حالة تفوّق .

الزنبق :

قول « هويسمان HUYSMANS » للأب « بلومب ABBE PLOMB » : « أنه يجب ، قبل كل شي ، أن نحدّد أن زنابق الأسفار المقدسة ليست كما نعتقد ، تلك الزهرة المعروفة بهذا الاسم ، لأن الزنبق العادي ، الذي يزهّر في أوروبا والذي أصبح قبل العصور الوسطى شعار العذرية في الكنيسة لم ينبت أبداً في فلسطين، فضلاً عن ذلك يشبّه « نشيد الأناشيد » فم الحبيبة بهذه النبتة ، ولا يظهر أنه يعشق الشفاه البيضاء بل طبعاً الشفاه الحمراء . فالنبات المسمى بزنبق الوديان والحقول في التوراة ليس إلاّ شقائق النعمان . إن « الأب فيكورو » يصفها أنها موجودة بكثرة في سوريا وأورشليم والجليل ، ولهذه الزهرة أوراق مشققة ومتماوجة بخضرة متفتّحة تشبه الخشخاش الحاذق ، وتوحي بفكرة نبتة نبيلة ، طرية ونقية في حليّ أنيقة » .

وكتب « أنجلو غوربانتيس » : « أن الزنبق يلقى في الغرب ذات العبادة الشعبية كما لزهرة اللوتس (وردة النيل) في الشرق ، فينسب الزنبق « لفينوس » و « ساتير » بسبب عضو التأنيث في الزهرة، لذا الزنبق هو رمز التوالد » .

إنه لغريب أن يستنتج أن الزنبق ، ذات العضو التذكير الهام ، يصبح رمزاً للبكارة ، فيما يلاحظ « هويسمان » : « أن رائحة الزنبق هي العكس المطلق لرائحة طاهرة عفيفة ، كونها مزيجاً من العسل والبهار ، شبيهاً برائحة حادة وحلاوة ، برائحة باهتة وقوية ، وتختصّ بالمحفوظات المثيرة للشهوة الجنسية للبلاد الشرقية ولصناعة المربيات الجنسية في الهند » .

وهذا لم يمنع « توماس دي كانتينبري » من الكتابة أن العذرية تقارن بالزنبق بسبب بياضها الثلجي ، وبسبب أن قلب هذه الزهرة محميّ بستة غلافات ، كأنها تحفظها من خطر احتكاك أو خطأ .

من الجائز ، كما يقول « هويسمان » أن هذه الزهرة المعروفة في أوروبا تحت اسم زنبقة لم تكن معروفة في فلسطين ، وكان المقصود بها شقائق النعمان التي ترمز إلى العضو الذكري من جهة ومن جهة ثانية إلى مشعلين عظيمين .

∴

لقد أثارت « زهرة الزنبق » في علم الشعارات مناقشات عدّة وتفسيرات مختلفة ، فهي بالنسبة لبعضهم حديد الفأس ، أو بلطة فرنجية ، أو نوعاً من الصليب ، وبالنسبة لآخرين هي نوع من حربة أو أحسن نوع من رمح نفّذ بأسلوب أنيق . ويتّفق عالمو الشعارات فيما بينهم على التمييز بين زهرة الزنبق وزنبق الحدائق . وبالنسبة إلى « لانوي فيلان » فإن زهرة الزنبق هو نوع من الوزّال أو الجولق ، علماً أن الوزّال دائماً ما استخدم كرمز للشمال أو للعزّة الملكية أو للجنس المذكّر .

و « أنجلو غوبرناتيس » جعل منها شعار التوالد بالقول : إني متأكد أن مدينة فلورنسا وملوك فرنسا باختيارهم زهرة الزنبق كشعار لهم ، كانوا يحملون على تكاثر شعبهم وعلى التعاقب بدون توقّف من نسلهم . وعلى لسانه كتب « شيرويل » في قاموس المؤسسات والعادات والتقاليد في فرنسا (١٨٥٥) أن بعضهم زعم أن الفرنسيين الأوائل اختاروا زنبق المستنقعات لاستذكار أصلهم لأنهم جاؤوا من بلدان كلها مستنقعات .

لسنا بصدد تفحص أصل زهرة الزنبق الشعاري كونه شديد الغموض، وليس قابلاً لحلّ نهائي .

السلاسل :

سبعة صفوف من السلاسل تحيط بتاج العامودين . وعند الأقدمين ترمز السلاسل إلى الأسر ، فيما يبقى المعنى الحقيقي لهذه السلاسل على تاج العامودين غامضاً . أما بالنسبة لعدد سبعة ، فيجب التذكير أن هذا العدد عند الساميين كان ذو احترام كبير ، لأنه متأتٍ من اقتسام الأسبوع إلى سبعة أيام بما يتوافق مع مدّة كل مرحلة من القمر . ولا يجب النظر إليه بأنه يشكّل علاقة كوكبية ما .

لكننا نحاذر بعض الشيء في إعطاء تفسير ما قد يكون رأياً ذاتياً ، ومع ذلك من الجائز القول أن العامودين ، وهما « حدود » ، مع سلاسلهم يبينان أنه من يبقى مشدوداً كثيراً إلى العالم الدنيوي ليس له ولا عليه أن يدخل إلى الهيكل .

من جهة أخرى توضع السلاسل ما بين صفين من الرمانات ، رمز الخصوبة ، مما قد يدفع إلى اعتبارها رمزاً للروابط التي تجمع بين الأجيال .

ولنلاحظ أيضاً أن العامودين بأعضاء التذكير وبسلاسلهم قد يدعوناننا جميعاً إلى استذكار ملكة « أونفال » التي استعادت بعض الوقت هيراقل في « دلفي DELPHES » المكبّل تحت شبكة ، وهو غارق في محاولة ممكنة للرمز إلى الترابط وهيمنة القوة الحياتية الهامة ، أو « القوة المحتملة » ، التي وحدها قادرة على خلق الحياة .

∴

باختصار ترمز الرمانات في الماسونية إلى الازدياد المتضاعف وإلى الاتحاد ، وترمز شقائق النعمان أو الزنبق إلى الشعلة النقية والإخصابية ، وترمز السلاسل إلى الروابط التي تجمع ما بين العالم الدنيوي من جهة ، ومن جهة ثانية إلى الروابط التي توحد الماسونيين .

٣. الدرجات الثلاث

يتحدث « راغون » عن سبعة و « فويلوم » عن ثلاث ، و « بلانتاجينيه » أيضاً عن ثلاث ، فيما « أوزوالد ويرث » يقدّم اللّوحة ولا يرسم فيها أي درجة مما يعني أنه ليس هناك من فكر واحد حول هذا الموضوع .
إن الانتقال من العالم الدنيوي إلى الاختبار المُساريّ لا يمكن أن يحصل بذات المستوى وأن الدرجات الثلاث الرمزية هي ضرورية وأنها تطبع المُساريّ أي المبتدئ ، فيما الدرجات الخمس تميّز درجة الشغّال كما سنرى ذلك فيما بعد .

تمثّل الدرجات الثلاث على التوالي المجال الفيزيائي أو المادي ، ثم المجال الوسطي المسمى « الكوكبي » ، ثم المجال النفسي أو

العقلي . هذه المجالات الثلاث تتناسب مع الانقسام الثلاثي للكائن البشري بجسد ، روح ، وعقل .

وبوصول المُساريّ إلى الدرجة الثالثة يجد نفسه أمام باب مقفل ينفتح تلقائياً أمامه إذا كان أهلاً لذلك .

تحصل كل التكريسات على درجات ، ولا ترتفع أرض الهيكل بل يرتفع الحرم . من هنا توجد ملحوظة الجودة التي في كل طقس أو عبادة ، وفي كل الأزمنة وعند كل الشعوب كان يشار إليها بكل دقة واعتناء .

إن الدرجات الثلاث للهيكل الماسوني في درجة المبتدئ تدلّ على المجهود الذي عليه أن يبذله للتخلّص من المجال المادي أولاً ، ثم من المجال « الكوكبي » ، للوصول إلى المستويات العليا .

لم « تتحقق » هذه الدرجات الثلاث في الهياكل الماسونية ، فقط يشار إليها في « اللوحة » ويجب منطقياً أن تسبق المدخل .

على عكس ذلك إن طاولات المحترم والخطيب وأمين السر موجودة في مكان مرتفع ثلاث درجات . وهذه الدرجات الثلاث تشير إلى الجهد الجهيد الذي يجب بذله للوصول إلى الحرم .

إن الوصول إلى القمم الروحية هو دائم ، على الرغم من أن أحداً لا يمكنه الزعم والتبجح أنه وصل تماماً إلى تلك القمم . على المبتدئ أن يكتفي بثلاث درجات ، وإذا تسلّقها ليس بصورة رمزية ، بل بصدق الروح يعتبر نفسه أنه أنجز مهمة عظيمة .

الثلاثية تتواجد أينما كان على مستوى درجة مبتدئ . في عمره الذي هو ثلاث سنوات في خطواته التي هي ثلاث خطوات ، في ضرباته التي هي ثلاث ضربات ، وفي الدخول إلى الهيكل التي هي ثلاث خطوات .

∴

أعطى « راغون » خطأ سبعة تدرجات لهيكل المبتدئ ، الذي لا يمكنه واقعاً وفعلاً سوى فهم واستيعاب ثلاثة ، كما أعطى لائحة طويلة من الثلاثيات ، قابلة للنقاش ، وهي :

ثلاثة أعمار : عمر الذهب ، عمر النحاس الأصفر ، عمر الحديد .

ثلاثة مؤسسي أديان : موسى ، يسوع ، محمد .

الرقم ثلاثة يرمز إلى الأرض : هو رسم للأجسام الأرضية ومنها الشوكة الثلاثية ، آلهة البحر اليونانية « أومفيتريت AMPHITRITE » وإله الموج « تريدون TRIDON » .

الثلاثة الغير متناسقة : الشباب ، الحب ، الشيخوخة .

ثلاثة أجناس بشرية : الأبيض ، الأسود ، الأصفر ، إلخ ...

لكن هذه الثلاثيات قابلة للنقاش ، إذ يحصي أربعة أعمار ، هي عمر الذهب وعمر الفضة ، عمر النحاس وعمر الحديد .

وأن الرقم أربعة يرمز إلى الأرض وليس الرقم ثلاثة .

وبين مؤسسي الأديان تناسى زرداشت وبوذا وغيرهم ، الرموز المشار إليها والتي هي بحرية وليست أرضية ، وفي عمر الحياة الإنسانية هناك أربعة مراحل هي ، الطفولة والمراهقة ، النضوج والشيخوخة . وبين الأجناس البشرية لم يذكر الجنس الأحمر .
والأمر كذلك بالنسبة لعدد من الأمثلة المعطاة من « راغون » .
إنها مهلكة محتومة لهواة التسميات الذين يودون التأكيد والإثبات ، فيما هم لا يؤكّدون ولا يثبتون شيئاً .

٤. بلاط الفسيفساء

إن البلاط الفسيفسائي (الموزاييك) يكون مؤلّف من بلاط مربّع متعاقب واحدة سوداء وواحدة بيضاء على شكل الشطرنج أو (الداما) .
يقول « راغون » :
إن البلاط الفسيفسائي هو شعار تنوّع التراب الأرضي ، ومتكوّن من حجارة بيضاء وسوداء مجموعة إلى بعضها بالإسمنت ، ويرمز إلى اتحاد كل الماسونيين على الكرة الأرضية ، على الرغم من اختلاف الألوان ، والمناخات ، والآراء السياسية والدينية ، فهو صورة الخير والشر المزروعة على طريق الحياة .

وكتب « بلانتاجينيه » أن البلاط الفسيفسائي ، حسب الطقوس القديمة، يعني اللّحمة الشديدة ، التي يجب أن تسود ما بين الماسونيين المرتبطين فيما بينهم بالحقيقة .
وهذه الحقيقة لا تبدو لنا متناسقة ، كونها ترمز إلى تعاقب الأبيض والأسود . إذاً يمكننا القول أن البلاط الفسيفسائي هو مكمّل في الهيكل، كثنائية العامودين ، ويتوجب الاستخلاص أن الماسوني كالدنيوي يخضع لصرامة قانون التناقضات . وهذا التأكيد غيرمشتبه فيه لنسبية الحقائق التي لا يمكنها إلاّ أن تكشف المكرّس الجديد في محفل المبتدئين .

ويقول « ويرث » أن إدراكنا ينتج عن المتناقضات ، هم يخلقون التأكيدات بمعنى أنه بدونهم لا نعثر على الوحدة التي قد تختلط بالعدم . إن البلاط الفسيفسائي ، المؤلّف من بلاط متعاقب أبيض وأسود هو في الماسونية رسم الموضوعية . فهو يحمل كل ما يقع تحت الإحساس . فيبقى المُساريّ واقفاً ويتقدّم في الحياة على هذه التربيعات التي توازن بدقة بين الإرضاءات والأشجان ، وبين الأفراح والأحزان ، لكل الأحياء .
إن رمزية البلاط الفسيفسائي ، المعتمد غالباً ، هو رمزية الخير والشر الملازمين للوجود الأرضي ، وهو أيضاً رمزية الجسد والروح ، المتحدين وبدون ذوبان الواحد بالآخر . الظلمة والنور مرتبطان في البلاط الفسيفسائي ، فهما متداخلان ومتشابكان فيما لو

أخذنا صفوف البلاطات ، إنما الخطوط التي تفصل بينها تشكّل طريقاً مستقيماً قسماً منها أبيض وقسماً أسود ، تارةً إلى اليمين وتارة إلى اليسار . هذه الخطوط هي طريق المُساريّ الذي عليه ألاّ يرفض الأخلاقية العادية ، بل وعليه الارتقاء فوقها ، إذ عليه التوخي الدائم من كل ما يعود إلى علم الأخلاق . فضلاً عن ذلك فإن الأديان بقدر ما ترجع في الزمن وبالقدر عينه تبتعد عن المفاهيم الأخلاقية التي يدرج على إعطائها لهم .

هذه الخطوط لا تظهر لأعين الدنيويين ، الذين لا يرون سوى بلاط أبيض وأسود ، ويتّبعون الخط « العريض » أي طريق التعليم العام، فهم ينتقلون بالتعاقب من الأبيض إلى الأسود ، ومن الأسود إلى الأبيض ، لديهم دائماً ، عن يمينهم وعن يسارهم وأمامهم وورائهم لون متناقض الذي هم فيه . هكذا تتبين التناقضات المتعددة التي تتشكّل تحت أقدامهم .

أما المُساريّ فبالعكس يتبع الطريق السرية أو الباطنية فهي طريق ضيقة كحدّ الشفرة ، ويمر ما بين البياض والسواد ، دون أن يشكّل عائقاً أمام مسيرته .

إن ضيق الطريق للدلالة بحدّ ذاتها على أنه لا يمكن أن تكون هذه الطريق طريق الدنيوي (صورة رقم ٧١) .

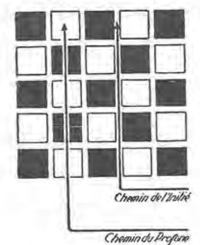


FIG.
Le Pavé Mosaïque.

يفهم بالأبيض القبول السهل « بالخير » ، وبالأسود القبول « بالشر » ، ومن الأصح القول « بالروحية » و « المادية » .
« فبالمادية » يفهم كل ما يقرب الإنسان من الحيوان ، أي حياة فيزيائية بحتة ، و « بالروحية » عكس ذلك ، أي كل ما ينحو إلى تحرير الإنسان من روابط المادة .
« والروحية » المقصودة هنا لا يجب خلطها مع المفهوم الديني الخاص بالحياة الرهبانية المتكون بصرامة وتوبة ، والمتأتي من صوفية مرضية ، والذي لا يقوّي في أي حال من الأحوال أو في أحوال نادرة للغاية توصل إلى الكمال للمُساريّ . إن الرمزية التعليمية العامة الفسيفسائية بليغة . فمن يود الحفاظ فقط على « البياض » ، من وجهة نظر دينية متشددة ، يتعرّض من كل الجهات لقوى غامضة تسبب فيه اضطرابات ، وما « تجربة القديس أنطونيوس » سوى قصّة مثالية . ومن يود اتخاذ « السواد » قاعدة حياة ، يجد نفسه محاطاً بقوى بيضاء تجبره على ترك موقعه ، إما بالموت وإما بانسحابه من المجتمع بشكل أو بآخر .
كل فعل يستدعي ردّة فعل تعيد التوازن الذي اختلّ للحظة . هذه هي رمزية البلاط الفسيفسائي .

تعليق حول لعبة الشطرنج

قورن مرات عدّة البلاط الفسيفسائي بالداما ، وبلعبة الشطرنج . إن لعبة الداما مؤلّفة من طاولة تحتوي على مئة خانة ، ولعبة الشطرنج

مؤلّفة من طاولة تحتوي على أربع وستين خانة . إن لعبة الشطرنج تعتبر عادة متفوّقة لصعوبتها على لعبة الداما .

وكتب « إدغار بو EDGAR POE » : إن السلطة العالية للفكر تستخدم بإيجابية وإفادة بلعبة الداما أكثر من لعب لعبة الشطرنج . في اللّعبة الأخيرة كل القطع تتحرك بحركات مختلفة وغريبة ، وتمثّل قيماً هي الأخرى مختلفة ومتعدّدة . من هنا الانتباه مطلوب بشدّة ، وإلاّ إذا تراخى هذا الانتباه وقع الخطأ ، وبالتالي حصلت الخسارة . وبما أن التحركات الممكنة هي ليست فقط متغيّرة ، بل وغير متساوية بالمقدرة فاحتمال وقع الخطأ كثير الحدوث . وفي تسع مرات على عشر يربح اللاّعب الأكثر انتباهاً وليس اللاّعب الأكثر ذكاءً ، بينما في الداما ، على العكس ، حيث الحركة بسيطة في نوعها ولا تستلزم سوى تغيّرات بسيطة ، ولا هو مطلوب الانتباه كلّياً ، وكل المكاسب لأحد اللاّعبين لا تكتسب إلاّ بفطنة متفوّقة .

إليكم الآن دليل حول الشطرنج وفق « دوبيناي دي فوربيار DUPINEY DE VOREPIERRE » أن الرأي العامي ينسب اختراع لعبة الشطرنج إلى البطل « بالاماد » ، الذي تخيلّها أثناء حرب طرواده TROIE لخداع حصار دام عشر سنوات ، لكن هذا القول مفقود الأساس إذ كل شيء يحمل على الاعتقاد أن هذه اللعبة من أصل هندي ، لكننا لا نعرف تاريخ اختراعها ولا اسم مخترعها . لكن قرينة الكلمات « ECHECS , SCACCHI » في اللغات

الأوروبية تشير إلى أصلها الشرقي ، وإلى الفارسي (CHESS SCAPHSPIEL . ZATRICHION) ، لكن الفرس أنفسهم يؤكدون أنهم أخذوا هذه اللّعبة من الهند ، استوردوها إلى بلادهم في القرن السادس ، في ظلّ حكم شوسروس الكبير CHOSROES ، كما يعتقد الصينيون أن الشطرنج ذو أصل هندي .
تلعب لعبة الشطرنج على طاولة مربّعة خاصة تنقسم إلى أربعة وستين مربّعاً أو خانة منها إثنان وثلاثون أبيض ، وإثنان وثلاثون أسود ، وهي جميعاً تتعاقب ، مربعاً أبيض تلو مربع أسود ، وتكوّن ثمانية صفوف متساوية لكل لاعب فيها ست عشرة حجر ، هي الملك، الملكة ، مجنونان ، فارسان ، برجان ، وثمانية حجارة (أو جنود) شطرنج ، ويعطي الهنود اسم فرز FERZ لاسم الملكة ، أي رئيسة ، واسم فيل للمجنونين . وطوّر اسم المجنونين وأصبح في الفرنسية دوفين ، ثم طوّر ليصبح اسمهما انطلاقاً من موقعهما قرب الملك كمساعدي المعسكر ورعاة الأبرشية في انكلترا . أما الفارسان فحافظا على اسمهما في كل اللغات إلاّ في الألمانية أخذا اسم القافزين . وفي الهند يتمثّل البرج بفيل على ظهره رجال مسلّحون بحربات . والعرب استبدلوا الفيل بالعصفور ، والحجارة تعني الخدم والعسكر المشاة . ويسمي الألمان الحجارة بالفلاحين ، والإنكليز بالرجال . في لعبة الشطرنج كل حجر له مسيرة مختلفة . الملك يتحرك بكل الاتجاهات لكنه لا يمكنه أن يترك مكانه إلاّ ليحتل مكان مجاور لمكانه . أيضاً الملكة تذهب بكل الاتجاهات وتستطيع أن تنتقل

من طرف الطاولة إلى طرفها الآخر ما لم يكن هناك ما يعيقها . فيما المجنونان لا يتبعان سوى الخطوط الوربية ، والبرجان يتحركان عامودياً وأفقياً ، والفارسان يسيران على شكل زاوية والحجارة لا تتقدم إلاّ خانة إلى أمامها . الملك هو القطعة الرئيسية ولا يمكن أن يؤسر ، هكذا القاعدة فقط يُجبر على تغيير موقعه إذا كانت كل الجنود قد أُسرت وإذا لم يستطع أن يتحرّك دون أن يتعرّض للأسر مرة جديدة يقال مات الملك وتنتهي الجولة .

إذاً نحو الملك تتجه كل الهجومات ، وكل الحجارة الأخرى لا تستعمل سوى لحمايته ، وكل اللّعبة تقوم على مهاجمته بشكل أن يقع بموقع فيه ، لا يمكنه التقدّم أم التراجع دون أن يتعرّض للأسر . في وضعية الأسر الموصوفة يقال في الإسبانية « بات » أي وضعية تساوي ، والجولة تعتبر ملغاة .

⁖

إن طاولة لعبة الشطرنج تحتوي على أربعة وستين مربّعاً وعدد ٦٤ أربعة وستين هو المكعّب لعدد أربعة (٤ × ٤ × ٤) هو مربّع عدد ثمانية (٨ × ٨) . فالرُباعي هو الصريح (العناصر الأربعة) ، وعدد أربعة وستين هو الرقم ٤ مضروبة بحالها ثلاث مرات ، أي بملء صفاته وازدهاره ، والثمانية هي الرباعية المضاعفة التي تعطي أحاسيس كثيرة لا يمكننا أن نعتمد عليها .

إن عدد أربعة وستين يقول « الدكتور ألندي ALLENDY »
صاحب كتاب رمزية الأرقام (عام ١٩٢١) ، إنه تنفيذ الاعتدال
للوحدة الكونية ، في ازدهار الغبطة . إنه التحرر النهائي الذي يخول
الكائن تحقيق فرديته بعد دورته الرباعية في روابط « الكرمة »
الكونية . ويمكن أن يمثّل هذا العدد القوى الطبيعية المتفاعلة باتحاد
بعد التحديدات الراعية للكون . فأم بوذا ولدت حسب التقليد من عائلة
منعم عليها بأربعة وستين صفة جيدة . والتقليد الصيني يحدد أربعة
وستين جيلاً من هونغ-تي إلى كونفوشيوس مؤسس الأسرة الملكية ،
وحسب القديس لوقا هناك أربعة وستين جيلاً من آدم حتى المسيح ،
وعند الهنود يوجد عدد أربعة وستين آلهة من طبقة أبهافارا .

وبالنسبة إلى « كلود دي سان مارتان » أن عدد أربعة وستين هو
متمم لدائرة ثمنية حيث العدد هو القوى . بعد اجتياز أعماق المناطق
ووجود الكائنات ، يعيد الوحدة إلى عدده البسيط ، حيث كانت
مقسومة ، وكانت الحركة تسيطر بالعدم والموت .
إن الأربع وستين مربّعاً من الشطرنج لم تتحدد اعتباطاً . إن
الشطرنج يمثل صراع الفكر ضدّ المادة المتمثّلة بالخصم . والقوى
المتخاصمة هي عند الانطلاق ، متساوية .
الملك هو الفكر الذي لا يمكن أن يختفي ، وأن لا يتحوّل إلى العدم ،
ولا يمكن الاستيلاء عليه وأسره ، لكن عندما يحلّ في المادة ويسجن

الفكر في الجسد من لحم ، تتناقص الامكانات ، وعلى الرغم من أنه يتحرك بكل الاتجاهات لا يمكنه ، أي الملك ، الابتعاد عن نقطة انطلاقه .

الملكة هي النفس ، لها إمكانات واسعة في المادة لكن يمكن أسرها . المجنون ، هو العقل الفوقي ، العبقرية ، الذي يتحرك تقاطعياً . والبرد هو العقل التحتي ، الذي يتحرك عامودياً . الفارس هو النجومي ، هو الخيال ، الذي يقفز فوق الحواجز . والجندي هو في النهاية الجسد الفيزيائي ، هو الأحاسيس التي تخطئ ولا يمكنها التراجع ، أي لا يمكنها أن ترفض الشعور .

واللاّعبون أنفسهم ، خارج طاولة الشطرنج ، هم أشبه بالمحرك الأول (ديميورج) ، الذين يحكمون العالم ، والذين هم أيضاً خارج العالم .

لم نأت شيئاً سوى الوقوف على رمزية لعبة الشطرنج التي تستوجب حتماً دراسة مطوّلة لكن من المفيد إعطاء هذه التقاربات بسبب المشابهة بين طاولة الشطرنج وبلاط الفسيفساء .

٥. النوافذ الثلاث

ثلاث نوافذ ملحوظة في لوحة المبتدئ ، الأولى في الشرق ، الثانية في الجنوب ، والثالثة في الغرب ، ولا توجد نافذة في الشمال ، وهذه النوافذ الثلاث مشبكة . يقول « بلانتاجينيه » أنها تمثّل الأبواب الثلاثة لهيكل سليمان ، وهذه الفكرة تدعو إلى أن انعزال المشغل الماسوني ، هو نوع من التناقض . ليس الأمر كذلك أبداً ، أن المشبك الذي يصون هذه الفتحات يذكر أن عمل العمال لا يتعرّض لأنظار الدنيويين الذين لا يعرفون كيف ينظرون داخل الهيكل ، وتذكّر بأنه ، إذا لم يتوقف الماسوني عند الحاجز عينه فإن تصوّراته هي مختلفة . إذ لا يمكنه أن ينظر فعلياً إلى الاضطراب الباطل في الشارع ، لأن كل ما حوله مغلق ، لكن أيضاً ليس عليه أن لا يحدد فكرياً حركة العالم المحسوس انطلاقاً من حيث هو موجود .

ويضيف « ويرث » أن محفل المبتدئ لا يتلقّى نوراً من الخارج ، مما يذكّر بالمغاور الأرضية أو المحفورة على منحدرات الجبال ، وبالمدافن تحت الأرض ، وبدهاليز مصرية وهندية أو مغارة تروفونيوس في الميثولوجيا الجاهلية أو غيرها . فيما محفل الشغّال على العكس من ذلك ، أي أنه على اتصال بالعالم الخارجي نظراً لثلاثة نوافذ .

وما يمكننا ملاحظته هو أن الطقوس الماسونية القديمة ذكرت ثلاث نوافذ في درجة مبتدئ ، وقد ألغاها « ويرث » بدون تروٍّ كي يطابق بين تفسيره ومفهومه .

أما بالنسبة إلى « بلانتاجينيه » فيتحدّث عن ثلاثة أبواب لهيكل سليمان ، وقد جاء في سفر الملوك الأول الإصحاح السادس العدد ٤ : « وضع للبيت نوافذ بعوارض مشبّكة » ، لكننا نجهل كل شيء عن عدد وموضع هذه النوافذ . وما نعلمه بصورة أكيدة هو أن الهيكل ينفتح إلى الشّرق وليس إلى الغرب كما غالبية الكنائس والكاتدرائيات . هكذا أنير عند شروق الشمس ، والاتجاه العام كان عينه للكنائس ، أي أن الطول هو في اتجاه شرق- غرب ، لكن الشمس هي التي تتجه لملاقاة قدس الأقداس .

إن الماسون البنائين وجّهوا دائماً الهياكل بشكل تكون مداخلها من الغرب ، والنوافذ الثلاث في « اللّوحة » تتبع مسيرة الشمس ، وبالتالي فلا نافذة في الشمال لأن الشمس لا تمر من هناك .

النوافذ هي مشبكة ليس لمنع الدنيويين من النظر إلى داخل الهيكل ، ولا سيما أن هيكلاً مناراً داخلياً لا يحجب النظر إليه بواسطة النافذة ، بل لحماية الدخول إلى الهيكل .

وعلى الرغم من كل الحجج التي تزعم أن الماسوني يتطلّع عبر تلك النوافذ إلى العالم الخارجي ، فإننا نقول أنها تفسيرات مخطئة ، ولا

سيما أنه يكفي أن تبنى النوافذ على علوٍّ ما ، كي تمنع رؤية اضطراب الشارع .

يعزل الهيكل عن العالم الدنيوي ، وعلى الماسوني ألاّ يجرّب بأن يصبح متفرّجاً على هذا العالم . بل على العكس ، بعد خروجه من الهيكل ، وبعد أن يكون قد استمدّ قوى جديدة ، على الماسوني أن يعود ثانية عنصراً مجهولاً في المجتمع لينشر الحكمة ، القوة ، واللّطافة التي اكتسبها . نافذة الشرق تحمل طراوة الفجر ونشاطه المتجدد ، ونافذة الجنوب تحمل القوة والحرارة ، ونافذة الغرب تقدّم نوراً متباطئاً يحثّ على الراحة . أما جهة الشمال فهي معتمة لأنها لا تتلقى أي نور ولذلك لا يلزمها نافذة . إن أعمال الماسون تبدأ رمزياً عند الظهيرة وتنتهي عند منصف اللّيل . يبدأون عند الظهر عندما تشعّ الشمس بكل قوّتها في الهيكل (صورة رقم ٧٢) .

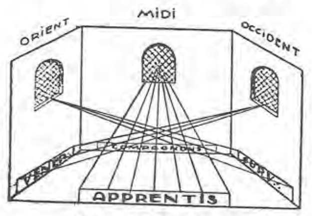


FIG. 72. — Les Trois Fenêtres.

يجلس المبتدئون في الشمال ، لأنهم بحاجة إلى أن يتنوّروا ، فيتلقون هكذا النور بكامله من نافذة الجنوب ، فيما الشغّالين المتواجدين في الجنوب هم بحاجة أقل إلى النور ، والظل الآتي من جدار الهيكل ينيرهم بما فيه الكفاية . وفي هذا السياق من الأفكار يلاحظ أن المحترم ومساعديه يتلقون نور المغيب ، فيما المراقبان هما مستنفران منذ الفجر بواسطة النور الذي ينيرهما . وفي كتب التعليم الماسوني يقال أيضاً أن الشغّالين يجلسون في الجنوب لأنهم أصبحوا متقدّمين بعض الشيء ليتحمّلوا وهج النهار ، ويقال أيضاً أن المُساريّ في الدرجة الثانية مدعو إلى أن يصبح هو نفسه مركز إشعاع ، ومبعث حرارة ونور . يتفق ههنا على أن بالأمر استفاضة ، إذ منبع النور لا يحتاج لوهج النهار .

٦. الحجر الغشيم ، الحجر المكعّب ، والحجر المكعّب ذو الرأس الحادّ

إلى الشمال وإلى اليمين يتواجد حجر غشيم وآخر مكعّب ذا رأس حادّ . إذا كانت بعض الرموز الماسونية لم تثير إلاّ القليل من الشروحات والتفسيرات فإن الحجر الغشيم والحجر المكعّب ليسا في هذه الحالة . وهنا الأبحاث تفيض ودروس الأخلاق تتضخّم وتصبح نهراً .

بالنسبة إلى « راغون » ، إن الحجر الغشيم يرمز إلى عدم اكتمال الفكر والقلب ، وعلى الماسوني أن يجتهد في تصحيحهما . ويتّفق غالبية المؤلّفين الماسون في هذا الشأن مع « راغون » ، إلاّ « بلانتاجينيه » الذي يقدّم ما هو مخالف وصحيح .

فيقول :

« إذا كان بالإمكان الاعتقاد بالأساطير الباطنية ، قد حدث أن الشمس بدّدت الغيوم الداكنة السواد والثقيلة التي قضت على الأطلنطيد المسجونة تحت سماء ثقيلة ، وأن السلالة السامية الآرية اكتسبت الوحي للشخصية الذاتية ، وأخذت مكانها الفعالية الحواسية من الفكر المدرك ، أعلن الزعماء الآريين عن وصول النور وتحرر السلالة التي أصبح بالنسبة إليها الحجر المنحوت رمزاً للغموض والعبودية ، فيما بقي الحجر الغشيم رمزاً للحرية » .

إننا نتجنّب الخوض بمسألة غير محسومة تتعلّق بالأطلنطيد وقارات أخرى « اختفت » ، ونقف منها موقفاً حذراً وفيها شك إلى أن تأتينا الإثباتات القيّمة .

فمن الممكن اعتبار الحجر الغشيم كرمز للحرية ، والحجر المنحوت كرمز للعبودية ، ويتناول « بلانتاجينيه » الأمر بصورة ممتازة على الشكل التالي :

« بانحنائنا تحت ثقل الحجر المنحوت ، والمصقول ، المصنوع من كل المسبقات ، من الميول ، من كل تشدد الصيغ المطلقة ، المقبول بها بدون رقابة كتعبير منيع والحقيقة الواحدة ، التي جميعها تجعل الإنسان عبداً لمحيطه ، فنرى هنا الدنيوي يتقدّم إلى باب الهيكل ، طالباً النور . إن محفلاً صحيحاً ، وكاملاً يعطيه النور ، وفي نفس الوقت يحرّره بالاختبار المُساريّ من العبودية . المُساريّ الجديد يرمز إلى حريته « بالحجر الغشيم » الذي يتطابق مع شخصيته » .

أجل إن المبتدئ بالاختبار المُساريّ الماسوني يولد مجدّداً ، يستعيد حالته الطبيعية ، فيتخلّص من كل ما ألصقه المجتمع به اصطناعياً وسيئاً ، ويستعيد أيضاً كل ما انتزع منه من بداهة وطيبة ، فيستعيد « حرية التفكير » ، وبمساعدة « الأدوات » التي يعطى إياها ، يتمكن من نحت ذاته أي « يصقل ذاته » ويتوصّل إلى جعلها كاملة وفق ما يريد ، فيطبع على ذاته خصائص شخصيته التي تصبح فريدة .

في الماسونية ، على عكس ما هو في غالبية التجمعات البشرية الأخرى ، كل أخ يحتفظ بحرية كاملة ، فلا يمكن ولا يجب أن يتلقى أي أمر من شأنه أن يؤثر على قراره وأفعاله . وبالتالي المناهضين للماسونية الذين يزعمون العكس يبينون بنفس الوقت مقدار جهلهم الكامل للماسونية الحقيقية .

الحجر المكعّب

الحجر الغشيم ، المكعّب أو السداسي ، هو العمل الرائع الذي على المبتدئ أن ينجزه . إنه من الصعب مادياً مع المطرقة والإزميل والزاوية تحقيق المكعّب الكامل مما يظهر للوهلة الأولى . ويعلو الحجر المكعّب « لوحة المبتدئ » هرم رباعي ويسمى « الحجر المكعّب الحادّ » .

إليكم ما يقول « راغون » بهذا الصدد : « هذا الحجر الذي عليه يسنّ الشغّالون أدواتهم ، يرمز إلى التقدّم الذي يجب أن يقوموا به في المؤسسة وفي علاقاتهم مع الأخوة ، لأن المكعّب ، وهو الجماد الأكثر كمالاً ، والجامع الأكثر لوجوه موحّدة ، يمكن أن يستعمل في أي استخدام . والحجر المكعّب هو في معناه الخلقي حجر الزاوية في الهيكل غير المادي المشيد وفق الفلسفة ، وهو شعار النفس التوّاقة للارتفاع إلى مصدرها . لذا ينتهي الحجر على شكل هرم ، رمز النار ، بهدف كتابة الأرقام المقدّسة عليه . فلنحته يجب استعمال البركار والزاوية ، ومقياس الاستواء والشاقول ، وهذه جميعاً أدوات تمثل في ذهننا العلوم التي يأتي اكتمالها من فوق . هذا الحجر الرمزي يجب أن يعود إلى رموز الدرجة الثانية » .

يجب الملاحظة مع الأسف مدى فقر وقلّة باطنية تحاليل « راغون » على الرغم من مجهوده وشهرته التي يتمتّع بها . « المكعّب هو

الجماد الأكثر كمالاً » ، كما يقول ، والحقيقة هي أن الكرة هي الجماد الأكثر اكتمالاً وليس المكعّب ، من هنا في درجة الشغّال تعلو العامودين كرتان .

ويقول : « أن المكعّب هو الجماد الجامع لأكثر وجوه موحّدة » . فما الذي يقصده بموحّدة ، أيعني أنها مصقولة أو مجموعة ببعضها ؟ في كل الأحوال هذا التأكيد هو خطأ . لأن المكعّب يمكن أن يكون رباعياً وسداسياً وثمانياً وإثني عشرياً وعشرينياً . إذاً ما هو المكعّب؟ هو الجماد المنتظم الذي يضم ستة أوجه مربّعة ومتساوية فيما بينها ، وثماني رؤوس مؤلّفة من زوايا مثلّثة الأضلاع كل منها ، وإثني عشر ضلعاً . فإنه الجماد الوحيد الأفلاطوني الذي يضاف على ذاته يمكنه أن يملأ كل الفضاء وبدون حل للاستمرارية . ونلاحظ أيضاً أن أوجهه تتطابق كل إثنين فيما بينهما ، ويمتلك المكعّب ثلاثة محاور من تماثل ، وأنه لا يمكن رؤيته إلاّ من ثلاثة جوانب دفعة واحدة من المكعّب . إنها ملاحظات غير هامة تقدّم لتدرس من المبتدئ .

يشبّه أفلاطون المكعّب بعنصر الأرض ، العنصر الأساسي ، الذي بدونه لا تنفع الإنسان كل العناصر الأخرى (صورة رقم ٧٣) .

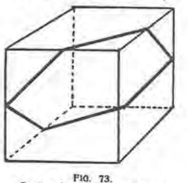


FIG. 73.
Section hexagonale du Cube.

∴

مذابح الهياكل في قديم اليونان أعطيت غالباً شكل مكعّب ، ومسألة التضاعف بقيت شهيرة . فيحكى أن أثينا ، وهي تتعرّض لخطر مرض معدٍ ، أرسلت تستشير معبد « أبولون » في « ديلوس » ، فأجاب الإله بأن المرض يزول إذا ضاعفوا مذبحه ، لكن الصرح كان مكعّباً ، مما يعني بناء آخر هو تماماً مرتان من حجم الأول .

وشرعوا في العمل ورفعوا مذبحاً جديداً وضاعفوا كل من أضلع المكعّب ، للمذبح القديم ، مما نتج عنه مكعّب هو ثمانية أضعاف الأول . ومع ذلك لم يتوقّف المرض المعدي ، فذهبوا ثانية يستشيرون المعبد الذي أجاب بالجواب عينه . فكانت المسألة مسألة مضاعفة هندسية للمكعّب لا يمكن الوصول إليها بواسطة الدائرة والخط المستقيم .

قلّ « إبقراط من شيو » الحلّ بإدخال متوسّط تناسبي لإثنين من الأطوال وهكذا كانت نقطة الانطلاق للبحث الذي شغل عدد من الأجيال من علماء الرياضيات .

تفرض هذه المسألة لحلّها معادلة من الدرجة الثالثة ، فإذا كان حجم المكعّب الأول يساوي – ١ – فضلع المكعّب الثاني يجب أن يساوي الجذر التكعيبي ٢ .

وهذه المسألة هي إحدى ثلاث التي بقيت مشهورة ، وهي بالإضافة إلى الأولى ، مسألة ثلاثية الزاوية ورباعية الدائرة (صورة رقم ٧٤) .

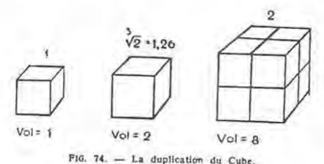


FIG. 74. — La duplication du Cube.

لا يرتكز « المطران ليدبيتر LEADBEATER » على بعد نظره بل على مؤلّفين باللّغة الإنكليزية هما « شورشوارد » و « جون باركر » ، ويؤكّد أن مذبح الهياكل عند المصريين كان يتكوّن من مكعّبات ثلاثة تتركب فوق بعضها البعض . والرسم الذي أعطاه هو ثلاثة متوازي المستطيلات تتركب ، وليس ثلاثة مكعّبات . وببساطة يعترف أن هذه الصورة ليست مستعارة من مذبح مصري ، بل هي مأخوذة من عمل « م. إفانس M. EVANS » ، الأمر الذي أفرحنا وأسفنا له .

∴

وكلمة « مكعّب CUBE » بالفرنسية مأخوذة من اليونانية « كوبوس KUBOS » ، أي نرد لعبة الطاولة (الزهر) الذي يحمل نقاطاً على كل وجه منه .

وهذه النقاط مرتّبة بشكل أن يكون مجموعها على الوجهين المتقابلين سبعة ، أي ١ و ٦ - ٢ و ٥ - ٣ و ٤ . فمساحة زهر اللّعب متبسطة تشكل صليباً لاتينياً محفورة الأرقام عليه من ١ إلى ٦ بعد الأخذ بعين الاعتبار التقابل الحاصل (صورة رقم ٧٥) .

FIG. 75. — Le Cube développé et les nombres.

يلاحظ أن مجموعة نقاط العامود الرأسي ثابت ويساوي أربع عشرة نقطة فيما مجموع العامود الأفقي يتراوح بين ثمان وثلاث عشرة نقطة ، فمن غير الممكن الحصول على ذات المجموع في الغصنين .

وإذا عدنا إلى المعنى العام للأعداد الأولى نجد :

١ و ٦ يعنيان الوحدة والتوازن .

٢ و ٥ الانقسام والإنسان .

٣ و ٤ المبادئ الثلاثة للعناصر الأربعة .

وإذا وضعت النقاط نجد في العامود الأفقي ٢ + ٣ + ٥ = ١٠ ، وفي الجزء الأسفل من العامود الرأسي نجد ٦ + ٤ = ١٠ . والعشرة تتطابق مع « الوحدة » الظاهرة وفي الصفر غير الظاهر . والثلاثية المركزية تتطابق مع الأوجه الثلاثة وللتمييز الإلهي .

فيما مجموع الوجهين المتقابلين يساوي سبعة – ٧ – وهو عدد محترم عند الأقدمين ، ومجموع الأعداد من ١ إلى ٦ يساوي ٢١ .

إن العدد ٢١ له بعض الأهمية التي تحدّث عنها الدكتور « ألندي » بقوله أن العدد ٢١ هو عكس ١٢ ، إذ الإثنان مؤلّفان من نفس الأرقام ولكن بانتظام مختلف . مع ثنائية العشرة يظهر مبدأ التمييز في الوحدة الكونية لتنظيمها في أوجهها المتغيرة وعلاقاتها الطبيعية ، بينما في العدد ٢١ نرى الفردية الناتجة عن التمييز الكوني ، أي العكس تماماً . مع ١٢ الثنائية لتنظيم الوحدة . ومع ٢١ ، الوحدة تنتظم في الثنائية . إثنا عشر عدد مزدوج ، وهي حالة متّزنة ناتجة عن تنظيم منسجم للدورات المستمرة (١٢ = ٣ × ٤) ، ٢١ هو عدد مفرد ، وهو الجهد الدينامي للفردية ، الذي يتكوّن من صراع الأضداد ، ويعانق أبداً الطريق الجديد للدورات التطورية (٢١ = ٣ × ٧) . وهذا العدد يضيف إلى القطبين الكونيين رباطاً يضعهما في علاقة ، ويستخدم في تركيزه على أداة ما . هو الفرد المستقل ما بين الفكر النقي والمادة السلبية ، وهو أيضاً حريته الفاعلة بين الخير والشر اللذان يتقاسمان العالم ، إذاً هو عدد المسؤولية ، وإنه لشيء غريب أن عمر الواحد والعشرين عاماً للإنسان قد اختير

من قبل شعوب كثيرة كعمر الأكثرية ، وباطنياً ثالث سباعية يطبع اكتمال التطوّر ، وهو بالنسبة للإنسان الفترة المملوءة نمواً .

بالنسبة إلى « لويس كلود دي سانت مارتين » فإن عدد ٢١ هو عدد الإبادة ، أو بالأحرى الانتهاء الشامل ، لأنه كعدد إثنين مفصولاً بعدد واحد يبيّن في نفس الوقت رمز نتاج الأشياء ونهايتها ، على الصعيدين الروحي والجسدي .

وقد ظهر جلياً أن المُساريين في السابق قد أورثونا بعضاً من علومهم المُساريّة تحت أشكال ألعاب : لعبة التاروت الأسرار المهمة هي بعدد ٢٢ بينها واحد بدون رقم أي ٢١ + . ولعبة زهر اللّعب هي بدون شك مليئة بالإيحاءات .

إن المكعّب يشكّل إحدى معطيات « ألعاب الصبر » عند الأولاد ، كما له ستة اندماجات ممكنة ، أي ستة مظاهر للعالم الظاهر المعدني والنباتي والحيواني والإنساني والنفسي والإلهي (صورة رقم ٧٦) .

FIG. 76. — Le Cube développé et les six aspects du monde manifesté.

المكعّب هو شعار « الاستقرار » والقسم السفلي الذي يسند ركيزة الأعمدة يسمى « الزهر » وهذا القسم يشبه عامة المكعّب .

والمكعّب يشبه أيضاً الشكل البدائي للبيت مع جدرانه الأربعة وهذا المفهوم يشتدّ عندما يعلوه هرم ذو أربع زوايا التي تكوّن السقف : وهو الحجر المكعّب المروّس .

الحجر المكعّب المروّس

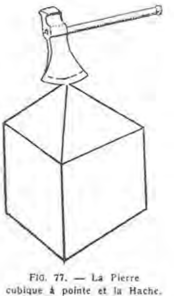
يقول « راغون » : « أن الحجر المكعّب مخصص لشحذ الأدوات ، وينتهي على شكل هرم ، كرمز للنار ، بهدف كتابة الأعداد المقدسة » .

لا نستطيع القبول أن الحجر المكعّب هو فقط لشحذ الأدوات ، وأن الرباعي هو رمز النار ، وليس الهرم الرباعي . ونضيف أنه وجدت على المستندات الماسونية في القرن الثامن عشر فأس مسلّطة على رأس الحجر المكعّب المروّس . والفأس لا يمكن أن تستعمل إلاّ للخشب ، مما قد يكون هذا « الحجر » هو من الخشب .

لقد رأينا أن « الحجر الغشيم » يرمز إلى الحرية التي استعادها المُساريّ الجديد . وقد ترمز الفأس إلى الحرية التي على الرفيق أن يكتسبها بعدم الخوف من هدم « الخرائب القديمة » .

تفاجأ « ويرث » بهذه الفأس وكتب أن رمزاً غير متوقّع هو ذلك العائد لحجر مكعّب مسلّطة عليه فأس ، مما يحتّم على الماسون أن يستعيروا هذه الأداة لشق الحجر وصولاً إلى محتواه ، وإلى خفاياه .

ربما قد أحسّ هذا الكاتب بما للفأس من غرابة وهي مسلّطة على الحجر ، لكنه يتجاوزها ويبقى أميناً لمنهجه في وصفه للرمزية التصويرية الكتابية ، ويتابع أن التتويج الهرمي للمكعّب يمكن أن يتساوى مع الصليب الذي يعلوه المربّع في رمز الفكرة للحجر الفلسفي .


FIG. 77. — La Pierre cubique à pointe et la Hache.

في هذه الحالة يعود الحجر المكعّب المروّس بصورة خاصة إلى درجة أستاذ ، وإلى تهذيب الشخصية الذي يترجم بنوع من قداسة أو بطولة على الصعيد الأخلاقي ، وبنوع من عبقرية فذّة من وجهة نظر عقلانية (صورة رقم ٧٧) .

نحن لا نزعم بـ « العبقرية الفذّة » ولا نقبل بشرح « ويرث » . كما نرفض أيضاً رأي « بلانتاجينيه » الذي يعيد الأفكار المبتذلة المتداولة وينهي عرضه بطرق أخلاقية إذ يعتقد أن الحجر المكعّب هو الممثل للكمال العقلاني والروحي ، الذي على الشغّال أن يجتهد في تحقيقه على ذاته . لقد رأينا أن لديه الوسائل ، لكن التفسيرات التي تعطى لهذا الرمز تؤكد شكله ، وطبيعته وجودته . هذا المكعّب

الذي ليس بالواقع مكعّباً ، إنما هو صورة النسبية ، لأن شكله إذا تغيّر يبرهن أن محيطه الحيّ ليس قادراً أن يدمج في جسمه أشكال مثالية كاملة ... إن الحجر المكعّب هو بتعريفه غير كامل ، كما من الممكن أن ندّعي أنه غير كامل بعد وأيضاً ممكن وصفه بأنه في طريق التطوّر نحو شكل جديد متفوق : الهرم ، والفأس اللذان يعلوان الحجر المكعّب الحاد يعنيان أن العمال يشحذون أدواتهم بواسطته . ويمكننا أن نفسّر أن في هذه الطموحات الصادقة نحو مثالية فوق قدرة البشر الذي يقوم بها الماسوني الصادق فيقوّي شجاعته ، عندما سوء النية ونكران الجميل والغباوة البشرية يجبرونه أن يشكّ بكل شيء من العمل المقدم عليه من البشرية ، من أخوانه وحتى من نفسه .

∴

الحجر الموضوع تحت الفأس يدلّ على طابعه الموقّر. فهو يبقى « مكعباً » على الرغم من أن هرماً يعلوه ، وذلك لحمايته من الماء تماماً كما هي الفأس لحمايته من النار (الصاعقة) . هذا الحجر يمثّل الماسوني المثالي ، الذي يتوجّب حمايته على الدوام من الماء والنار ، كون الماء ممثلة للقوى « المتسامية جداً » . فعلى الماسوني أن يقف في « الموقف الوسط » مع استقامة ودقة أمينة .

نلاحظ أن الحجر المكعّب المروّس والمكوّن من حجر واحد لن يستعمل في إنجاز البناء ، ومع ذلك قد يمثّل المفصل الأهم ، إذ هو غلق القبة .

إن العناصر الأربعة العليا موحّدة في نقطة مركزية هي السامية ، والعناصر الأربعة السفلية هي في علاقات مباشرة مع العناصر العليا أو المكوّنة . فإذا استبدلنا العناصر : نار وهواء وماء وتراب بالخصائص الأربع حار وجاف ورطب وبارد ، تبقى الرمزية متشابهة .

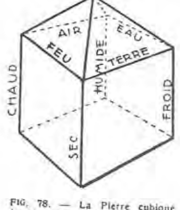


FIG. 78. — La Pierre cubique à pointe et les Quatre Eléments.

وفي الصورة ٧٨ نرى الأرض جافة وباردة ، والنار حارة وجافة ، والهواء حاراً ورطباً ، والماء رطباً وبارداً وفق الرمزية التقليدية .

تعليق على « زهر » اللعب عند الأقدمين

عرف الأقدمون نوعين من زهر اللّعب ، الأول هو عظم من الفقرة مجوّفة الكعب لبعض الحيوانات ، وقد أسماه اليونانيون « أستراغالوس » ، (كونه عظماً يحمل في تجويفه خطين عاموديين يشكلان صليب مالطا) وأسماه اللاّتين « تالوس » كونه يحمل أربعة وجوه ، أو بالأحرى وجهين وجانبين يصبحان أملسين بعد الصقل ،

فيما يبقى الوجهان على صورة حرف S . وإذا ما عدّل بهذا العظم وصقل يمكن جعله مكعّباً صحيحاً مؤلّفاً من ستة أوجه ملساء ومنتظمة ومتجانسة . وهذا المكعّب سمّاه اليونانيون « كوبوس » فيما استمر اللاتين بتسميته « تالوس » وسموا عظم الفقرة « تيسّيرا » ، وهي تسمية محرّفة عن اليونانية « تيسّيرا » أي الأربعة للتدليل على أن هذا الزهر القديم له فقط أربعة وجوه .

في الزهر ذي الأربعة وجوه ، الوجه الأول يمثل كلباً (الكلب السماوي) يعطي واحد خسارة ، كونه الأقل ، وما هو أقل يخسر دائماً . الوجه الآخر كان يسمى نقطة شيو (شيوس يمثل برميلاً ، أو وحدة قياس لشيو) ويساوي ثلاثة نقاط رابحة .

أما الجانبان ، فواحد يمثل الزمن أو زحل إله الزمان ، أو العلامة المختصرة لهذا الكوكب ، ويساوي أربعة ، ويسمى « سينيو » . الجانب الثاني يمثل كوكب الزهرة ، أو العلامة المختصرة له ويساوي سبعة . إنه الزهر الأقوى . أما الوجهان الجديدان اللذان أضيفا إلى الزهر القديم ، وبهما أصبح مكعّباً ، وأحدهما مستعار من علامة جديدة ، من النسر الكاسر السماوي ، وهو زهر ضعيف يأتي بعد الكلب ولا يساوي سوى نقطتين . والوجه الآخر « ميداس » ويساوي خمسة . وهكذا أضيف إلى ألعاب الطاولة عددان هما إثنان

وخمسة ، اللذين كانا سابقاً مستبعدين من الزهر ذي الوجوه الأربعة ، كما أن عدد ستة كان أيضاً مستبعداً .

وعند تعدد انزلاق أكثر من زهر واحد وذوي نقطة واحدة متشابهة ، لا يؤخذ بالحسبان مجموعها ، بل عدد زهر واحد ويلغى الباقون . العدد الأكبر المتكوّن يسمى هرقل وريد ملكي أو ملكي . إن الزهر الكامل أو المكعّب كان دائماً تحت حماية جوبيتر ، فسمي به ، أي زهر « جوبيتر » .

حوالي القرن السابع نجح المبشرون ، بعد يأس من إطفاء حمى ألعاب المقامرة بإلغاء التسمية المدنسة والوثنية لمختلف حظوظ الزهر . واستبدلوها بنقطة واحدة بدلاً من الكلب السماوي ، وبنقطتين بدلاً من النسر الكاسر ، وبثلاثة بدلاً من علامة « شيو CHIO » ، وبأربع نقاط من العلامة المختصرة لزحل ، وبخمس نقاط بدلاً من الملك « ميداس » ، وكوكب الزهرة ، أو حظ السبعة ، استبدل بالنقاط الست (من كتاب التاريخ الطبيعي « بلين » سنة ١٧٨٢) .

تعليق حول الفأس

كانت شعائر الفأس جارية في العصور السابقة للعصور المؤرّخة ، منذ عصريّ الحجر والبرونز .

يقول « ديشلات » أن هذا الرمز كان يرتبط بكل تأكيد بالصاعقة ، لأنه كان وراء إيجاد إله خاص بالتشبيه مرتبط بـ « زوس » الذي

يحمل في الوقت عينه الصاعقة والفأس المزدوجة . وبما أن الأوائل نسبوا الأصل عينه للبرق ولأشعة الشمس ، فيمكن بالتالي التصوّر أن إله الصاعقة ارتبط بآلهة الدورة الشمسية ، مما يفسّر بسهولة ارتباط الرموز الشمسية ، من حصان وبجع ودولاب وصليب معقوف ، مع ما للفأس من رمزية .

وكتب (فرانز كومون FRANZ CUMONT) أن الفأس هي شعار سلتي نجده في إيطاليا الشمالية ، وبلاد الغاليين ، ويلاحظ « دوتشكي » وجودها على تماثيل « مودينا » و « بريشيا » ، وينظر إلى الفأس ، بحق كما اعتقد ، كونها شعاراً مخصصاً لاستبعاد القدر المشؤوم . نأسف لأن هذا المؤلّف لم يحلّل بعمق رمزية الفأس عند الرومان ، بينما اهتم « دون مارتين » طويلاً بمعادلة الفأس المرسومة على الأضرحة الرومانية ، إليكم استنتاجاته : منذ الأصل هناك مقابر مهدات بمعنى التكريس . كما أن الرماد الذي يوضع ، في مقابر مماثلة ، يحوّل المكان إلى مكان ديني لا يمكن المساس به . فضلاً عن ذلك يرى « هـ. لكلارك H. LEKLARC » بالصيغة التي تذكّر بالفأس على الضريح ، أنها مشابهة مع « وضع أول حجر على الأبنية » فكتب :
إن الحلّ الأكثر احتمالاً هو الحلّ الذي لا يهتم كثيراً بأي معتقد ديني أو وثني ، أو مسيحي ، بل يخصّ طائفة من الأفكار التي لا تتناولها آراء المتوفي والأحياء . يمكننا الافتراض أن الأمر في البدء ، قبل

أن يصبح الرمز والصيغة مجرد بروتوكول بسيط ، كان مجرد عمل يجب الاعتراف به شرعياً لعقد قانوني حيث وجوده كان رسمياً ومثبتاً هكذا .

وحول الفأس على النُصب التذكارية المسيحية يقول : إنه لا ريب أنه يوجد على الشواهد مهنة المتوفي . ويكتب أيضاً أن العمال الذين ينحتون الحجارة المخصصة للمقابر ، اعتادوا رسم شكل فأس ، التي كان الشاري يطالب بها إذا لم يجدها . وإذا كان الشاري مسيحياً لم يفكّر أبداً أن يشتري حجراً بناءً لطلب مسبق ، بل أخذه كما هو ، دون أن يفكّر بالأمر وبالمعنى المقصود من وراء فأس موجودة على الحجر .

من كل ما تقدم يمكننا القول أن للفأس خاصية الحماية وخاصية القدسية .

وفي فلكلور « البروتانيا » نجد في أيامنا « الفأس الحامية » . وكتب « غونين GYUENIN » أنه لدى زيارته إلى الحجر الذي تركت عليه آثاراً للقديسة « نون » ، ذكر أنه رأى في بيت مصنوع من القش فأساً حجرية أخّاذة ، وكانت موضوعة عند زاوية السقف . وهي حسب المالك لذلك البيت ، حفظت حتى حينه ببيته من أي صاعقة .

والكاتب عينه يذكر وفق مصادر مختلفة أنه توضع فؤوس الحجر في أعشاش الدجاج الحاضنة لحفظ البيض من مفاعيل العاصفة . وأن

الفأس كانت تعطى للذي قارب أن يفارق الحياة كي يقبّلها قبل أن يموت ، أيضاً كانت تغلى الفؤوس الحجرية ، كون ماءها المغلي يساعد على شفاء الحيوانات المريضة إلخ ... كل هذا يؤكّد فعل التكفير وخاصيتها المقدّسة .

٧. القُنزُعة وحلقة الاتحاد

يسمّى بالقُنزُعة المخرّمة ، الحبل ذو العقد الذي يحيط « لوحة المبتدئ » « لوحة الشغّال » . هذه التسمية غير مناسبة ، لكنها تكرّست بالاستعمال . وهو حبل متكوّن من عقد تسمى بحيرات الحب، وينتهي عند طرفيه بشرابتين . « فيليوم » يجعل الحبل بسبع عقد في درجة المبتدئ وتسع في درجة الشغّال .
« بلانتاجينيه » ، يجعلها سبعاً في درجة المبتدئ ولا يحدد عددها في درجة الشغّال فيما « ويرث » لا يعطي سوى ثلاث للدرجتين ، و « راغون » لا يذكر العدد أبداً .

وإذا ما اختلفوا فيما بينهم على العدد ، اتفقوا على مفاهيمها : بالنسبة إلى « راغون » ، هذه العقد المتداخلة التي تشكّل القُنزُعة المخرّمة دون أن تنقطع ، هي صورة الاتحاد الأخوي ، الذي يربط بواسطة حلقة غير قابلة للتفسخ كل الماسون في الكرة الأرضية ، دون تمييز

بين عرق وآخر ودون أي شرط . إن تداخلها يرمز إلى السرية التي يجب أن تحاط بها أسرارنا . وأن الامتداد الدائري بدون تقطّع يشير إلى أن الامبراطورية الماسونية ، حيث حكم الفضيلة تشمل كل أنحاء العالم ، في رمزية كل محفل . إن القُنزُعة المخرّمة تذكّر أيضاً بالعُصبات البيضاء والحمراء والزرقاء لكنائس فرنسا القديمة ، التي كان يضع أسيادها الكبار ومحبّي العدل عليها شعار النبالة ، والتي في صروحها المقدسة المخصصة للعبادة الشمسية ، تمثّل صور البروج (ZODIAQUE) .

كتب « ويرث » : إن الستارة المخرّمة تشكّل فريز وتحمل حبل ينتهي بشراريب تلتقي قرب الأعمدة ∴ J و ∴ B وهذه الزينة سمّيت بصورة غير مناسبة قُنزُعة مخرّمة . الحبل يعقد ويمثّل حلقة الاتحاد يربط جميع الماسون . والعقد يمكن أن تكون (١٢) كعدد صور الأبراج .

بالنسبة إلى « بلانتاجينيه » ، إن القُنزُعة المخرّمة ترمز إلى الأخوّة التي توحّد كل الماسون ، وهي بهذه الصفة إعادة ثابتة ومستمرة لحلقة الاتحاد .

هنا علينا سرد قصة « لناكرودسكي » بالأداة المنتقص من قدره :
إن الأدوات المستخدمة في الرمزية من قبل الماسوني تتناسب تماماً مع التجهيز العادي للشغّال الماسوني العملي . إذ تحمل نفس الأسماء،

وأي عامل يتعرّف عليها بسهولة في « لوحة » درجتي المبتدئ والشغّال ... لمن المدهش أن يستنتج أن الحبلة ، أداة ضرورية جداً في المهنة ، أخذت في الماسونية الرمزية اسم القُنزُعة المخرّمة وأن « بحيرات الحب » تمثّل « حلقة الاتحاد » التي تجمع كل الماسون ، وهذه الرمزية المؤثّرة لحبل الماسونية المصطنعة بالنظر إلى الولع العاطفي للماسون « المقبولين » (صورة رقم ٧٩)

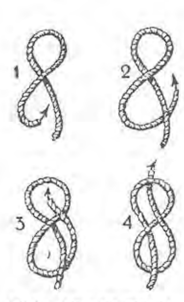


FIG. 79. — Les « lacs d'amour ».

إنهم لا يعلمون أبداً أن كل بنّاء يجب أن « يخطّط » على الأرض قبل البدء ببنائه ، وأن الحبل يلعب دوراً كبيراً في هذه العملية ، التي تحتوي على رمزية أعمق من رمزية « بحيرات الحب » ، التي لا تخدم من الناحية التقنية بشيء ، لأن أهمية تأسيس البنّاء تكون كبيرة عندما يتعلّق الأمر بهيكل . وسابقاً في مصر القديمة نفّذت هذه العملية على يدي « ناصبي الحبال » المحترفين والمصحوبين بطقوس مشابهة لاحتفالات وضع حجر الأساس .

يجب أخذ رأي « ناغرودسكي » بعين الاعتبار ، إذ هو أكيد أن الماسونيين العاملين وهم يتناقلون رمزاً عملانياً بدّلوا خطأً المعنى الأساسي . لقد أشرنا سابقاً إلى أن مسّاحي الأرض المصريين استخدموا حبلاً ذو عقد ، لخطّ الزوايا المستقيمة ، كما كانت العقد ذاتها نقاط معلّم .

∴

لقد أعطى الماسون الأوائل العقد « بالقُنزُعة المخرّمة » شكل بحيرات الحب (صورة رقم ٧٩) . وهذه العقدة هي سهلة الإنجاز ، إذ تقوم بصنع حلقة (أنثوية) ثم إدخال طرف (الذكر) الحبل داخل الحلقة .

تخطيطياً ، هذا الرمز هو قوس على شكل ثمانية ممددة (∞) وتمثل الغير المتناهي في الرياضيات (وقد درسها لأول مرّة عالم الرياضيات « جاك برنويلّي JAQUES BERNOUILLI » (١٦٥٤ – ١٧٠٥) وهي عبارة عن رباعية غير محددة ومساحتها الإجمالية تساوي مربّعاً ضلعه من نصف محورها . وقد استعمله لأول مرّة الرياضي « واليس » عام ١٦٥٥ . واتجاه تيارها يعود بعد انقلاب مزدوج على اتجاهه الأولي ، والصورة المركزية لهذه العقدة تمثّل صليباً مزدوجاً ، لذا لم تختر هذه العقدة اعتباطياً بين كل الأشكال الممكنة للعقد .

وكتب « ويرث » أنه من المسموح تقريب هذه الهالة الأفقية من الكرة الحيوية التي تمثّل الانبعاثات الإيجابية للفكر . إذ نحمل حولنا القبّة العقلية ، حيث شمس الإدراك يجتاز كسوفه ∞ محجوز في حدوده الضيقة كما هو سهل الحصول لنا ، ويسمى « بابوس » علامة ∞ العلامة الإلهية للحياة العالمية ، وأيضاً يسمّيها « أديوس بيكارد » رمز الحياة والفكر العالمي . إنها لجرأة أن نقارن قبعة البحار وعلامة الرياضيات الغير المتناهية . هذه العلامة هي نسبياً حديثة (١٦٦٥) ولعبة « الطارو » التي لا تاريخ تأسيسها نعرفه والذي هو أكيد سابق للعلامة الرياضية ∞ .

يقول « روس بال » في « تاريخ الرياضيات » أن هذه العلامة ∞ استخدمها الرومان للإشارة إلى عدد ١٠٠٠ ألف ، ثم جاء استعمالها فيما بعد للتدليل على العدد الكبير ، لكن الرومان كانوا يشيرون إلى العدد ألف بدائرة يتوسطها خط عامودي ، وإلى خمسماية ، نصف الألف بحرف D أي نصف الدائرة . ويجب الملاحظة أن « بحيرات الحب » حدّدت بتاريخ الشعارات القديمة على النحو التالي : هي حبل يعبر طرفاه ويخرجان من فوق وتحت على شكل شرّابة . كما الحبل الحرير الأسود والأبيض ، الذي تحيط به الأرامل نقودها .

أيضاً فإن شعارات الكرادلة والأساقفة والآباء تحمل فوق القبعات حبلة متكوّنة من بحيرات الحب ومنتهية بشرّابات .

أيضاً يمكن التفكير بصورة معقولة أن الماسونيين الأوائل النظريين استبدلوا الحبل العملاني بحبل تزييني ذو عقد على شكل بحيرات الحب ، هي ملحوظة كشعار في لوحة المحفل ، التي تضم الرموز الأساسية للماسونية ، الأمر الذي تعتبر معه كمجموعة لشعارات الماسونية .

لماذا هذه العقدة تحمل اسم « بحيرات الحب » ؟ إنه سؤال لم نستطع بعد الإجابة عليه ، لأنه لا وجود لمستند يخولنا إعطاء جواب مقبول . من الممكن أنه عندما تشكّل هذه العقد ، تتشكل الأعضاء التناسلية من ذكرية وأنثوية ، لكن غالبية العقد هي في ذات الحالة ...

∴

يؤكد « ويرث » أن « لوحات المحفل » ، المرسومة بالطبشورة على الأرض ، أو الملوّنة على « سجادة » ، تنتهي بطرف مخرّم ومتكوّن من مثلّثات متساوية الأضلاع ، منها ما هو أسود ومنها ما هو أبيض . وقد مثّل هذا « الطرف » في « لوحة الشغّال » الذي رسمه ، ورسم فيه مثلّثات بيضاء على خلفية سوداء . مما يشير ، كما يعتقد ، إلى إيحاء من ونور منبثق من نقطة مركز « اللّوحة » . إنه يقبل مع ذلك بإمكانية وضع الأبيض بدل الأسود .

الكيفية المعكوسة قد تكون هي الأصح وفق الأخ « أيجنهويس » المحرّر في نشرة الجمعية الماسونية الهولندية ، من أجل دراسة الرموز والطقوس ، يرتكز على الأبحاث الواسعة العلم للدكتور

« لودفيك كيلر » من برلين ، إنما لا يرى « أيجنهويس » في الطرف المخرّم أقل من تذكار للمدافن والسراديب .

يصف مدخلاً منحوتاً في صخرة ، وفيه ما يبقى منه في حالته البدائية يظهر المجال المجهول ، الكائن خارج حدود إدراكنا . هذا المجال الغامض يغلّف المدخل ، طيف العالم المعلوم ، يؤلّف له إطار لكسرة الصخر .

فإذاً الأمر هو فعلاً كذلك ، يقول « ويرث » : فهي المثلّثات على الصف الخارجي التي يجب أن تكون بيضاء ، للدلالة على التأثير التنويري الممارس علينا من قبل هيمنة العظمة التي نجهلها . في هذه الحالة المثلّثات السوداء تعتبر من قبل المُساريين مجهود لقابلية الفهم فيما المثلّثات البيضاء المتّجهة رؤوسها نحو الخارج تشير إلى نوع من العدائية ضد الغموض من جانب العقل البشري .

يبقى أن نثبت أن « الطرف المخرّم » ليس ابتكاراً حديثاً ، علماً أن « فيلوم VUILLAUME » لا يصوّره في « لوحات » المبتدئ والشغّال المرفقان بكتابه « تويلور TUILEUR » أي المراقب أو المفتّش خارج الهيكل ، الذي طبع سنة ١٨٢٠ .

∴

مع « فريتز أوهلمان » نطوف في صميم المخيّلة :
إن « القُنزُعة المخرّمة » تمثّل فُتات غشاوة جيب الجنين ، والحبل هو الحبل السرّي الذي يغذّي الجنين . والرموز المصوّرة على اللّوحة تشهر المعتقدات الماسونية ، وتظهر هكذا كغذاء للمستَجد الجديد . وهذا ليس بمخيّلة غير مجدية ولا سيما أن اللّوحة كانت في الأصل على شكل دائري أو بيضاوي والحبل الذي يحيط بها كان في الأصل لجعل اللوحة نوعاً من كيس ، يحتوي فيه الأشياء الرمزية .
إن الحجة الواردة أعلاه ليست واحدة ، لأنه لا ذكر للّوحة الدائرية أو البيضاوية في المستندات الماسونية القديمة ، كما يجب ألاّ ننسى أن « اللوحة » كانت ترسم بطبشورة على الأرض ، ورسم حولها الحبل، على الرغم من أنه لم تستخدم لتكوين كيس ، من جهة ثانية انظر إلى المثلثات للقُنزُعة المخرّمة من خلال الجيب الممزّق للغشاوة التي تحوي الجنين تبدو لنا بعض الشيء « وهمية » .

⁂

صحيح أن الماسونية الأنكلو-ساكسونية تحيط المربّع الطويل « بطرف مخرّم » أما « الإطار ذو القُنزُعة » ، يقول « ليد بيتر » ، يسيطر على الأربع وجوه من البلاط . وكان يقال في الماسونية القديمة أنها مصنوعة من خيوط ملفوفة ، وهي اليوم مصنوعة من إطار مقوّر أو مخرّم . وهذا الأخير يذكرنا حسب طقوس محافل الذكور ، بالزنّار العظيم الإشعاع المتكوّن حول الشمس

من الكواكب لدى دورانها . فيما طقوس الماسونية المختلطة جعلت منه شعار الجدار الحافظ للإنسانية . هناك تفسير مزدوج لأربع شرابات تتواجد في زوايا الطرف . في ماسونية الذكور يرون بالأمر الاعتدال والشجاعة والحذر والعدالة ، دائماً تعطي مفهوماً أخلاقياً . وغير أنها تمثّل أيضاً الأنظمة الأربع الكبيرة من « الديفا » متّصلة بعناصر التراب والماء والهواء والنار .

∴

كما نكتفي برسم « الحبل ذي العقد » فقط ، بدون الشرّابة المخرّمة، وبإعطاء ثلاث عقد لدرجة مبتدئ وخمس لدرجة شغّال . (إن العقد الرمزية الموجودة على زنار الفرنسيسكان والكبوشيين ، هي ثلاث وتذكّر بالنذورات الثلاثة وهي العفّة ، الفقر والطاعة) .
إن « الحبل ذو العقد » يحمل خطأً اسم « حلقة الاتحاد » ، لأن « حلقة الاتحاد » هي طقس وفعل ، سندرسهما لاحقاً في فصل « الإشارات » .

٨. لوحة الرسم

إن لوحة الرسم هي مستطيلة وعليها ترسم بيانات تشكل مفتاح الأبجدية الماسونية ، التي سبق وشرحناها ولا نجد ضرورة للعودة إليها . توجب الرمزية الماسونية تسمية الورقة التي يكتب عليها ،

« لوحة الرسم » أو صفيحة للكتابة ، ويجب استبدال فعل « كتب » بعبارة « رسم لوحة » . تعود لدرجة أستاذ ، كما يعود الحجر المكعّب لدرجة الشغّال ، والحجر الغشيم لدرجة المبتدئ .
على « لوحة الرسم » يقيم الأستاذ تصاميمه ، علماً أن المبتدئ والشغّال لا يجب أن يجهلا استخدامها ، وعليهما التمرّس بالإفصاح عن أفكارهما . لذا هذا الرمز يصوّر على « لوحة المبتدئ » .
إن صورة الأبجدية المرسومة على « لوحة الرسم » تذكّر الماسوني بوجوب ترجمة أفكاره بشكل « ماسوني » ، وذلك بالعمل « باستقامة » . كل الحروف لها شكل الزاوية التي تعود إلى المادة ، ولا نرى فيها دائرة ، رمز الروح ، كون هذه الأخيرة لا يمكن أن تكون منظورة . لذا الماسوني مدعو للتخلّص من الحرف ليلامس الروح .

ويلاحظ أن « الصليب » يعطي صورة الحروف الثمانية عشر الأولى وحرف « X » يعطي الحروف الأربعة الأخيرة ، وهذا ما يشكّل تماماً نشوء « الحجر المكعّب المروّس » . « هذا الحجر » يوضع كذلك « بوضعية مبسّطة » على « لوحة الرسم » ، وعلى هذه اللوحة لا يمكننا إلاّ صنع « مسطّح » . (في الرياضيات الحروف الأربعة الأخيرة للأبجدية w, x, y, z على غير المعروف والحروف الأولى ... a, b, c, للدّلالة على الكميات المعروفة ، والحروف الوسط ... m, n, تستعمل لمعامل جبرية) .

ويرى « ويرث » من المصوّر للثمانية عشر حرفاً ، تسعة مربّعات سحرية ، ولا نعتقد أن هذا الرأي يمكنه أن يعتمد .

تعليق حول المربعات السحرية

يسمى « مربّع سحري » المربّع المقسّم إلى عدّة خانات بضمن كل خانة تكتب لمرة واحدة الأرقام المتسلسلة . وهذه الأرقام مسجّلة بشكل أن مجموع كل عامود عامودي وكل صف أفقي ، وكل رابط بين الزوايا هو ثابت .

لا نعرف شيئاً إيجابياً حول أصل وأقدمية المربّعات السحرية ، كما يقول « الجنرال كازالاس » ، لقد كانت متواجدة في الصين والهند ، في العصور السابقة لعصرنا ، وقد تعود إلى تصور أقل بعداً عن التقليد وفي تلك الأحوال هي مسألة صعبة التحديد .

إن خانة الثلاثة ظهرت لأول مرّة في مخطوطة عربية تعود إلى أواخر القرن الثامن ، وهي منسوبة إلى « أبولونيوس من ثيان » من قبل « برتيلو » في القرن الأول .

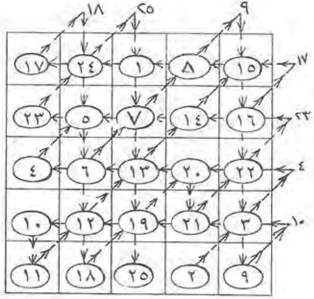
يظهر أن هذه المربعات أدخلت إلى أوروبا بواسطة اللّغوي « موسشوبولوس » في القرن السادس عشر . وبعدئذٍ وجد ، « لاهير عام ١٦٩١ » مخطوطة فيها كثير من المربّعات السحرية .

ترتبط هذه المربعات السحرية « بالأختام الكوكبية » ، وقد درسها « الجنرال كازالاس » وفق هذا الرباط بمقالة في مجلة « تاريخ الأديان » . فقد افترض الإفتراضية وحاول شرحها ، وهي أن « الأختام الكوكبية » ليست في النهاية سوى بيانات ورسوم تخوّل بناء المربّعات السحرية بتنقّل الأرقام .

- مربّع ٣ – يضم تسع خانات والأرقام من ١ إلى ٩ وهو مربّع زحل .
- مربّع ٤ – يضم ١٦ خانة والأرقام من ١ إلى ١٦ وهو مربّع المشتري .
- مربّع ٥ – يضم ٢٥ خانة والأرقام من ١ إلى ٢٥ وهو مربّع المرّيخ .
- مربّع ٦ – يضم ٣٦ خانة والأرقام من ١ إلى ٣٦ وهو مربّع الشمس .
- مربّع ٧ – يضم ٤٩ خانة والأرقام من ١ إلى ٤٩ وهو مربّع الزهرة .
- مربّع ٨ – يضم ٦٤ خانة والأرقام من ١ إلى ٦٤ وهو مربّع عطارد .
- مربّع ٩ – يضم ٨١ خانة والأرقام من ١ إلى ٨١ وهو مربّع القمر .

يلاحظ أن المربّع السحري ٢ الذي يضم ٤ خانات والأرقام من ١ إلى ٤ هو غير ممكن التحقيق . إن المربّعات ذات النظام الفردي ٣ – ٥ – ٧ – ٩ – إلخ ... هي سهلة التحقيق أكثر من المربعات ذات النظام المزدوج ٤ – ٦ – ٨ – ١٠ – إلخ ...

إليكم مثلاً مربّع المرّيخ ، فنضع الرقم ١ في وسط الصف الأعلى ، ثم نتابع وضع الأرقام بالصعود متوجّهة ورباً نحو اليمين . في كل مرّة نصل إلى خارج المربّع نحمل الرقم إلى الخانة المقابلة . وإذا ما كانت هذه الخانة مشغولة ، نضع الرقم تماماً في الخانة السفلى مباشرة .



فلفهم هذه العملية يكفي متابعة جدول وضع الأرقام ، إذ في المثل المعطى مجموع كل عامود ، وكل صف وكل منحرف رابط للزوايا هو ٦٥ . وهناك مربّعات فائقة السحر فيها الصعوبات متضاعفة .

٩. الأنوار الإثنين – الشمس والقمر

في أعلى لوحة المبتدئ يميناً وشمالاً ترسم الشمس والقمر أي الأنوار الإثنين .

الشمس إيجابية ، هي إلى اليمين ، من جهة عامود ج ∴ والقمر سلبي إلى الشمال من جهة العامود ب ∴ إذ هكذا نجد في الفضاء التقابل المتساوي للشمس والقمر ، مثالي الرمزية الكونية .

تفتتح الأعمال رمزياً في المحفل عند الظهيرة عندما تكون الشمس في أعلى برجها ، وتختتم عند منتصف الليل عند أسفل نقطة تصل إليها الشمس ، إذ ذاك يفترض بالقمر أن يكون على أشد بريقه .

إن الأنوار الثلاثة للمحفل هي وفق الطقوس القديمة ، الشمس القمر ، وأستاذ المحفل . لكننا قد سبق ورأينا أن الشمس تتناسب مع الخطيب، والقمر مع أمين السر ، والمحترم يحمل جوهرة هي الزاوية المرسومة في وسط اللوحة . أما بالنسبة إلى المنبهين ، لنتذكّر أنهما على رباط مع العامودين المتوّجين على التوالي بالشاقول والمسواة ، وهما خصائص مهامهما .

نعلم أن دراسات المصورات المسيحية تضع الشمس إلى يمين المسيح والقمر إلى يساره على الصليب ، لكن التقليد يفترض أن الرباعي

المعدوم ينظر إلى الغرب ، وفي هذه الحالة يمينه كان الشمال ويساره كان الجنوب . يقول الأب « أوبر AUBER » لهو محتوم أن يكون لدى الفنانين القدامى سبب كي يضعوا الشمس إلى يمين يسوع المحتضر . هذه اليمين هي الجهة الشمالية ، حيث النجم الساطع لا يظهر أبداً . إن اليد التي تتجه إليه تشير على أنه النقطة المفضلة على كل النقاط الأخرى . إليكم السبب الذي لأجله وضعت كرة النور . فمن أتى لا ليدعو الأصحاء بل الخطأة يحوّل بصورة طبيعية مجهود نعمته نحو هذا الجزء من العالم حيث الوثنية هي الأكثر عدداً (صورة ٨٠) .

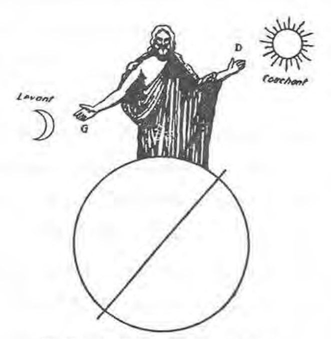


FIG. 80. — Le Christ et les deux Luminaires.

يلاحظ أنه توضع الشمس إلى يمين السيد المسيح ، فقد عكَسَ الحرفيون المهرة الرمزية لأن المكان أصبح هكذا على شمال الشاهد، لكنهم بنفس الوقت احترموا هذه الرمزية بأخذهم بعين الاعتبار فقط يمين ويسار المسيح . لذا يتوجّب دائماً التحفظ والاحتياط نحو الاتجاه في المسائل المعنية باليمين واليسار ، ويتوجب التذكر ، إلاّ في حالات نادرة ، إن اليمين هو الجانب الإيجابي والخير، واليسار هو الجانب السلبي والشر .

في الرمزية المسيحية تمثّل الشمس الكهنوت فيما القمر يمثّل السلطان وذلك للتدليل على تفوّق الأولى على الثاني . وأيضاً تخصص الكنيسة بالشمس ، والمعبد بالقمر وتترجم هذه الرمزية « بالحقيقة » و « الخطأ » طبعاً .

هذه الرمزية المطلقة فيها كثير من التناقضات والمعاكسات فلا تؤخذ بضرورة الأنوار الإثنين وخصائصهما . يحدّد « جيلبار دي شامبرتران » بصورة جلية وكاملة رمزية الشمس والقمر العامة : « الشمس هي العامل الحيوي الأساسي ، وهي أب خصوبة سخية ، إذ بدونها نحن لسنا موجودين ، وبها نحن نعيش . ليس هناك من نبات مثل أصغر الحيوانات حتى أكبرها كالفيل ، إلاّ ويخضع لقانونها ويدين لها بالحياة . تأثيرها هو الصورة الحية والتأثير التمدّدي ، فتقدّم التوازن والصحة ، والازدهار . تعظّم وتقوّي .

هي المبدأ الإيجابي المستقل بذاته ، وباعث نشاط جنسي للمرأة . يقول المؤلّف عينه أن للقمر دور في غاية التغذية ، بصفته نور من انعكاس الشمس وكممثل الشمس له معنى صحّي ، وعندما يكون القمر مقابل الشمس في منطقة الأبراج يصل إلى الكمال في وظيفته . يطلع القمر في الوقت الذي تغيب الشمس ، وطوال الليل يكون القمر بديل للشمس . وبالمقابل ، عندما يمر القمر بين الشمس وبيننا يقدم لنا منه وجهاً مظلماً ، لكن هلاله يعود من جديد رويداً رويداً إلى أن يكتمل . وكوكب القمر هو جزء انفصل عن الأرض ، هو جزء من جسمه الحي ، الذي بقي مرتبطاً بها بمجال القوّة ، وهو بالتالي بقي خلال دورانه السريع يحوّل لنا كل التأثيرات التي يتلقّاها من الأجسام الأخرى وهو يدون في منطقة الأبراج . القمر هو المبدأ السلبي الذي يتلقّى ويعكس . فهو متعلّق بنفس الوقت بالأرض وبالشمس . سرعة تحرّكه ، وسرعة تنقلّه وتعاقب نسبية سرعته للتأثيرات التي يحوّلها يجعل منه مفهوم عدم استقرار وتغيير ، لكنه مع ذلك هو صورة المخيّلة والحساسية ، والقمر باعث نشاط جنسي للرجل » .



تنسجم الشمس مع عنصر النار ، والقمر مع عنصر الماء . ونعاكس بثبات هذان العنصران مع بعضهما ، غير أن الماء بدون النار تصبح جليداً وتضيّع عليها كل خصائصها العادية . هذا ما يعرضه بغرابة

« جان ألبرت فابريسيوس » في تيولوجية الماء (وهي محاولة حول طيبة وحكمة ومقدرة الإله ، الظاهرة في خلقه للماء) .

يقول : « أن الماء ليس إلى حدٍّ ما عدواً للنار ، لأنه لا يمكنهما أن يتوقّفا ويجتمعا ، إن النار تسخّنها حتى درجته العالية ، حتى الغليان ، حتى الاحتراق ، على الرغم من أنها ليست قادرة على إشعاله ... ومزايا النار لا تقوم فقط ، كما يعلم الجميع ، على تذويب المعادن ، بل وعلى جعل أجسام أخرى سائلة ، وتحويلها إلى زجاج بل بالعكس عندما تصبح المياه مجلّدة من جرّاء البرودة ، وتصبح قاسية وصلبة كالصخر ، فليس هناك سوى النار لتعيد إليها سيولتها الأولى ، التي ما كانت لها ولا حافظت عليها لحظة واحدة لولا تأثير النار المنتشرة في كل الطبيعة وتلك النار غير محسوسة وغير المرئية لا تدع نفسها أن تتواجد حتماً في المياه » .

⁂

الشمس والقمر ، معتبران على حدى ، تارة هما خيّران وتارة هما شريران . إن الشمس تحيي كل البذور ، قادرة أيضاً أن تميتهم ، كون أشعتها المتراوحة من الأشعة ما تحت الحمراء إلى أشعة ما فوق البنفسجية والتي في بعض الأحيان تكون مضرّة .

والقمر يقال عنه أنه « خيّر » في مراحله الصاعدة و « شرير » في مراحله المنحدرة . والسحر يطبّق هذه القاعدة في عملياته .

والقمر مرسوم « هلالي » في « لوحة المبتدئ » هلالاً صاعداً ، وكذلك الأمر في « لوحة الشغّال » . ويرتبط القمر بفكرة الغزارة في غالبية الأساطير ، فهو « عشتار » البابلي « أتور » المصري و « أرتاميس » اليوناني و « أنايتيس » الفارسي ...إلخ .

في الرمزية الغامضة تنسب الشمس إلى الذهب والقمر إلى الفضة . وينسبان أيضا إلى الكبريت والزئبق ، كما هما المبدآن المكوّنان لكل المعادن والأجسام . وقد يكون الملح المبدأ الثالث ويعود بمعناه إلى الأرض .

∴

من غير الممكن أن نتفحّص كل ما يعود للأنوار الآتين كالبنائين الأحرار الذين لا يمكنهم أن يتوقفوا عن وضع الإثنين « المشعلين » لتكونا عينا فضائنا الخارجي في « لوحة المحفل » ، المحفل الذي هو نفسه صورة للكون .

١٠. باب الهيكل

ما بين العامودين يتواجد باب الهيكل مفتوحاً على واجهة مسدودة يعلوها واجهة ثلاثية ، وفوقها بركار طرفاه إلى فوق ، متجّهان نحو

السماء . إن باب الهيكل يجب أن يكون « منخفضاً جداً » ، وذلك كي ينحني الطالب عند الدخول ، ولا ليس كعلامة إذلال لكن لتبيان صعوبة المرور من العالم الدنيوي لمستوى المُساريّ .

يقول « بلانتاجينيه » أن باب الهيكل يشار إليه باسم « باب الغرب » ، مما يذكّرنا بأنه عند عتبته تغيب الشمس ، أي ينطفئ « النور » ، حيث خارج العتبة تخيّم الظلمات ، هناك يكون العالم الدنيوي .

ويقول أيضاً أن الدنيوي يشعر أنه ليس بإمكانه أن يدخل إلى الهيكل إلاّ من خلال « باب ضيّق ومنخفض » ، وليس بإمكانه اجتيازه بدون انحناء . فهذه الإشارة تمكّنه أن يتذكّر أن موته في الحياة الدنيوية يتبعه ولادة رمزية جديدة تماماً كما باشر الحياة عندما أتى طفلاً إلى هذا العالم .

ويضيف في تروّي عاقل ، من خلال التطبيق تراجعت بعض المحافل عن هذه الطريقة ، ولا يمكننا لومها على ذلك ، لأن الحركة المطلوبة من الطالب ليست تعبيرية إلاّ إذا أنجزت بصورة فعلية وترافقت بإحساس فيزيائي ومادي ناتج عن المرور عبر باب ذي مواصفات وحدود غير مألوفة وغير منتظرة . إن هذا الفعل التصوّري قد يكون كافياً لو كان الطالب يعي معناه سابقاً ولكنه غير كاف لطالب سيعبر « باباً ضيقاً ومنخفضاً » ، كونه غير مرهف الإحساس يجد نفسه

مأخوذاً بصدى الضربات القوية وغير المنتظمة التي يضربها مرشده على باب الهيكل ، وبالضجة التي يسمعها عند انفتاح الباب ، الذي ليس ضيّقاً منخفضاً ، بل هو على العكس واسع وعالٍ .

يبيّن « بلانتاجينيه » أن « الباب الضيّق المنخفض » يجب أن يبقى بين الأدواتّ المساعدة والضرورية للاختبار المُساريّ الماسوني . « طقس العبور » هذا ليس مطبّقاً بشكل كافٍ ، ومع ذلك فإنه هام جداً . لقد أعطي أهمية خاصة في غالبية الاختبارات المُساريّة غير الماسونية .

∴

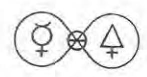
يعلو باب الهيكل مثلّث هو الدلتا المشعّة ، التي سبق وتكلّمنا عنها . أما البركار المفتوح إلى السماء كما يقول « ويرث » يستدعي دراسة عقلانية ليس من الأرض أو للوقائع المستنتجة بشكل موضوعي ، بل من السماء ، وبالتالي يستدعي تفتيشاً حازماً ودقيقاً لمبادئ مجرّدة .

والبركار في وضعيته المعكوسة ، أي أطرافه متّجهة نحو الأسفل ، يمثّل وفق « ويرث » أن الإشعاع الآتي من العقل لتقييم الوقائع لقياس الرابط بين « الأنا » و « ليس الأنا » بين الشخصي الذاتي والغير ذاتي ، بين المجرّد الواقعي .

إن انقلاب البركار ذو خصائص هامة إذ يدلّ على العمل الكوني والعالمي للماسوني وإطلالته الإشعاعية بعد عمل كافٍ على ذاته .
إن انعكاس البركار هو خاص ويظهر العمل الكوني والشامل للبنّاء الحرّ وإشعاعه بعد العمل الكافي على الذات .

∴

لقد أنهينا تفحّص « لوحة المبتدئ » ، هذه « اللوحة » يجب أن توضع في كل المحافل ذات الدرجة الأولى ، ويجب التحليل والتعليق عليها من قبل المنبّهين ، كون مهمتهما تتلخّص بإيقاظ المعنى الرمزي عند المبتدئين . فبعد أن يتعرّف جيداً على رمزية كل ما يعود للدرجة الأولى عندها يمكن للمبتدئ الارتقاء إلى الدرجة الثانية للوصول إلى درجة شغّال .
على الماسونية أن تحذر تسمية شغّالين بين المبتدئين فقط لأن مهلاً انتظامية أو قانونية قد مرّت ، وإلاّ قد نجازف بملء مشاغلنا بدنيويين حقيقيين ، أي جاهلين للرمزيات الموقّرة .
مع ذلك هنا ، وليس في مكان آخر ، في هذا الإهمال للمحافل الزرقاء ، نفكر نحن ، أن نبحث عن مصدر الدرجات العليا ، المكونة من البنائين الأحرار الذين عندهم سمو رمزية البنائية الحرّة ليست فقط حبر على ورق .



الفصل الخامس

طقوس البنّائية الحرّة

١. الطقوس (RITES) والسلطات الماسونية (تبعيات (OBÉDIENCES

تقسّم البنّائية الحرّة إلى عدّة طقوس ، تختلف عن بعضها البعض بتفاصيل خاصة .

إن تسمية تبعية (OBÉDIENCE) أو سلطة ماسونية (PUISSANCE MAÇONIQUE) تعني اتحاد المحافل .

إن « الشرق الأكبر » « GRAND ORIENT » هو اتحاد يجمع عدّة طقوس ، بينما « محفل أكبر » « GRANDE LOGE » هو اتحاد محافل تعمل بطقس واحد .

إن الطقوس والسلطات الماسونية مرتبطة بعمق بتاريخ البنّائية الحرّة . وهذا التاريخ هو معقد جدّاً وهو خارج عن موضوعنا ، نوجّه الذين يهتمّون بهذا الموضوع إلى مراجعة الكتب الثلاث الرائعة وهي من تأليف « ألبير لانطوان – ALBERT LANTOINE » : (الماسونية عندها – 1925 LA FRANC MAÇONNERIE CHEZ ELLE) و (الماسونية الإيكوسية في فرنسا LA FRANC MAÇONNERIE ÉCOSSAISE EN FRANCE –

1930) و (الماسونية في الدولة – LA FRANC MAÇONNERIE
. (DANS L'ÉTAT – 1935

إن التبعيّات الماسونية الرئيسية في فرنسا هي : (الشرق الأكبر الفرنسي – LE GRAND ORIENT DE FRANCE) و (المحفل الأكبر الفرنسي – LA GRANDE LOGE DE FRANCE) و (المحفل الأكبر المختلط – LA GRANDE LOGE MIXTE) و (الحق الإنساني – LE DROIT HUMAIN) و (المحفل الأكبر الوطني المستقل – LA GRANDE LOGE NATIONALE . (INDÉPENDANTE

∴

- « الشرق الأكبر الفرنسي » (LE GRAND ORIENT DE : (FRANCE

إن أغلب المشاغل للشرق الأكبر الفرنسي تعمل بالطقس الفرنسي أو الطقس الحديث ، والإدارة العامة هي بعهدة مجلس التنظيم (CONSEIL DE L'ORDRE) ، وأعضاء مجلس التنظيم ينتخبون في جلسة (CONVENT) سنوية ، ويرأس مجلس التنظيم أستاذ أعظم (GRAND MAITRE DU CONSEIL DE L'ORDRE) .

• « المحفل الأكبر الفرنسي » (LA GRANDE LOGE DE FRANCE) :

إن أغلبية المشاغل للمحفل الأكبر الفرنسي تعمل بالطقس الإيكوسي القديم المقبول (RITE ÉCOSSAIS ANCIEN ACCEPTÉ) ، والإدارة العامة هي بعهدة المجلس الفدرالي (CONSEIL FÉDÉRAL) ، والمستشارين الفدراليين (CONSEILLERS FÉDÉRAUX) ينتخبون بجلسة (CONVENT) سنوية . ويرأس المجلس الفدرالي أستاذ أعظم .

∴

تلخّص الفروقات الجوهرية بين الطقوس الفرنسية من جهة والطقوس الإيكوسية القديمة المقبولة على الشكل التالي :

	طقس فرنسي	طقس إيكوسي القديم المقبول
عامود ج∴	على اليسار	على اليمين
عامود ب∴	على اليمين	على اليسار
مراقب أول	على اليمين	على اليسار
مراقب ثاني	على اليسار	على اليمين
السير ابتداءً بالرجل	اليمنى	اليسرى
الطَرَقات	٥٥ – ٥	٥ – ٥ – ٥

وسيتم لاحقاً شرح السير والطرقات مع معانيها ورموزها . ويعترف كلّ من « الشرق الأكبر الفرنسي » و« المحفل الأكبر الفرنسي » ببعضهم البعض ويتبادلان « كفالات الصداقة » والزيارات .

∴

نسمّي « المحافل الزرقاء – LOGES BLEUES » مشاغل الدرجات الأولى الثلاث : (مبتدئ ، شغال وأستاذ) . وقد دُعِيَت كذلك لأن وشاح الأستاذ لونه أزرق ، و « المحفل الأزرق » مكوّن من مبتدئين وشغالين وأساتذة بأعداد مختلفة .

وهناك « مشاغل عليا » تابعة « للمعهد الأكبر للطقوس GRAND COLLÈGE DES RITES » في الشرق الأكبر الفرنسي ، كما تتبع للمجلس السامي في الطقس الإيكوسي القديم المقبول .

نلاحظ أنه منذ سنة ١٩٠٤ أصبح « للمحفل الأكبر الفرنسي » و« المجلس السامي » سلطتان ماسونيتان مستقلّتان . وكل بنّاء حرّ عضو في أحد المشاغل العليا ، « تابع للمجلس السامي » ، عليه بحكم الضرورة أن ينتمي إلى أحد المحافل الزرقاء « للمحفل الأكبر الفرنسي » .

- « المحفل الأكبر المختلط : الحق الإنساني » (LA GRANDE LOGE MIXTE : "LE DROIT HUMAIN") :

تقبل هذه التبعيّة الماسونية كما يشير اسمها ، رجالاً ونساءً على حدٍّ سواء . ويؤدّي « المجلس الوطني » (CONSEIL NATIONAL) في هذه التبعيّة الماسونية نفس الدّور الذي يؤدّيه « مجلس التنظيم » في « الشرق الأكبر الفرنسي » و « المجلس الفدرالي » في « المحفل الأكبر الفرنسي » ، وهنا نلاحظ أن هذه التبعيّة « معترف » بها من « الشرق الأكبر الفرنسي » وأنه غير معترف بها من « المحفل الأكبر الفرنسي » .

- « المحفل الأكبر الوطني المستقل » (LA GRANDE LOGE NATIONALE INDÉPENDANTE) :

تعمل هذه التبعيّة الماسونية بالطقس الإنكليزي وهي التبعيّة « الفرنسية » الوحيدة المعترف بها رسمياً من قبل الماسونية الأنكلو-ساكسونية .

هذه التبعيّة الماسونية هي غير ذات أهمية واسمها الكامل هو « المحفل الأكبر الوطني المستقل لفرنسا والمستعمرات الفرنسية » (GRANDE LOGE NATIONALE INDÉPENDANTE POUR LA FRANCE ET LES COLONIES FRANÇAISES) .

نلاحظ أيضاً أن أقلّية فرنسية تنتمي إلى هذه التبعيّة في حين أن أكثرية أعضاءها هم أنكلو-ساكسون .

∴

نعلم أن المعلومات التي قدّمناها قليلة وغير كافية ، لكن لا بدّ من إعطاء فكرة عن التنظيم الماسوني الفرنسي في خطوطه العريضة .

ومع أن الطقوس الماسونية ذات تعدّدية كثيرة وتحتاج لمؤلّفات خاصة بها ، إلاّ أن هذه التعدّدية يجب ألاّ أن تعتّم على « الوحدة الماسونية » المعبّرعنها في الدرجات الثلاث الأولى والتي هي الأساس الصلب والشامل ، والقاعدة المسكونية (ASSISE ŒUCUMÉNIQUE) التي يستند عليها هذا التنظيم الشامل .

٢. التراتبية (LA HIÉRARCHIE)

يتضمّن « الطقس الإيكوسي القديم المقبول » ثلاث وثلاثون درجة ويقسّم كما يلي :

المحافل الزرقاء أو المشاغل الرمزية

(١) درجة مبتدئ
(٢) درجة شغّال
(٣) درجة أستاذ

المحافل أو المشاغل الكمالية

(٤) درجة أستاذ سرّي
(٥) درجة أستاذ كامل
(٦) درجة كاتم السرّ الوفي
(٧) درجة حاكم صلح وقاضي
(٨) درجة قيّم على المباني
(٩) درجة الأستاذ المنتخب من تسعة
(١٠) درجة مختار الخمسة عشر الشهير
(١١) درجة فارس مختار سامي
(١٢) درجة أستاذ أعظم معماري
(١٣) درجة فارس القنطرة الملكية
(١٤) درجة المنتخب الأكبر للقبّة المقدّسة أو البنّاء السامي

مقامات أو جماعة أو مشاغل حمراء

(١٥) درجة فارس أمير الشرق أو صاحب الحسام

(١٦) درجة أمير القدس

(١٧) درجة فارس الشرق والغرب

(١٨) درجة فارس الصليب الوردي أو فارس حكيم

مجامع أو مشاغل فلسفية

(١٩) درجة الحبر الأعظم أو السامي الاسكوتلاندي لأورشليم السماوية

(٢٠) درجة الأستاذ الأعظم المحترم لكل المحافل المنتظمة

(٢١) درجة النوحي أو الفارس البروسي

(٢٢) درجة أمير لبنان أو فارس الفأس الملكية

(٢٣) درجة رئيس المظلّة

(٢٤) درجة أمير المظلّة

(٢٥) درجة فارس الثعبان البرونزي

(٢٦) درجة الإيكوسي الثالوثي أو أمير الرحمة

(٢٧) درجة قائد الهيكل الأعظم

(٢٨) درجة فارس الشمس

(٢٩) درجة الاسكوتلاندي الأعظم للقديس أندراوس

(٣٠) درجة فارس قدوش المنتخب الأعظم أو فارس النسر الأبيض والأسود .

محاكم

(٣١) درجة   مفتّش أعظم فاحص قائد

مجمع

(٣٢) درجة   الأمير السامي للسرّ الملوكي

مجلس سامي

(٣٣) درجة   سيادة المفتش الأعظم العام

تخضع الدرجات التي وضع تحتها خط للاختبار المُساريّ الخاص بها، أما بقيّة الدرجات فيتم الحصول عليها « بالاطلاع » .

يتألف « الطقس الإيكوسي القديم المقبول » حالياً من ثلاث وثلاثون درجة كما هو مبيّن أعلاه . وقد تدرّجت أعداد الدرجات في هذا الطقس من سبع إلى خمس وعشرون درجة ، من ثم إلى إثني وثلاثين وأخيراً إلى ثلاث وثلاثين .

كتب « راغون » وهو مناهض للدرجات العليا ما يلي : « انفصل الأخوان المقاومون سنة ١٧٣٩ عن المحفل الأكبر في لندن، واتحدوا مع بقايا اتحادات مهنية لبنّائين معماريين وأنشؤوا محفلاً أكبراً منافساً تحت دستور الاتحاد المهني اليوركي . واتّخذ

هؤلاء المنشقين طقساً للمحفل الأكبر الإنكليزي وسموه « الطقس الحديث » المستوحى من المحفل الأكبر ذو النظام الإيكوسي القديم . ثم أضافوا كلمة « ومقبول » بعد أن اعترفت بهم المحافل الكبرى في اسكوتلاندا وإيرلندا ، علماً أن جميع هذه المحافل الكبرى كانت تمارس الدرجات الثلاث .

إذاً من غير المعقول والمنطق إطلاق تسمية (الطقس الإيكوسي القديم وِ المقبول) ، على المجموعة المكونة من ثلاث وثلاثين درجة ، بعد مرور زمن طويل على الكونت دو غراس .

وفي الواقع وفي سنة ١٨٠٤ ، كان الكونت دو غراس مركيز لتيلّي ، يحمل براءة من المجلس السامي لشرلستون ، مؤرّخة في ١٨٠٢/٤/٢١ ، قد أنشأ في باريس مجلس سامي لثلاث وثلاثين درجة .

ونقول : « طقس إيكوسي قديم مقبول » وليس « طقس إيكوسي قديم وِ مقبول » ، ونحن متّفقون مع « هنري جوليان » حيث يقول : « طقسنا الإيكوسي ، القديم المقبول . إنه غير معقول أن نترجمه « قديم وِ مقبول » لأنه لا يعني شيئاً . « قديم مقبول » يعني أن القديم الذي قُبل . إننا نعلم أنه في أواخر البنائية الحرّة العملية ، قُبِلَ بعض الأشخاص الذين كانوا لا يمارسون مهنة البناء في البنائية الحرّة مكوّنين غالباً مجموعات خاصة ، سميّت « محافل مقبولة » ، وكان لها طقس مختلف وكانت قليلة وأكثر باطنية . بتأكيدنا أن الطقس القديم مقبول يعني أن الإيكوسية تنحدر مباشرةً من هذا

« القبول » ، لأنه واضح أن الطقس الحالي المتّبع مختلف كلياً من القديم المقبول » .

يكتب « ألبير لانطوان » : « طقس إيكوسي قديم و مقبول » لأنه يعتقد أن الطقس الأساس هو « اسكوتلاندي » أما بالنسبة للآخرين ، فبالعكس ، إن هذا الطقس ليس اسكوتلاندياً إلاّ بالاسم وهو بشكل خاص « فرنسي » . ولكن ليس علينا أن نكون الحكم بين المتنافسين .

كانت « الدرجات العليا » مواضيع لانتقادات عديدة . يقول « فريتز أوهلمان » عن هذا الموضوع : « إن ألقاب هذه الدرجات يمكن أن تظهر وهمية ومضلّلة وتعطي مجالاً لطموحات خاطئة ، ولكن علينا أن لا ننسى أنها تقوم على أسس عصر قديم حيث الفروسية كانت مزدهرة . إنه من المحال أن نتخلّى اليوم عن هذه الآثار دون أن نفكّر أو نزيل هذا المنهج » .

يكتب « ويرث » من جانبه : « كل المؤلفين الذين تعمّقوا بموضوع الثلاثي الأساسي للماسونية ، حكموا بقساوة على « الزُّوان للدرجات العليا » ، هذا الهذيان الكيفيّ ، لا يساهم إلاّ بتضليل العقل ويعمل على تنكّر قواعد الماسونية الصرفة » ويضيف كاتباً : « إن الحاجة « للدرجات العليا » ما كنا نشعر بها لولا أن تطبيق الدرجات الثلاث

الأساسية ظلّت حبراً على ورق . إن « الدرجات العليا » ستفقد سبب وجودها عندما تبيّن المحافل إمكانياتها في تثقيف « أساتذة » حقيقيين . (من كتاب ويرث « الأستاذ » صفحة ١٨٤ و ١٨٦) » .

إذا كنا نواجه الماسونية من الناحية التجريدية والنظرية فقط ، فإن الانتقادات التي قدّمت ، وجّهت « للزُّوان في الدرجات العليا » قاسية وغير مبنية على أسس . وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار المعوقات وأن نكون متسامحين . ويكتفي معظم أنصار « الفن أو الأصول الملكي » (ART ROYAL) بالدرجات الرمزية ، لكنهم لا يفهمونها حقاً ، ويجهلون قيمة الثروة التي بحوزتهم فلا يستفيدون منها . أما « الدرجات العليا » فلها مهمة واحدة هي التفسير التدريجي لباطنية الدرجات الثلاث الأساسية للماسونية . ولا يتم كشف أسرار جديدة أو غريبة فيها عن الماسونية الرمزية، بل ترسيخ الدرجات الثلاث في عقول أبنائها الذين أتمّوا تثقيفهم في درجة المبتدئ ، ليتمكّنوا من أن يصبحوا شغالين مهرة ، وأهلاً للوصول إلى الأستاذية الصحيحة التي هي الدرجة الأخيرة التي نتوق إليها جميعاً ، إلاّ أن تحقيقها ليس بإمكاننا . إن « هيكلنا » لن يكتمل أبداً ، وليس بإمكان أحد تحقيق بعث أو إعادة الحياة لحيرام أبي الحقيقي والأزلي (من كتاب إدوارد كارتييه لاتونت . الدرجات والطقوس الماسونية – بيرن ١٩١٥ – صفحة ١٠) » .

في الواقع نلاحظ أن « الدرجات العليا » ما هي إلاّ للتوسّع والاسهاب في الدرجات الثلاث الأولى ، غير أن الفائدة منها ليست قابلة للجدل إذا كانت تخلق عند الماسون نوع من المنافسة المفيدة للنظام الماسوني بأكمله .

إن « الطقس الفرنسي » أو الحديث يتضمّن سبع درجات (وهذا الطقس أنشئ في باريس سنة ١٧٦١ ، في ١٧٧٢/١٢/٢٤ وأعلن في ١٧٧٣/٣/٩ وعدّل أيضاً في ١٧٨٦) :

(١) درجة مبتدئ
(٢) درجة شغّال
(٣) درجة أستاذ
(٤) درجة منتخب (أو مختار)
(٥) درجة إيكوسي
(٦) درجة فارس من الشرق
(٧) درجة أمير الصليب الوردي

يطبّق الشرق الأكبر الفرنسي ، كما قلنا سابقاً ، الطقس الفرنسي ، ولكن المجمع الأكبر للطقوس يتداول مع كل الدرجات الإيكوسية حتى الدرجة (٣٣) .

∴

يتضمّن الطقس الإيكوسي المصحّح منذ ١٧٧٨ :

١. المحافل الرمزية للبنائية الحرّة للقديس يوحنا ، مع الدرجات الثلاثة : مبتدئ ، شغّال وأستاذ .
٢. المحافل الرمزية للقديس يوحنا ، مؤلفة من الأساتذة الإيكوسية للقديس يوحنا .
٣. المحافظات ، مع حاملي الترس – المتمرّنين والفرسان الخيريين للمدينة المقدسة (CHEVALIERS BIENFAISANTS DE LA CITÉ SAINTE C.∴ B.∴ C.∴ S.∴) .

هذا الطقس يؤكّد تعلّقه بروح المسيحية ، والولاء للوطن ، والتطوّر الفردي بواسطة العمل الذي يجب على الإنسان تطبيقه على نفسه ، ومزاولة الخير الفعلي والمشرق تجاه كل إنسان . يمارس هذا الطقس في سويسرا خاصة حيث يوجد « الاجتماع الأكبر الهلفيتيكي » « LE GRAND CHAPITRE HELVETIQUE » والذي أنشأ في فرنسا « الدير الأكبر للغوليين » « GRANDE PRIEURÉ DES GAULES » .

الدرجات الإيكوسية وألوانها

تقسّم الإيكوسية إلى أربعة مجموعات :

- الماسونية الزرقاء (محافل رمزية)
- الماسونية الحمراء (جماعة الصليب الوردي) (CHAPITRES DE ROSE-CROIX)
- الماسونية البيضاء (مجلس سامي)

هذه الألوان هي ألوان الأوشحة الي يرتديها أعضاء مشاغلها .

١. اللّون الأزرق هو لون السماء والتسامح الذي يجب أن يميّز رغبة الامتياز وتكييف مواقف الدرجات الثلاث الأول .

٢. اللّون الأحمر هو لون التضحية والرغبة الذي ينشّط أصحاب درجة الصليب الوردي .

٣. اللّون الأسود هو لون الحداد والحزن الذي يرهق المُساريّ عندما يظن أن رغبة امتيازه وتضحيته وشوقه كانوا بلا جدوى .

٤. اللّون الأبيض يرمز إلى السلام وسكينة المُساريّ الذي بلغ كمال المُسارّة ، عندما يكون قد نمّى في ذاته روحانية محرّرة و نقيّة من كل عاطفة ، (نلاحظ أنه في الكنيسة الكاثوليكية يرتدي البابا الأبيض ، والكرادلة الأحمر ، والمطارنة البنفسجي أما الاكليروس فيرتدي اللّون الأسود) . ويمكننا أن نرسم الجدول الآتي بالنسبة للألوان (نذكر هنا الألوان التي نسبت إلى العناصر التالية : التراب : أسود ، الهواء : أزرق ، الماء : أخضر ، النار : أحمر) .

الأزرق	المعدن
الأخضر	النبات
الأحمر	الحيوان
الأسود	البشر
الأبيض	ربّاني

ونرتّب هذه الألوان على المخمّس البياني (PENTAGRAMME). إنطلاقاً من الأزرق شمالاً، ثم نرتفع بانحناء خفيف إلى الأخضر، ومن ثم ننزل إلى الأسود، وأخيراً من الأسود نصعد إلى الأبيض (صورة رقم ٨١).



FIG. 81. — Le Pentagramme et les couleurs.

- الأزرق هو اللّون الأساسي للبنّائية الحرّة، ثم ينتقل إلى الأخضر بارتفاعه لأنه يتوجّه إلى نور الشمس، ومن ثم نحو الأصفر. إن الحركة تنفذ من اليسار إلى اليمين لأنها « تمدّدية ».
- يتّجه الأخضر بعد ذلك بحركة عودة، بطريقة « نظر عقلي » نحو الأحمر الذي هو تكميلي.
- يصبح الأحمر أغمق أكثر فأكثر وينتهي بعد « تمدّده وثقله » إلى الأسود.

- من الأسود وبطريقة تصاعدية وسريعة نصل إلى الأبيض .
- بدوره يتفاعل الأبيض مع الأزرق بحركة متعادلة .

ومن غير المجدي أن نطوّر هذه الرمزية المتعلقة أساساً بمختلف أوجه الاختبار المُساريّ .

∴

إذا وزّعنا هذه الألوان على الصليب ، نجد أنها متطابقة مع الجهات الأصلية الجغرافية : الأزرق في الغرب – الأخضر في الجنوب – الأسود في الشمال والأبيض في الشرق . أما الأحمر فيكون في نقطة التقاء سواعد الصليب . والرمزية هي ذاتها كألوان المخمّس البياني . نلاحظ أن (Z) المصوّر من خلال التدرّج المشار إليه في الصور، يتطابق مع أول حرف لكلمة السّر للدرجة الرابعة . هذا الحرف (Z) مرسوم على المفتاح وهو جوهرة هذه الدرجة الذي " يفتح الباب " على كل الدرجات العليا (صورة رقم ٨٢) .

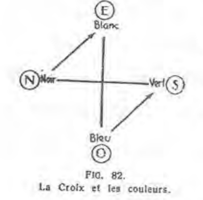


FIG. 82.
La Croix et les couleurs.

∴

وأخيراً فلنضع هذه الألوان الرمزية على المثلث المضيء : (DELTA)

الأحمر في القمة ، الأخضر والأزرق عند القاعدة ، الأبيض في الوسط ، والأسود يحيط خارجياً بالمثّلث ، هكذا يكون لدينا مثالاً مكتملاً . نجد في الكيميا (ALCHIMIE) أن ألوان الأزرق والأخضر والأسود تعتبر من طبيعة واحدة ، وهذه الألوان الثلاثة تتطابق مع مرحلة من « العمل » تدعى « الاهتراء » (صورة رقم ٨٣) .

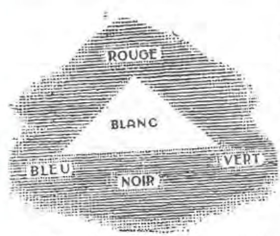


FIG. 83. — Le Delta lumineux et les couleurs.

و تقودنا المرحلة الثانية إلى « الحجر الأبيض » الذي يستطيع أن يحوّل المعادن إلى « الفضة » . أما الأحمر فهو يميّز المرحلة الأخيرة « الحجر الأحمر » أي « حجر الفلاسفة » « PIERRE PHILOSOPHALE » الذي يحوّل المعادن المنقوصة إلى « ذهب » .

تدرّج الألوان في الماسونية يبدو متطابقاً مع مخطّط منطقي ، وهذا يبيّن أن « عدم ترابط الدرجات العليا » ليس إلاّ ظاهري . أغلبية المؤلفين لا ينظرون إلاّ إلى الجانب التعليمي لهذه الدرجات . ولكن علينا أن نعترف أن الحقيقة هي أنها نتيجة تعديلات متتالية على الطقوس وفقدت النظرية والفائدة والقيمة المُساريّة .

من جانب آخر ، نعتبر هذه الدرجات كسلّم ونعطي « قيمة » وأهمية أكبر لمختلف الدرجات مستندين على الأرقام العليا . ويطبّق هذا المفهوم على الدرجات الثلاث الأولى ، ولكنه يبطل اعتباراً من الدرجة الرابعة . وبالفعل ، يمكن جمع الدرجات العليا في مجموعات عديدة « وكل شيء ينقضي كما لو » – تستعمل هذه العبارة لأن الأمر متعلّق بفرضية (HYPOTHÈSE) – لأنها تتطابق مع التقليد . وبهذا الشكل فإن « عدم الترابط » يصبح غير موجود و « التواجد » يختفي بسبب الدرجات .

لا يمكننا في هذا الكتاب ، الموضوع أساساً لرمزية الدرجات الثلاث الأولى للبنائية الحرّة ، الغوص في دراسة « الدرجات العليا » وإظهار مختلف التقاليد التي تعود إليها . همّنا هنا أن نظهر فقط الطريق التي يجب أن نسلك عندما نودّ دراستها .

٣. إنتظام البنائيّة الحرّة

إن البنائين الأحرار من أيّ « تبعية » « OBÉDIENCE » يفكرون، عن حسن نيّة ، أن « التبعية » وحدها التي يلتحقون بها هي « نظامية » ، ومع ذلك ...

يقول بابوس (PAPUS : CE QUE DOIT SAVOIR UN MAITRE MAÇON , 1910) : « إن كل طقس يدّعي أنه فردي وأنه هو الوحيد النظامي . ومن هنا تنطلق الخصومات والحرومات بدون نهاية » .

إنه واضح أن كل « سلطة ماسونية » شرعية ترى دائماً بالعين الرديئة ولادة أو مجيء في مكان نشاطه « سلطة جديدة » أو سلطة آتية من مكان آخر ، متجاهلةً فجأةً كل تعاليم الأخوّة والتسامح والحقيقة التي تعلمّها من خلال الخطابات الرسمية ، وتتصرّف مع الجديد الذي سينشأ كالكنيسة تجاه كنيسة جديدة ، نداءً إلى اللاّنظامية وإلى الحرمان الكبير أو الصغير ، وإلى منع الأخوة أن يعاشروا القادمين حديثاً ، وأخيراً إن هذا اللّوم نوجّهه إلى المتعصّبين دينياً .
« ما هي قيمة الحرمان من طقس إلى طقس آخر ؟ بالضبط هذا الحرمان قيمته حرمان كنيسة لكنيسة أخرى . إن البروتستانتيين هم غير نظاميين بنظر الكاثوليكيين الذين بدورهم والبروتستانتيين هم غير نظاميين مع الأورثودوكسيين ، وكلهم مرهقين بمستنداتهم التاريخية ليؤكدوا انتظامهم الفريد » .

« الذين يتكلّمون عن « اللانظامية » مجبرين على إسدال ستار من التكتّم على أصولهم ، لأن التاريخ لا يحابي الذين يختلقون « الطقوس » ويعيدوهم بقسوة إلى وضعهم الطبيعي لأن الذين يحرمون غيرهم اليوم كانوا غالباً محرومين من غيرهم في الماضي » .

في الحقيقة ، إن البنّائين الأحرار ، إلى أي طقس انتموا ، هم دائماً منتظمين إذاً اجتازوا الاختبار المُساريّ المطلوب . فسبعة بنّائين أحرار ، خمسة منهم مزوّدين بدرجة أستاذ ، يمكنهم أن يؤلّفوا محفلاً مستقلاً وذو سيادة خارج كل « تبعيّة » ، وهذا غير مختلف عليه ، ولكن محفلاً كهذا ، من المحتمل أن لا يُعترف به من أية « تبعيّة » . يعود تاريخ أول « تبعيّة » (OBÉDIENCE) إلى سنة ١٧١٧ ، عندما اجتمع ثلاثة محافل في لندن ليشكّلوا محفلاً أكبر .

قال « إدمون جلوتون » : « في الحقيقة أخذت هذه الهيئة (التبعيّة) أهمية كبرى مع ازدياد عدد المحافل ، واستأثرت بالحقوق التي تخص المحافل . وأصبحت تدريجياً هيئة إدارية ، بعد أن كانت عاملاً تنفيذياً . ونرى في أيامنا هذه « تبعيّات » ممثلة بأعضاء ، كمجلس فدرالي ، أو مجلس مجمع وغيره ، يستأثرون بسلطة إعطاء التوجيهات إلى المحافل ، ويوجّهون العلاقات الدولية بين « تبعيّات » دون العودة إلى المحافل . كما تقرّر هذه الهيئات الإدراية أنظمة « التبعيّات » ، فتسمح أو ترفض إنشاء محافل جديدة » .

علينا أن نعلم أن ثلاثة محافل يمكنها أن تجتمع لتؤلّف « تبعيّة » (OBÉDIENCE) ، ولكن من البديهي أن تعداد « التبعيّات » ليس مرغوب فيه . هذا التفتّت يمكنه أن يكون مجحف بحق التجمع الماسوني بأكمله . من جهة أخرى ، إن « التبعيّة » بوسائلها الماليّة التي تكون أقوى ، يمكنها أن تضع تحت تصرف البنّائين الأحرار قاعات ومحافل أكثر . مع ذلك ، علينا أن نتذكّر دائماً بأن المحفل الذي ينتمي إلى أي « تبعيّة » (OBÉDIENCE) ، يكون دائماً سيد مطلق وقائم بذاته ومستقل .

« يلاحظ (إدمون جلوتون) أن المحفل يمكنه بدون أن يصبح غير منتظم ، أن ينهي علاقاته مع « تبعيّة » أو أن يغير « التبعيّة » . إن أحد أقدم المحافل الفرنسية (محفل رقم ٢٠٤ من شرق بوردوه) ، كان قد أنشئ سنة ١٧٣٢ بواسطة عدّة بنّائين أحرار من هذا الشرق . ظلّ يعمل معزولاً لمدّة عدّة سنوات ، ثم انضمّ إلى المحفل الأكبر الإنكليزي . وبسبب حوادث الحرب وغيرها أنهى علاقاته مع هذه « التبعيّة » . وأكمل عمله من جديد لوحده ، ثم أنشأ اتصالاً مع المحفل الأكبر الوطني الفرنسي . وعقب حوادث أخرى ، انفصل عن الشرق الأكبر الفرنسي ، كي يعمل لوحده ، ثم أنشأ مع محافل أخرى « تبعيّة » المحفل الأكبر الوطني المستقل والمنتظم ، وبعد عدّة سنوات تركها ليسجّل محفله في المحفل الأكبر الفرنسي حيث يعمل حالياً » .

يبنى هذا المثال بما فيه الكفاية ، استقلال وحرّية المحافل عن « التبعيّات » . كذلك يستطيع كل بناء حرّ تغيير محفله و « تبعيّته » ويحافظ على « انتظامه » .

حددت الماسونية الإنكلو-ساكسونية الأنظمة التي اعتبرت كل ماسوني أو « تبعيّة » تعمل خارجها أنها « غير منتظمة » . و تحمل هذه الأنظمة أسم (LANDMARKS) (حدود أو تخوم) .

يقول « ويرث » : « إن الحدود (LANDMARKS) ابتكار حديث ، وأن من يؤيّدها لم يتمكن من الاتفاق على تثبيتها . وهذا لم يمنع الأنكلو-ساكسونيين من تكريس هذه الحدود ، رغم أنها غير ثابتة ، بما يتوافق ورغباتهم الخاصة . ويثبت كل محفل أكبر حدوده حسب فهمه للماسونية ، وهذا الفهم متعدّد الأوجه ، وبالتالي قد تكون التعريفات متناقضة ، وهذا يؤدّي إلى تقويد الوحدة الماسونية ، رغم أنها مؤسسة تهدف إلى الوفاق لعالمي » .

إن الوحدة الماسونية ، التي يحلم بها بعضهم ، وإن لم تتحقق قط هي غير مستحبّة . لأن الماسونية يجب أن تنسجم مع كلّ البلدان، وتتوافق مع رغبات ماسونييها . إن الرمزية الماسونية ، المفهومة جيداً ، هي وحدها التي يجب أن تكون اللّصاق الذي يوضع بين « الأحجار » والتي بواسطتها تقام الأخوّة الحقيقية .

في كل المحافل الماسونية وخاصة الفرنسية منها ، يلفت « الأخوان » النظر بمفاهيمهم الخاصة المتعلّقة بكل المسائل ، غير أن الانسجام لا يلبث أن يعمّ . وقد يتجاوب « الأخوان » ذوو الآراء المختلفة أحياناً ، بدون تعصّب ، مع المحافظة على التقدير والاحترام لبعضهم البعض . إن « حرية الفكر » في الماسونية الفرنسية هي الحدود (LANDMARKS) الأساسية ، ونقيض ذلك فإن هذه « الحدود » غير محدودة أو غير موجودة !

٤. الله ، معماري الكون الأعظم (LE GRAND ARCHITECTE DE L'UNIVERS)

الحدّ الأكثر أهمية ، والمثير للجدل في الحدود الأنكلو-ساكسونية (LANDMARKS) : هو الاعتقاد بوجود الله « معماري الكون الأعظم » .

يعلّق « ويرث » على هذا « الحدّ » بقوله : « إننا لا نجادل بأن الاعتقاد بوجود الله ممزوج بالطابع الأساسي للماسونية . إن المُساريّ الذي يستوعب « الفن » « L'ART » لن يكون أبداً ملحداً غبيّاً ، ولا فاسقاً غير متديّن . وهذا يلزمنا بالثقة بكل من يفتّش عن النور بصدق، ويجب ألاّ نطلب منه أي قانون إيمان ، أو نجبره على قبول وجهة نظر لاهوتية مثيرة للجدل . علينا ألاّ نعتبر « معماري الكون الأعظم » أساساً للاعتقاد ، بل هو الرمز الأكثر أهمية في الماسونية،

والذي يدرس كباقي الرموز ، لفهم الماسونية لكي يبني كلٌ منّا محراب قناعاته الشخصية » .
ثم يستشهد « ويرث » بالبند الأول من « دستور البنّاء الحرّ، لأندرسون » والذي ينصّ : « يجب على الماسوني أن يطيع القانون الأخلاقي ، وإذا كان يدرك جيداً « الفن » « L'ART » ، فلن يكون أبداً ملحداً غبيّاً ، ولا فاسقاً غير متديّن . وفي الأزمة القديمة كان البنّاؤون الأحرار ، في كل بلد ، ملزمين على اتّباع أديان بلدهم . أما الآن فإن البشر متّفقون على احترام أديان بعضهم البعض ، وحرية الاعتقاد لدى الفرد ، شرط أن يكون صادقاً ، شريفاً ومستقيماً ، مهما كانت اعتقاداتهم والتسميات التي يطلقونها . وبهذا تصبح البنّائية الحرّة « مركز الوحدة » والوسيلة لتحقيق الصلات بين أناس كانوا سابقاً منعزلين عن بعضهم البعض مع أن تعريف « أندرسون » كان واسعاً ، إلاّ أنه كان محلّ نقاش مرّات عدّة » .

∴

إن مبدأ « مهندس الكون الأعظم » (GRAND ARCHITECTE DE L'UNIVERS) الذي تتبنّاه الماسونية ، هو أكثر إسهاباً ومحدودية . وهو يماثل مبدأ الله في مختلف الأديان . (نلاحظ أننا لا نلغي تسمية الله بل نضيف إليها صفة « مهندس الكون الأعظم ») .
ويمكن تشبيه تسمية « مهندس الكون الأعظم » إلى حدٍّ ما بتسمية خالق الكون الأفلاطوني (DEMIURGE) .

يقول « الماديون » ، أن الكون قد كوّن ذاته بذاته ، دون أي تدخّل من كائن إلاهي . ويتجابه الآليون (MECANISTES) والنهائيون (FINALISTES) ببراهين مقبولة في إطار علم الأحياء (BIOLOGIE) ، وقد تكون في مكان وسط بينهما . ويقول « برنار دان دو سان بيار» : يمكن أن يعتبر النموذج الأولي للنهائيين . وجاء في كتابه « دراسات حول الطبيعة » الفصل الحادي عشر ما يلي : « لا يوجد انسجام في شكل وحجم الفاكهة ، فكثير منها تلائم حجم فم الإنسان ، كالكرز والخوخ ، ومنها ما يلائم حجم يده ، كالإجاص والتفاح ، وأخرى مفصّلة لكي تقسّم وتؤكل مع العائلة كالبطيخ ، كما يوجد اللقطين (CITROUILLE) الذي يمكن أن تتقاسمه مع الجيران » ويصرّح برنار دان دو سان بيار بذلك وهو بكامل وعيه واتّزانه .

في الفيزياء والكيمياء تظهر « الصدفة » « LE HASARD » كمنظومة خارقة . ونتكلّم عن « الصدفة » عادةً في حالة غياب القواعد لكننا من جهة أخرى نتحدّث عن « قواعد الصدفة » « LOIS DU HASARD » . وهذا ليس إلاّ تناقضاً ظاهرياً . ثمّ حلّه من قِبَل « باسكال وفرني PASCAL ET FERNET » الذين وضعا أسس حساب الاحتمال (CALCUL DES PROBABILITÉS) وهذا ليس إلاّ قوانين الصدفة (CODIFICATION DU HASARD) .

كل العلوم مبنية على قوانين طبيعية ، تتزايد كل يوم ، وتصبح مسلّمات غير قابلة للتبديل أو النقاش .

يقول (ماكس بلانك MAX PLANCK) في كتابه (الاطلاع على أسرار الفيزياء INITIATIONS A LA PHYSIQUE) : « ليس واضحاً على الإطلاق إن كان الكون يخضع لقوانين الفيزياء ، وليس بديهياً أن استمرارية سيطرة هذه القوانين ستدوم في المستقبل . في الواقع إذا حدث يوماً ما حادثة غير متوقّعة ، قلبت فيها الطبيعة قوانينها رأساً على عقب ، فعندها لن يبقى « للعالم » مخرجاً سوى إعلان فشله . وباستخدام أسلوب (كانت KANT) نقول أن « العالم » قد وضع مبدأ السببية إستناداً إلى عدد من الحوادث السابقة والتي بدونها تكون المعرفة غير ممكنة » .

في الحقيقة ، إن الإنسان يريد أن يحكم كل شيء ، لكنه لا يمكنه فعل ذلك إلاّ في حدود إمكانياته . ورغم ضآلته استطاع تصوّر اللانهاية . ونلاحظ أن أرضنا أو كوكبنا الصغير لا يتعدى الـ (١٠٨٠ مليار كيلومتر مكعّب) والذي يخرج عن نطاق إدراكنا ، عندئذٍ نفهم غرورنا ونقبل بالمقولة : « قابل للتصديق لأنه أحمق » .

إن البنائية الحرّة ، قد تبنّت منذ البدء عبارة « المهندس المعماري الأعظم » وبيّنت مفهومها الإلهي في علاقاتها مع الكون والإنسان .

يقول (رينيه جونون) : « يرسم مهندس الكون الأعظم المخطط المثالي القابل للتحقيق ، ويعبر عن هذا المخطّط المتطوّر دوماً بشر وأفراد المضمون الكوني ، وهذه المجموعة من الأفراد تعبر عن « خالق الكون » (DEMIURGE) وهذا ينسجم مع « الكبالة » في تعريفها للإنسان الكوني . وهذا يبرز الفرق العميق بين مفهوم

« المهندس الأعظم » الذي يتبناه البناؤون الأحرار ، ومختلف « الآلهة » في كافة الأديان والتي هي ليست إلاّ مظهراً من مظاهر (خالق الكون DEMIURGE) » .

كان من الممكن بالنسبة للماديين الذي يدّعون أنهم « عقلانيون » اعتبار المهندس المعماري الأعظم هو « الصدفة » والمنظّم ، أو حتى « العدم » وهي تعني هنا غير متجلٍ ولا تعني غير موجود، وكي لا يتمّ الخلط بينهما فقد استبعدت هذه الصفة .

وللأسف فإن هذه الصيغة قد ألغيت عام ١٨٧٧ من قبل الشرق الأكبر الفرنسي ، مع أنها مجرّد صيغة تفيد المعنى التاريخي .

ويكرر " ألبير لانتوان " في كتابه (« الماسونية عندها » في الصفحة (LA FRANC-MAÇONNERIE CHEZ ELLE P. 341 (٣٤١) « قرّر الشرق الأكبر الفرنسي ، في مجمعه سنة ١٨٧٧ ، إلغاء صيغة (المهندس المعماري الأعظم) . والحقيقة أنه بعد عدّة سنوات ، عندما تمّ إعادة النظر بالنظام العام، ألغي البند الذي يقول بضرورة استهلاك جيمع المستندات الرسمية واللوحات (المحاضرات) بعبارة : « لمجد المهندس المعماري للكون الأعظم » وثم إزالة هذه العبارة من جميع المبستندات . وقد تبيّن الاقتراع الذي تمّ عام ١٨٧٧ والذي يشبه المهندس الأعظم بإله الديانات ، تبيّن أنه مقبول من كل أعضاء الشرق الأكبر ، حيث لم يعترض عليه أحد » . وهكذا ، وبالرغم من أقوال (ألبير لانتوان) ، فإن مجمع سنة ١٨٧٧ قرر إلغاء عبارة (مهندس الكون الأعظم) بلا قيد ولا شرط .

بعد ذلك صرّح (ج. كورنلو سنة ١٩٤٥) في مجلة « الرمزية » في « دفاعه عن فكرة مهندس الكون الأعظم » بقوله : « يرمز مهندس الكون الأعظم إلى مبدأ رئيسي في الماسونية والكون . وأن العمل إختياري سواء كان لمجد مهندس الكون الأعظم (AD LIBITUM) ، أو تحت رعاية الله ، أو من وحي الضمير الجماعي للإنسانية ، أو حتى وفقاً للمبادئ الرئيسية التي توجه نحو التقدّم والتطوّر للإنسانية والعالم » .
ويضيف عندما يفهم ويقبل ، من يستطيع الدفاع عن الشرق الأكبر ، إنه سيقوم بعمل شاق ، سينال من سمعته في مجال حرية الضمير ، إذا قرر إعادة تسمية (مهندس الكون الأعظم) إلى سابق عهده .

لقد ارتكب الشرق الأكبر خطأً فادحاً بإلغائه صيغة المهندس المعماري الأعظم ، وحتى (ج. كورنلو) عنده حظ قليل بأن يسمع . ولكننا علينا أن لا نفحص إذا كان هذا النداء هو بمثابة أول خطوة للعودة إلى هذه الصيغة ، لإعادة عقد صلات مع الماسونية الأنكلو-ساكسونية . وعلى كل حال إن المحفل الأكبر الفرنسي حافظ على هذه الصيغة ومع هذا وكله الأنكلو-ساكسونيين لا يقبلون في محافلهم الأخوان الآتين من المحفل الأكبر وحتى أيضاً من الشرق الأكبر .

الفصل السادس

الشغّال

١. رابطة الشغّالين ومختلف طقوسها

إذا بقيت بداية البنّائية الحرّة غامضة ، بالرّغم من وفرة الكتابات المخصّصة لدراسة تاريخها ، فرابطة الشغّالين هي أيضاً أقلّ غموضاً .

يبدو أن رابطة الشغّالين والبنائية الحرّة مشتقتان من جذع واحد ، وبقدر ما البنّائية الحرّة كانت تتطوّر ، بقدر ما رابطة الشغّالين كانت تتضاءل . وفي أيامنا هذه ، إن رابطة الشغّالين ما زالت باقية ، ولكنها خسرت كل أهميّتها وتأثيرها الحقيقي . (إن « برديجيا » كان يدّعي أن كلمة زميل مشتقّة من البركار (COMPAGNON DE COMPAS) ولكن أصل الكلمة المعترف بها عامة مشتقّة من اللاتيني (CUM PANIS) التي تعني مع الخبز ، وبمعنى آخر : « الذين يتقاسمون الخبز نفسه » . وقديماً ومع مرور الزمن (COM PAIN) أصبحت محوّرة من (COPAIN) إلى رفيق .

من المؤكّد أن المحافل كانت موجودة سنة ١٧١٧ وكانت تقبل البنائين الأحرار « العمليين » وكان هؤلاء بدورهم « يقبلون » « النظريين » .

إن « رينيه جونون » في إحدى نقاشاته البيزنطية ، حيث يبرع بها ، ادّعى أنهم خلطوا التعابير « CORPORATIF » و « OPERATIF » أي النقابي والعملي . وحسب رأيه إن « النظريين » هم البناؤون الأحرار الذين رفضوا الأشكال « العملية » للاختبار المُساريّ للبنائين الأحرار ، لكي يهتموا « بتأملات نظرية » فلسفية صرفة . فيما يعود لنا ، فإننا نبقي العبارات « العلمية » و « النظرية » ، بإعطائهم المعنى المعروف اليدوي والغير يدويّ .
« بريستون » في كتابه « التوضيحات الماسونية سنة ١٧٧٢ » ينقل القرار الصادر سنة ١٧٠٣ من محفل القديس بولس في لندن : « إن الامتيازات للبنائية الحرّة لن تعد من الآن وصاعداً للمقاسمة الحصرية للبنائين المعماريين ، لكن حسب التطبيق الحالي ، يستفيد كل البشر من كل المهن ، على أن يكونوا مقبولين ومُساريين في فنّ التنظيم » .
إذاً ، إن المحافل الماسونية العملية قبل سنة ١٧٠٣ كانت تقبل الأعضاء « النظريين » .

ما هي الروابط التي تجمع رابطة الشغّالين بالبنائية الحرّة ؟ فالجواب هو صعب ، بإمكاننا القول في هذا البحث أن كلا التنظيمين هما مشتقان من جذع واحد وليس الواحد مشتق من الآخر .

∴

إن رابطة الشغّالين ، التي هي من أقدم الأقدمين دون منازع ، نشأت في الوقت نفسه مع كافة الاتحادات العاملة ، بيد أن التاريخ يعلمنا أن اتحادات من هذا النوع كانت موجودة في اليونان ، وفي روما ، وأيضاً في اليهودية وفي كل آسيا . وأن الرفاق الأوروبيين يرجعون بجذورهم إلى بناء هيكل أورشليم بواسطة سليمان .

إن الرفاق يقسّمون إلى ثلاث « واجبات » ولكل منهم نظامه الخاص وكانوا يحلفون على تنفيذها وأيضاً على سرية المهنة دون أن يبوحوا بالأسرار إلاّ للمُساريين . وهذه « الواجبات » الثلاث كانت :

- أبناء سليمان وأبناء المعلّم يعقوب وأبناء الأب سوبيز (PERE SOUBISE) .
- واجب الحرّية ، الذي هو أبناء سليمان ويتضمّن :
  - النحاتين لحجارة البناء ، « رفاق أغراب » أو « الذئاب » ، والطالب كان يسمّى « شاب » .
  - النجارين ويسمّون « غافو GAVOTS » .
  - النجارين للهياكل ، « رفاق الحرية » والطالب يسمّى « ثعلب » .

إن النحاتين لحجارة البناء كانوا يسمّون بعضهم « جماعة » والنجارين « بلد » . وأسماؤهم في رابطة الشغّالين كانت مؤلّفة من لقب واسم مدينتهم الأصلية . وعند النجارين كانوا ينادون بعضهم بالجمع .

- الواجب فقط ، الذي هو أبناء المعلّم يعقوب ويتضمن :
  - النحاتين لحجارة البناء ، « رفاق عابرون » أو « الرجال الذئاب » .
  - النجارين والغالاتية ، « رفاق الواجب » ... أو « كلاب » .

  وأسماؤهم في رابطة الشغّالين كانت مؤلّفة من الكنية يتبعها اسم منطقتهم الأساسية .

  إن « واجب الحرية » كان يحافظ على الاستقلالية الدينية ، بينما « الواجب » كان يفرض على أعضائه أن يكونوا كاثولكيين . إن « الواجبين » كانا يكرهان بعضهما البعض والمشاجرات كانت متكررة .

- الواجب الورع ، الذي هو أبناء الأب « سوبيز » ، مشتقّ بالرجوع إلى الأسطورة عن انشقاق غير متوقّع بين « أبناء سليمان » عند بناء كاتدرائية أورليون في القرن السابع عشر . ومن الصعب إثبات هذا الحدث التاريخي . ولكن هذا « الواجب » له مهنة واحدة وهي نجاري الهياكل والذين يسمون « البشوش » . عندهم كان الأساتذة « كلاب » والطلاب

« ذئاب » والمعلم « قرد » ، وهذه العبارة الأخيرة لا زالت مستعملة باللغة الشعبية .

∴

عند جنازة أحد الأعضاء ، كانت أغلبية رابطة الشغّالين تصيح وهذا كان يثبت ترابطهم البعيد بجذور الاتحادات القديمة العهد . ونعلم بالفعل أن « الصيحات » كانت تشكّل قسم من مراسم الجنازة في القديم .

وهنا أسطورة تشرح منشأ الصيحات : بعد موت المعلم يعقوب ، لم يتركه كلبه الأمين . وجلس على مسافة من مكان اغتياله حيث أخفوا الجثة ، وكان يصيح من حين إلى آخر بانتظام . وبواسطة الصرخات المحزنة اهتدت رابطة الشغّالين إلى مكان الجريمة .

في كل مدينة ، حيث « الواجبات » كانت موجودة والتي سميت « بمدينة الواجب » ، أما باقي المدن فكانت تسمى « مدن مختلطة » كان يوجد هيئة نزل فيه « الأم » كانت تهتم بمأوى وغسيل رابطة الشغّالين ، وتحافظ وتدير مالهم الموفّر .

والعامل الذي يتنقّل ليستخدم الطلاب الجدد كان يرافقهم عند رحيلهم إلى العمل .

∴

لم نسرد الأساطير لكل « واجب » لأننا نرى مفارقات تاريخية واضحة ويمكن أن تظهر من ابتكارات حديثة . بعضهم أرادوا أن يصوّروا المعلم يعقوب ، الذي سمي في بعض الأحيان (جاك مولر JACQUES MOLER) ، الأستاذ الأعظم لفرسان الهيكل : (جاك دي مولاي JACQUES DE MOLAY) ، غير أن لا شيء يسمح أن ندخل في أي مقارنة .

نلاحظ أخيراً أن عدداً كبيراً من اتحادات المهن جاؤوا يضخّمون رابطة الشغّالين التي لا تحوي منذ البداية إلاّ ما ذكرناه سابقاً .

ألوان رابطات الشغّالين

إن الشغّالين كانوا يلبسون شرائط ملوّنة معلّقة أكثر غالبية على قبّعاتهم ، والتي كانت « قبعة عالية » أو في العنق أو على عُروة البدلة أو مربوطة على العصا . وكان نحاتي الحجارة « للواجب الحرّ » يعلّقون شرائط خضراء وزرقاء في عُروة اليمين في لباسهم والنجّارين من ذات الواجب يعلّقون شرائط خضراء وزرقاء وبيضاء في عُروة اليسار من لباسهم .

النجارين للواجب يعلّقون شرائط خضراء وحمراء وبيضاء .

حسب كتاب رابطة الشغّالين « لمارتان سان ليون » كان يوجد خمسة ألوان وواحد مخبّأ : الأبيض والأحمر والأزرق والأصفر والأخضر وكان يعني اللون الأبيض دموع المعلّم جاك ، والأحمر دمه الذي

أريق ، والأزرق الضربات التي تلقاها ، والأصفر المثابرة ، والأخضر الرجاء .

العصا لرابطة الشغّالين

إن الشغّالين كانوا يحملون عصا نوعاً ما طويلة وكانت غالباً تستعمل كسلاح للدفاع والهجوم . وطريقة حمل العصا كانت متميّزة : حمل العصا في النهار أسفلها المعدني إلى الأمام كتحدّ ، وحمل العصا في الليل للاحتراس ، إلى الوراء وعلامة ثقة . عندما تكون العصا محمولة رأسها إلى الأمام كانت لطلب السلم ، وعند جرّها كانت علامة احتقار ، وإلقاء السلام بالعصا ورأسها بمستوى الجبين تكون علامة إخلاص ، إلخ ...

إن الشغّالين « للواجب الحرّ » يمسكون عصاهم تحت الرأس (المسكة) وفي المشي يدورون ربع دورة الرأس بعكس دورة شغّالي « الواجب » ، وهؤلاء يحملون عصا ملساء ولونها تارةً سوداء وتارةً بيضاء حسب المهنة ويكبسون على رأس العصا بإبهامهم .

حلقات الأذن

بقي الشغّالون زمن طويل يلبسون حلق بآذانهم ، ولكن هذه العادة تضاءلت تدريجياً إلى أن اختفت . وهذه الحلقات كانت مزينة برموز تعود للمهنة .

دورة فرنسا

« دورة فرنسا » للشغّالين ظلّت مشهورة ، ولكنهم ما كانوا ينفّذوها كاملةً وكانت ناقصة في فرنسا الشمالية . ينطلقون من باريس ويعودون إلى باريس في نهايتها . وفي معظم المدن يوجد لغاية الآن ذكريات لرابطة الشغّالين .

الوضع الحالي لرابطات الشغّالين

في سنة ١٨٣٠ تأسس في « طولون » « إتحاد الشغّالين لدورة فرنسا » ، وهذا الاتحاد ليس له أية صلة برابطة الشغّالين .

في سنة ١٨٧٤ أنشأت « فدرالية رابطات الشغّالين » والتي أصبحت في سنة ١٨٨٩ « اتحاد رابطة الشغّالين » وهذا الاتحاد ترك شبه كاملاً تقاليد رابطة الشغّالين .

في سنة ١٩٢٩ تأسس في « شاتورو » « اتحاد عمل لرابطة المهن » الذي جمع الجمعيات لرابطات مهن الشغّالين التي بقيت موالية « للواجب » . وفي هذا الاتحاد ، مختلف الطقوس بقيت مستقلّة وقامت بجهد نسيان التنافس القديم . وحسب « جان فولان » كان عدد الأعضاء تقريباً (٤٠٠٠) للشغّالين ومنهم (١٠٠٠) موالين « للواجب الحرّ » و (٣٠٠٠) « للواجب » .

∴

على العموم ، الشغّالين كانوا من أعداء البنائية الحرّة ، وكانوا يلومونهم بأنهم استأثروا « طقوسهم » و « رموزهم » . ولكن كل الأدلة تشير أنه العكس ، بأن البنائية الحرّة أعطت رابطات الشغّالين آخر أشكال المُسارية . ولنكن عادلين لقد كان يوجد تداخل متبادل .

∴

بعد هذا العرض الموجز عن رابطة الحرفيين ، ينبغي أن نفحص العلاقات التي توجد بين رابطات الحرفيين والبنائية الحرّة .

سنستعير مستنداتنا من « هنري جراي » الذي نشر الدراسة المثيرة للاهتمام في مجلة « الأكاسيا » من سنة ١٩٢٤ إلى ١٩٢٦ بموضوع : « جذور الروابط الحرفية للماسونية » .

إن « أبناء سليمان » كانوا مجموعين في « الواجب الحرّ » الذي كان يشترك من ناحية « الغافو » أي النجارين وصانعي الغالات ، ومن جهة أخرى « الذئاب » أي نحاتي حجارة البناء ، والمسمين أيضاً « شغّالي الواجب الغريب » . وهناك فرق بين أبناء سليمان في التقاليد التي ليست متشابهة .

نسرد ما قاله « برديجييه » في هذا الموضوع بخصوص أولاً « الغافو » : « ليس لديّ إلاّ القليل أقوله عن الشغّالين صانعي الأقفال ، وما قلته عن النجارين يطبّق بالضبط عليهم ، ولديهم التنظيم نفسه ، والقانون والنظام » .

أما فيما يختصّ بنحّاتي حجارة البناء يقول : « نحاتي حجارة البناء ، الشغّالين الغرباء ، والذين يسمّونهم الذئاب ، يعتبرون أقدم رابطة للحرفيين . يروّج عنهم حكاية قديمة تسرد عن « حيرام » ، حسب بعضهم ، وحسب البعض الآخر ، أيضاً تحكى عن « أدونيرام » وانظر فيما يخص هذا الموضوع ، الفصل السابع – القسم ٢ : « أسطورة حيرام » ، نكتشف العديد من الجرائم والمعاقبات ، ولكن اترك هذه الحكاية على ما هي أهميتها » . لأن « برديجييه » كان « غافو » وطريقة تعبيره تفسّر لنا أنه غير ملمّ في التقاليد « الغريبة » « ETRANGERES » .

إنه « بالواجب الحرّ » وخاصةً عند « الشغّالين الغرباء » بإمكاننا إيجاد الجذور المرجّحة للتسلسل الماسوني . ولكن « الواجبات » الاثنين الآخرين يبدو أنهما كانا مفسدين بإدخال الدين المسيحي على طقوسهما .

طلب من السوربون في ١٦٥٥/٣/١٤ أن تصدر حكمها على ممارسات رابطات الشغّالين ، فكان كما يلي : « نحن دكاترة الكلية المقدسة للاّهوت في باريس نعتبر الآتي :

١. في الممارسات هذه ، يكون هناك خطيئة مدنّسة للقدسيات ، وشائبة وتجديف ضدّ سرّ ديانتنا .

٢. في القَسَم الذي يقسمون به وهم لا يبوحون بالممارسات ، حتى في سرّ الاعتراف ، فهذا غير منصف وغير شرعي وهم لا يجبرون ذلك حتى بأية حال ، وبالعكس هم مرغمون أن يقرّوا بأخطائهم وبقسمهم في سرّ الاعتراف .

٣. في حال أن الشرّ مستمرّ ، وأن لا يتمكنوا بشكل أو بآخر أن يتلافوه ، عندما هم مرغمون ، بكل ضمير حيّ ، أن يعلنوا هذه الممارسات إلى قضاة الكنيسة ، وحتى ، إذا اقتضى الأمر ، إلى القضاة العلمانيين الذين يمكنهم أن يعطوهم الوسيلة للعلاج .

٤. إن الشغّالين الذي يقبلون في أشكال كهذه وعلوية ، والذين لا يستطيعون ، دون الوقوع في الخطيئة المميتة ، إلاّ أن يستعملوا « كلمة المراقبة » ليعرّفوا عنهم كشغّالين ليباشروا في التطبيقات السيئة لهذه الرابطة للشغّالين .

٥. الذين هم في هذه الرابطات للشغّالين وهم دون ضمانة الضمير مع العلم أن عندهم الإرادة أن يستمرّوا في تطبيق هذه الممارسات السيئة التي عليهم أن يتخلّوا عنها .

٦. أن الأشخاص الذين ليسوا من هذه الرابطات للشغّالين ، لا يمكنهم أن يدخلوا إليها إلاّ بالخطيئة المميتة .

تقرّر في باريس في اليوم الرابع عشر من شهر آذار ١٦٥٥ .
التوقيع شارتون ، موريل ، كورنيت ، شاميلار ، بيرون ،
إلخ ... » .

أيضاً في التعليقات ، التي تتبع القرار والجداول للأعراف التي أفشيت لهم ، إن القضاة الكنسيين يعبّرون هكذا :

« إن القسم الممقوت ، والخرافات الكافرة وانتهاكات الحُرُمات لأسرارنا المقدّسة هم رهيبين ، مما اضطرنا ، في بياننا من هذا الفسخ ألاّ نضع إلاّ أقل قسم منه » . إليكم الآن « الموجز الناقص » بما أنه يحتوي من « أقل قسم » المتعلّق بمختلف الطقوس التي باستطاعة السوربون أن تتعرّف عليها . ونلاحظ أن الطقوس لنحّاتي الحجارة (الشغّالين الغرباء للواجب) ، لم يبوحوا للقضاة ، لأن الشغّالين « الأحرار » كانوا لا يحتاجون إلى الاعتراف .

<u>الموجز للممارسات الكافرة ، والمدنّسة والخرافات الباطلة المعمول بها بواسطة الشغّالين السرّاجين ، والسكّافين ، ونحّاتي الحجارة ، صانعي السكاكين وصانعي القبعات ، عندما يقبلون الشغّالين الذين يسمّونهم من « الواجب »</u> .

هذا « الواجب » المزعوم للشغّالين قائم على ثلاثة جمل : العزّة لله ، الحفاظ على ثروة المعلّم ، وصيانة الشغّالين . وعلى العكس ، هؤلاء يدنّسون بطريقة كبيرة الله ، بانتهاك حرمة أسرار ديننا ، مفلسين المعلّمين ، مفرغين دكاكين الخادمين عندما أحد من جماعتهم يشتكي أنه تلقّى تحدّي ، ويفلسون أنفسهم بواسطة الضرائب التي تفرض ليستعملوها للشرب ، ناهيك عن أن رابطة المهنيين لا تساعدهم على تولّي القيادة .

لديهم فيما بينهم سلطة قضائية ، وينتخبون ضباطهم ، وحاكم صلح ، ومعاون ، وكاتب ورقيب . ولديهم مراسلات بواسطة المدن وكلمة مراقبة من خلالها يتعارفون ويكتمون أسرارهم ويؤلّفون خط هجوم ضدّ كلّ أصحاب المهن الذين ليسوا من جماعتهم ، ويضربونهم ويعاملونهم بقساوة ويطلبون منهم بإلحاح أن يلتحقوا برابطتهم . إن أعمالهم الكافرة والمدنّسة التي يقومون بها تختلف باختلاف المهنة . ولكن مع ذلك عندهم المشترك الآتي : أولاً : إن المقبولين عليهم أن يقسموا على الأناجيل المقدّسة أن لا يبوحوا لا إلى الوالد والوالدة والزوجة والأطفال والكاهن والإكليريكي وحتى عند سرّ الاعتراف ، ما سيقومون به وما ينتظرهم من أعمال ، ولهذه الحاجة يختارون حانة ويسمونها الوالدة ، عندئذٍ يجتمعون داخل هذه الحانة التي تمثّل والدتهم المشتركة ، وفي هذه الحانة يختارون غرفتين ملائمتين كي ينتقلوا من غرفة إلى أخرى ، واحدة للكراهيات والثانية للولائم . ويقفلون بدقّة أبوابهم ونوافذهم كي لا يراهم أحد ولا يفاجئوهم بأية وسيلة . ثانياً : يطلبون من المقبول أن يختار « عرّاب » و « عرّابة » ويعطي اسماً جديداً ، ثم يعمّدوه بسخرية وينفّذون باقي الاحتفالات الملعونة للاستقبال الخاص إلى مهنته حسب التقاليد الشيطانية .

إن الشغّالين السّراجين يضعون ثلاثة « كارولوس » أي ثلاثين درهم فرنسي في كتاب الأناجيل ، وبعد أداء القسم على الأناجيل ورأسهم مكشوف ، فيأتي للغرفة ثلاثة أو أربعة رجال ، واحد منهم يطلب مذبح ، وواجهة مذبح ، وزينة ، وستارات ، وعصا ، وشرشف ، وباقي الأشياء ولتزيّن المذبح ، ومنصَفَة ، وعفّارة ، وزنّار ، وبطرشيل ، وغبغب ، وحلّة القداس ، وكل زينة الكاهن ليتلو القداس شمع ، شمعدان ، جرن ماء مقدّس ، مزيتة ، كأس ومملحة ، وملح ، وخبز صافٍ ونظيف ، ونبيذ صافٍ ونظيف ، وهو الذي أعطي الشرشف الذي يطويه إلى ثلاثة مرات وهكذا يصبح ثلاثة أغطية للمذبح ، والغبنة من الأسفل ، وكوب زجاج بدل من الكأس ، وخبز من الأرض ، وصليب من شمع ، والكتاب ، والثلاثين درهم ، وشمعتين مضاءتين ، ومكان المزيتة كوبين أو زجاجتين ، واحدة مملوءة بالنبيذ والثانية بالماء ، وملح بالمملحة ، وكل هذه الأشياء عندما تكون محضّرة ، والغرفة مقفولة جيداً ، يركع الحضور كلهم ورؤوسهم مكشوفة ، والذي طلب كل هذه الأشياء الضرورية لإقامة القدّاس يركع ويجمع يديه أمام الاسكملة ، ، ويقول للطالب أو للطلاب الذين سيصبحون شغّالين : « هذا الخبز الذي ترونه هو شكل جسد سيدنا يسوع المسيح ، الذي صلب لخطايانا » . و[illegible] هذا القول [illegible]
يأخذ قطعة من الخبز يوازي حفنة ويضعه في [illegible]
ويقول : « سلام الله يعطى لكم » ويضع ملح في [illegible]

ثلاث نقط من الشمع عليه قائلاً : « باسم الآب والابن والروح القدس » ويطفئ الشمعة في الكأس المزعوم . ثم يقول للطالبين أنه عليهم أن يختاروا عرّاب وهم راكعين ، يعمّدهم بسخرية منتهكاً حرمة قداسة المعمودية ، وسرّ القداس ، ويعطي كل الحاضرين ليأكلوا من هذا الخبز في الغرفة ، وثم يسقي الكل من هذا النبيذ المختلط . وثم ينفّذون عمل آخر آخذين أربعة مناديل وأربعة كؤوس زجاج مملوءة خمراً وتعني الأناجيل الأربعة وفي كعب كوب الخمر قطعة خبز وغطاء الطاولة كفن سيدنا ، الطاولة ، قبر السيد المسيح ، والأربع أعمدة للطاولة ، الدكاترة الأربع للكنيسة ، وينفّذون كل هذه الأعمال وكل هذه الهرطقات . الديانة المقوّمة تستقبل الكاثوليك والكاثوليك يستقبلون ذوو الديانة المستقيمة .

السكّافين

إن الزملاء في السكافة يأخذون الخبز ، والخمر والملح والماء الذين يطلقون عليها اسم الغذاءات الأربعة ويضعونها على طاولة ويقف الزميل الجديد أمام الطاولة ويقسم على هذه الأربعة أشياء بإيمانه ، وحصته في الجنة ، وربّه ، وميرونه ، ومعموديته ، وبعدها يطلبون منه أن يختار اسماً جديداً له وعليه أن يتعمّد ، ثم بعد اختياره اسماً جديداً يقوم أحد الزملاء ويسكب الماء على رأسه قائلاً : « إنني أعمّدك باسم الآب والابن والروح القدس » بعدئذ العرّاب ومعاونيه يعلّمونه الأشياء التي تعود إلى ما يسمّونه الواجب .

الخيّاطين

إن الزملاء نحّاتي الحجارة ، في إحدى الغرفتين يحضرون طاولة ، وشرشف مقلوب ، ومملحة وخبز ، وكوب له ثلاث أرجل ونصفه مملوء وثلاثة إبر ، وبعد أن يقسم على الأناجيل الذي سيُقبل ويختار عرّاباً ، يبدؤون بتلقينه حكاية الزملاء الثلاث الأوائل التي هي مملوءة فساداً والتي تتعلّق بالذي هو في هذه الغرفة وعلى الطاولة . وسرّ الثالوث الأقدس هو أيضاً عدّة مرات منتهكة حرمته .

صانعي السكاكين

إن الزملاء صانعي السكاكين يركعون أمام المذبح ، وبعد أن يكونوا قد طلبوا من الذي سيقبل عندهم أن يقسم على الأناجيل الأربعة وعندئذ يأخذ العرّاب لبّ العجين وتمزجه بالملح ويطلب من الذي سيقبل أن يأكل العجينة (طبعاً بصعوبة) ويشرب بعدها كوبين أو ثلاثة من الخمر تأكيداً أنه أصبح زميلاً .

بعدئذ يأخذونه على انفراد ، ويلقنونه حقوق الزمالة القديمة ، ثم ينزعون حذاءاً واحداً ويضعون معطفاً على الأرض ويدور الطالب عدّة دورات داعساً بالرجل العارية على المعطف والرجل التي فيها حذاء يدعس بها على الأرض . يضعون فوطة على المعطف مع خبز وخمر وعدد من الأكواب المتفرّقة التي تعبّر عن دم السيد المسيح وجروحاته الخمس وإكليله والمسامير ، إن الخبز يعبّر عن جسد السيد المسيح ، الماء ، المعمودية ، النار ، الملاك ، الهواء يعني

الزمن ، السماء ، عرش الله ، الأرض ، سلّم الله ، الريح ، غضب الله ، السكين الموضوع على الطاولة يعني السيف الذي قطع فيه أذن « مالشوس » (خادم الكاهن الأكبر قاييف) ، المنشفة ، كفن سيدنا ، أطراف المنشفة ، الحبال التي ربط بها سيدنا .
يطوون ثلاث طيات الفوطة ويضعون ثلاثة حجارة عليها ويدّعون أن هذه جروح ومسامير سيدنا .
مسكة كوب الخمر تعني الصليب ، والإزراء الإثنين اللصين ، ما ينفر عن الكوب ، الحربة التي بها اخترق خاصرة ابن الله ، والكون هو برج بابل ، وما تحته وما فوقه ، الأرض والسماء ، الإثني عشر قطيب الذين يكون الدولاب والذي يحمل العرمة ، الرسل الإثني عشر، والعناصر الأربعة ، الإنجيليين الأربعة . ويسألون الزميل الجديد كل هذه الأسئلة ، والباقون يدفعون الغرامات حسب قانونهم .

صانعي القبّعات

إن الزملاء صانعي القبّعات يهيئون طاولة في الغرفة الأكثر وجاهة من الغرفتين ، وهي تمثّل موت وآلام سيّدنا ، وعليها صليب وإكليل مصنوع من فوط مبرومة وموضوعة عند تقاطع الصليب . وعلى ذراعي الصليب يضعون طبقين وعليهما شمعدان وشمعة لتمثيل الشمس والقمر ، والمسامير هي كناية عن ثلاثة سكاكين ، إثنين عند ذراعي الصليب وواحدة عند قدم الصليب والحربة يستعاض عنها بقطعة خشب ، والسوط ممثّل بخشبة مربوط على طرفيها حبال ،

والإسفنجة ممثلة بسكين وقطعة خبز ، والكمّاشة ممثلة بفوطة مطويّة، والعامود حيث ربط سيدنا ممثلة بمملحة تحتها يوضع ثلاثين درهم ثمن بيع سيّدنا ، وملح المملحة يمثل الزيت المقدّس (الميرون) . ويضعون على كعب الصليب حوض وإبريق مع كوب مملوء خمراً وماءاً ليعني دم وعرق سيدّنا عندما كان يتصبّب عرقاً في بستان الزيتون . ويضعون على الطاولة كوب مليء بالخلّ وكوب آخر مليء بالمرّ والعلقم ، وديك وزهر النّرد ، وباختصار يضعون كل الأشياء التي استعملت لآلام سيدّنا .

أيضاً هناك صندوقاً في هذه الغرفة ، يمثّل تابوت العهد ، مقصف وخيمة يحفظ فيها تابوت العهد ليعقوب ، السرير ، المغارة وكرسي في الجزء الأسفل للموقدة ، جرن العماد ، حزمة حطب ، تضحية إبراهيم وفوق الموقدة هوّة جهنّم .

الحاكم الذي يمثّل بيلاطوس يجلس على كرسي ظاهرة في الغرفة ، والمعاون يمثّل « آن » ويجلس قرب الحاكم ، والكاتب يجلس دونهم « قاييف » . والحاكم يحمل بين يديه عصا ويمثّل قضيب « آرون » (الناطق بلسان موسى حسب التوراة) وعلى رأسه يعلّق ثلاثة شرائط : الأبيض يمثّل براءة سيدنا ، والأحمر دمه ، والأزرق رضّات جسده ، والأعمدة الأربع للطاولة يمثّلون الإنجيليين الأربعة ، وتحت الطاولة يمثّل قبر السيد المسيح ، وغطاء الطاولة كفنه ، وصليب النوافذ الصليب ، ودرفات النوافذ الشمس والقمر ...

ويطلبون من الذي سيقبل أن يخطو ثلاث خطوات وأن يقول : « العزّة لله والعزّة للطاولة والعزّة لحاكمي » ويقترب منه ويعطيه قبلة قائلاً « معاذ الله أن تكون قبلة يوضاس » ، ويسأله الحاكم : « تفتّش عن ماذا ؟ » ويجيب : « عن الله وتلاميذه » .

وأخيراً يسأله « ماذا تمثّل ؟ » ويجيب « معاذ الله ، إنني لا أمثّل سيدنا المسيح » . وثم يجلس تحت الموقد على كرسي . والعرّاب والعرّابة الذين اختارهم ، يشدّون فيه تجاههم بواسطة فوطة مربوطة به ويضعون في فمه خبز وملح ويرمون على رأسه ماء وهو يطرق ثلاث طرقات على الموقدة ، وبسخرية ، مزيّفين المعمودية ، ثمّ يأخذ اسماً جديداً ويقول : « لم آكل خبزاً مملّحاً كهذا ، ولم أشرب خمراً قويّاً كهذا ، وطلب منّي عرّابي وعرّابتي أن أطرق ثلاث طرقات على الموقدة ، وهكذا أعترف أنني أصبحت زميلاً جيّداً » . عندما يخرج زميل من المدينة ، يحمل كيساً وهذا الكيس هو حزمة إسحاق، وعندما يحمله على ظهره ، يصبح حزمة القدّيس كريستوف ، أما السيور تسمّى رجلا سيدّنا ، يضعون سيفه في غمده ويسمّونه صليب القديس اندراوس ... ومن بعده ، يفتّشون على مفترق طرق ويعلّقون الكوب الذي يمثّل موت القديس إيتيان على شجرة المفترق ، بينما الزملاء يرشقون الكوب بحجر إلاّ الزميل الذي سيرحل ويقول : « زملائي ، أستأذن منكم ، كالرسل عندما أرسلهم سيدنا في كل مكان ليبشّروا ، أعطوني بركتكم وأعطيكم بركتي » .

∴

لقد أعدنا نشر هذا التقرير المثير للاهتمام ، حسب « هنري جراي » ، والذي قيمته الوثائقية كبيرة جداً . ونرى تبديل العديد من الرموز مشتقّة من الرموز الدينية ويمكننا حتى أن نجري مقارنة مع بعض الطقوس الماسونية . وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن هذا التقرير صادر من السوربون وهذه الجموع من « القضاة الطيّبين » لا يمكنها أن يفوّتوا وأن يروا كل هذه الاحتفالات صورة ساخرة للديانة الكاثوليكية .

لا يمكننا أن نباشر هنا بتحليل مفصّل للطقوس والعادات لرابطة المهنيين ، لكننا قصدنا أن نعطي فكرة عامة لكي لا يكون الماسوني جاهلاً فيما يتعلّق بهذا الفرع الغير معروف لجذع المُساريّ الأساسي .

٢ . درجة الشغّال

يبدو أن البنّائية الحرّة في بدايتها ، ما كانت تعرف إلاّ الدرجتين الاثنتين ، المبتدئ والشغّال ، أما درجة أستاذ وأسطورة هذه الدرجة تبدو أنها أضيفت في زمن نسبياً حديث .
وحتى يمكننا أن نفكّر أنه في القِدم لم يكن موجوداً إلاّ حفلة واحدة للاختبار المُساريّ : « إنه من الواضح ، يقول « جوبليه ولفيلاً »

ويطلبون من الذي سيقبل أن يخطو ثلاث خطوات وأن يقول : « العزّة لله والعزّة للطاولة والعزّة لحاكمي » ويقترب منه ويعطيه قبلة قائلاً « معاذ الله أن تكون قبلة يوضاس » ، ويسأله الحاكم : « تفتّش عن ماذا ؟ » ويجيب : « عن الله وتلاميذه » .
وأخيراً يسأله « ماذا تمثّل ؟ » ويجيب « معاذ الله ، إنني لا أمثّل سيدنا المسيح » . وثم يجلس تحت الموقد على كرسي . والعرّاب والعرّابة الذين اختارهم ، يشدّون فيه تجاههم بواسطة فوطة مربوطة به ويضعون في فمه خبز وملح ويرمون على رأسه ماء وهو يطرق ثلاث طرقات على الموقدة ، وبسخرية ، مزيّفين المعمودية ، ثمّ يأخذ اسماً جديداً ويقول : « لم آكل خبزاً مملّحاً كهذا ، ولم أشرب خمراً قويّاً كهذا ، وطلب منّي عرّابي وعرّابتي أن أطرق ثلاث طرقات على الموقدة ، وهكذا أعترف أنني أصبحت زميلاً جيّداً » . عندما يخرج زميل من المدينة ، يحمل كيساً وهذا الكيس هو حزمة إسحاق، وعندما يحمله على ظهره ، يصبح حزمة القدّيس كريستوف ، أما السيور تسمّى رجلا سيدّنا ، يضعون سيفه في غمده ويسمّونه صليب القديس اندراوس ... ومن بعده ، يفتّشون على مفترق طرق ويعلّقون الكوب الذي يمثّل موت القديس إيتيان على شجرة المفترق ، بينما الزملاء يرشقون الكوب بحجر إلاّ الزميل الذي سيرحل ويقول : « زملائي ، أستأذن منكم ، كالرسل عندما أرسلهم سيدنا في كل مكان ليبشّروا ، أعطوني بركتكم وأعطيكم بركتي » .

∴

لقد أعدنا نشر هذا التقرير المثير للاهتمام ، حسب « هنري جراي » ، والذي قيمته الوثائقية كبيرة جداً . ونرى تبديل العديد من الرموز مشتقّة من الرموز الدينية ويمكننا حتى أن نجري مقارنة مع بعض الطقوس الماسونية . وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن هذا التقرير صادر من السوربون وهذه الجموع من « القضاة الطبّيين » لا يمكنها أن يفوّتوا وأن يروا كل هذه الاحتفالات صورة ساخرة للديانة الكاثوليكية .

لا يمكننا أن نباشر هنا بتحليل مفصّل للطقوس والعادات لرابطة المهنيين ، لكننا قصدنا أن نعطي فكرة عامة لكي لا يكون الماسوني جاهلاً فيما يتعلّق بهذا الفرع الغير معروف لجذع المُساريّ الأساسي .

٢. درجة الشغّال

يبدو أن البنّائية الحرّة في بدايتها ، ما كانت تعرف إلاّ الدرجتين الاثنتين ، المبتدئ والشغّال ، أما درجة أستاذ وأسطورة هذه الدرجة تبدو أنها أضيفت في زمن تسبياً حديث .
وحتى يمكننا أن نفكّر أنه في القِدم لم يكن موجوداً إلاّ حفلة واحدة للاختبار المُساريّ : « إنه من الواضح ، يقول « جوبليه ولفيلاً »

(مؤلّف كتاب أساس درجة الأستاذ في الماسونية الذي طبع في بلجيكا) ، إنه لا يمكننا إجبار المتطوّعين الجدد أن يكونوا قد قضوا سبع سنوات في تعلّم المهنة . إذاً كانوا يستقبلونهم كزملاء (شغّالين) ... » .

يجب أن نعترف أن الاختبار المُساريّ الحالي للشغّالين ليس له طابع مُساريّ والذي نجده في الدرجة الأولى والثالثة . الفقر في الطقوس لدرجة شغّال هي جليّة .

أدخل « راغون » ، في كتابه الطقس في درجة شغّال ، هذا السؤال : « أخي ، ما هي آراؤك في الكهرباء ؟ » ويتابع عرضه بإعطائه درساً في الفيزياء – طبعاً بمستوى زمانه – وهذه خاتمة درسه : « إنني سأنهي هذا الموضوع المثير للاهتمام (؟) بشرح بظاهرة متكرّرة ومسببة للنكبات ، والتي يمكن أن تعطوها أهمية .

هل تعلمون أن ليتراً من الماء ومن جرّاء تماس كهربائي ينقلب إلى ألفي ليتر من البخار ، وأن شرارة كهربائية تعيده إلى ما كان عليه سابقاً الليتر من الماء ، إذاً ! هذه التجربة تعطيكم فكرة دقيقة لما يحدث في محيطنا الجوّي ، عند أوقات العواصف والشتاء الجارف والمخرّب ، عندما البرق يضرب الغيوم المكوّنة من البخار » .

إننا نتّفق أنه على الأقل « غير مألوف » أن نرى بعض من هذه الاعتبارات أن تدخل في طقس ذو طابع مُساريّ !

أما في الطقوس الحديثة فهناك سؤال عن الحواس الخمس ، و « الأربع » الأنظمة المعمارية : الدوريكي ، الإيوني ، الكورنسي

والتوسكاني والفنون الحرّة : قواعد اللغة ، البلاغة ، علم المنطق الحسابي ، علم الهندسة ، الموسيقى ، وعلم الفلك ، الفلاسفة : صولون ، سقراط ، ليسورغ ، بيتاغوروس ويسوع .

بعض الطقوس الأكثر حكمة تكتفي بالمصطلحات العامة : الحواس ، الفن ، العلم ، الإنسانية والعمل .

يلاحظ « بلانتاجينيه » في هذا الموضوع ويقول : « إن الطقس يلفت نظر الطالب إلى الحواس الخمس ، التي هي الوسائل الموضوعة من الطبيعة تحت تصرّفه لتنفيذ عمله على أكمل وجه » .

وحسب « بوفار » يعلن الطقس : « إن الحواس هي عوامل عقلنا ووكلاء قدراتنا . وإن نموّ الفكر هو متّصل بعملهم الجيد وتربيتهم السليمة » ، ويقف هنا عن شرحه بينما الآخر يضيف بعد خمسة بيانات صغرى والتي تعلّمنا بإحسان أن النظر يستعمل لنبصر ، والسمع للاستماع ، والشمّ للاستنشاق ، وحاسة الذوق لنتذوّق ، وإذا كانت هذه الحواس الأربع : « مجتمعة ، بالافتراض ، على نقطة واحدة » لأنهم « يساهمون مباشرة في ولادة الأفكار والحفاظ على الكائن ، في حين أن اللّمس موّزع على مساحة الجسم ، ما هو إلاّ إضافي ومرافق لحواس الآخرين » .

« إن الكلام بهذا الموضوع هو كثير وبنفس الوقت غير كافٍ ، كما يقول « بلانتاجينيه » ، كثير ، لأن الطالب الذي لم يجد بعد وسيلة ليتعلّم شيئاً من تعليم حيث يتّضح فقط قاصر عن أن يميّز الطابع الخطي تماماً ، فإنه يتحسّن أكثر في مدرسة ابتدائية من الماسونية ،

وإنه منذ ذلك الحين علينا أن لا نهتمّ به . وغير كافٍ ، لأنه إذا كان اختبارنا المُساريّ موجّه إلى أناس لا يملكون ثقافة طفل عمره فقط خمسة عشر سنة ، يجب علينا على الأقل أن نعلّمهم شيئاً لم يعلموه بعد أو حتى العرض عليهم استنتاجات قابلة أن تحرّك تفكيرهم وفتح آفاق جديدة لهم » .

يلاحظ « ويرث » أيضاً : « أن الطقس لدرجة الشغّال كان غالباً مزخرفاً بأبحاث دنيوية ، منتزعة من بعض الكتب المختصرة لعلم وظائف الأعضاء . وكان يجب علينا أن ندرك ، لأي حدّ هو مثير للسخرية أن نبعد المبتدئين مع إعطاء هذا العمل شيئاً من الغموض ، كي نكتشف أخيراً أن بعض المبادئ قطعاً بدائية لآلية الإحساسات . الدخول في المنافسة مع مدرسة إبتدائية هو بالأحرى شيئاً مذلّ للدرجة الثانية الماسونية » .

إن الاختبار المُساريّ لدرجة الشغّال يحتوي على خمس سفرات : في السفرة الأولى يكتشف المحتفل به الحواس الخمس ، وفي الثانية يكتشف الأنماط المعمارية الأربع . لماذا أربعة وليس خمسة أي النمط المركّب وهكذا نظلّ مخلصين للرقم خمسة ؟

أما السفرة الثالثة ، فالطقس الفرنسي ينسبها إلى العلوم ، والطقس الإيكوسي ينسبها إلى الفنون الحرّة . نتعلّم في الطقس الفرنسي أن « معرفة الطبيعة أعطت للإنسان بواسطة العلم ، ومن خلال العلم نفهم تتابع الظواهر الطبيعية وخصائص المادة ، وبواسطة العلم أيضاً

نتعرّف على قوانين نمو الحياة والقوانين التي تدير العلاقات بين البشر في المجتمع » .

ويقول « بلانتاجينيه » : « الطقس الإيكوسي يستعيد جدول أسماء العلوم السبعة الحرّة وفيها الماسوني يجب عليه أن يحافظ على مبادئه، كما كانت تعطى في الدستور القديم عند العمليين وتعدّ : « قواعد اللغة ، البلاغة ، المنطق ، الحساب ، الهندسة ، الموسيقى ، وعلم الفلك . وحتى في أيامنا هذه ، فإن المستجدّ في الماسونية متغيّر التفسيرات عن العلوم السبعة ، وهذه الذكريات الماضية للاستعمالات القديمة كانت تكون مؤثّرة جداً لو تكون في القرن الثالث عشر ، أما الآن وقد صار في متناولنا القواميس منذ صغرنا وأصبحنا معتادين على استعمالها » .

في السفرة الرابعة ، الطقس الفرنسي ، يجعل المستجدّ في الماسونية « يكتشف » الإنسانية ويعلّق : « إن قانون الطبيعة الصارم يوجّه الكون ، وأن القوة الوحشية تنتصر في المعركة عند الكائنات . ولكن بمساعدة الفن والعلم يصل الإنسان شيئاً فشيئاً إلى أن ينمو ويعلو حتى الوصول إلى مفهوم جديد ، ويبدأ يحلم بالأخوّة ، ويفهم التضامن، ويطلب العدالة والمساواة » . (وهنا يبقى علينا أن نثبت أن « العلم » هو فعلاً عنصر نموّ . لكن كل الاكتشافات العلمية استعملت في هدف هدّام ، ولا نجد علم واحد يخدم تحسين الإنسان لكنها وسيلة ليحطّموا بعضهم البعض ، وآخرها الطاقة الذرّية) .

يقول « بلانتاجينيه » : « إنها كلمات معروضة هنا بطريقة قطعية ، وفارغة من الحقائق ، إلاّ – بعد التكذيب الصارخ الذي فرضته الحرب العالمية (١٩١٤ – ١٩١٨) – من حسٍّ مشترك .

كيف نتجرّأ أن ندّعي ، بعد هذه الهجمة الوحشية لسنة ١٩١٤ ، الذروة الدموية لـ « التكنولوجيا » و « التقدّم المنفعي » ، وأن هذه الأخيرة تنجب بشر من ذهنية متفوّقة للذين هم أسلافنا الأبعد ؟ وإذا اقترحت الصيغة المشار إليها أعلاه إلى هيمنة هدّامة لحضارة قيمتها « الأخلاقية » تبدو لنا قابلة للجدل ، بماذا تساعد الماسوني على تغيير طريقة تفكيره في اتجاه مطابق إلى متطلّبات التطوير اللاّزم ولكن ، ويا للأسف ! عاجز على تطوير إنسانيتنا المسكينة ؟ » .

إن كتاب « بلانتاجينيه » المدوّن في ١٩٢٩ ، ما كان يمكنه أن يتصوّر « التطوّر » المنفّذ من البشر في « التقنية » من التدمير – الذاتي في فترة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٤) ، نفّذوا وحتّى تعدّوا كل ما يمكننا أن نتصوّر من الأسوأ .

في السفرة الرابعة وتبعاً للطقس الإيكوسي « نكتشف » الفلاسفة وهم : صولون ، سقراط ، ليكورج ، فيتاغوروس ويسوع . كان يجب أن يكونوا خمسة ، لا واحد زيادة ولا نقصان . لو اختاروا [illegible]
[illegible]

وزاد على اللاّئحة يسوع بسبب المذهب الكاوثوليكي الذي كان تلقّى طابعه ، والإرادة « لتخفيضه » ليصبح فيلسوفاً عادياً . ها هنا نظريات توحي لنا هذه اللاّئحة والتي فيها لا يمكننا فعلياً أن نجد أي طابع مُسارّيّ .

إن السفرة الخامسة ، في الطقسين تعود إلى « العمل » والشرح لهذه السفرة يوازي شروحات باقي السفرات .

« أوزوالد ويرث » في كتابه للشغّال ، يرتكز على رمزية الأدوات ، ويرفض كل التفخيم العائد للإحساس ، للفنون والعلوم ، إلخ ... ونحن نؤيّده كليّاً .
ونتفهّم أن هذه الدرجة الثانية ليست بنظر أغلبية الماسون إلاّ ذي أهمية صغرى جداً . خيبة أملهم كانت كبيرة عندما كان لهم الشرف أن يترفّعوا إلى هذه الدرجة ! ...
غير أن هناك رمزين ذو أهمية كبرى يتعلّقان بدرجة الشغّال ، رمزين متّصلين ببعضهم البعض ، والذين سنتكلّم عنهما الآن هم : النجم الساطع والحرف « G » « ج » .

٣. النجم الساطع

ماذا يعني النجم الساطع ؟ هذا جواب « راغون » في كتابه لطقس درجة الشغّال : « هو عند المصريين رسم لابن إيزيس وللشمس ، محدث الفصول وشعار التنقّل ، ومن هذا (الأوروس ORUS) ، ورمز من هذه المادّة الأولية ، وينبوع لا ينضب من الحيويّة ، من هذه الشرارة للحماس الملتهب ، والبذرة للزراعة العالمية لكل البشر . هي للماسونيين شعار العبقرية ، الذي يرفع الروح إلى الأشياء المهمة، ومضيئة لأن أحد كبار المُساريين ، الذي هو فيتاغوروس ، أوصى أن لا نتكلّم عن الأشياء الإلهية بدون مشعل » .

هذا الشرح من « راغون » (وهنا نلاحظ أننا نستشهد غالباً ب « راغون » مع أن رمزياته وبراهينه تبقى مشابهة إلى إضافات عتيقة وتنميقات قديمة لمسرح أكل الدهر عليه وشرب ومخيب للأمل . إن « راغون » معتبر من التقليديين الكبار في الماسونية وخاصة من الرمزية الماسونية . إذا أخذنا واقع مؤلّفاته مجازفين باستهزاء وبإنقاص قيمة البنّائية الحرّة بنظر الدنيويين ، وبعد الاضطراب الكبير ، عند فجر عصر جديد ، إنه من الضروري أن ننظّف البيت لأن القدم يعرضه للضّرر . يجب علينا أن نقوم بمجهود كبير لنعود إلى ينابيع الرمزية الحقيقية والشاملة والمطلقة ، إن « التقاليد » يجب أن تتخلّص من تباريقها المتعدّدة الألوان . إن المبادئ الكبرى الباطنية (ESOTERIQUES) غارقة تحت الغباوة

لباحث في علم الأخلاق مثير للدموع . بتحريضنا وبمشاركتنا لهذا الإصلاح الذي لا بدّ منه نكون قد اشتركنا في عمل باتجاه تقويم ثانٍ والذي أصبح الحاجة إليه ضرورية) .

إن شرح « راغون » يساوي الطقس الحالي الذي يقول : « نرى نجماً ذو خمسة رؤوس يلمع في الشرق ويسمى النجم الساطع » .
« بلانتاجينيه » يلفت نظرنا أنه يبدو أن الساطع عند البنّائية الحرّة لم يبرز قبل سنة ١٧٣٧ ، بيد أن النجمة المخمّسة (PENTAGRAMME) كانت معروفة عند الماسون البنّائين وكانت حتى ربّما أحد أسرارهم الأهم والأكثر تقديراً (صورة رقم ٨٤) .

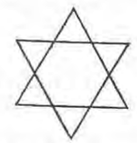



Fig 84: Pentagramme et Hexagramme

يجب علينا أن لا نخلط بين النجم الساطع أي النجم الخماسي وخاتم سليمان أو النجمة المسدّسة (HEXAGRAMME) ، وهذه الأخيرة مكوّنة من مثلّثين متساويي الأضلاع مقابلان من جهة قاعدتهما ومتشابكان ، بينما النجم الأول فهو مكوّن من خط مُنكسر متواصل يشكّل نجمة ذات خمسة أضلاع .

إن الكولونيل « ألوت دولا فاي COLONEL ALLOTE DE LA FUYE : LE PENTAGRAMME PHYTHAGORICIEN » مؤلف كتاب « البانتاجرام الفيتاغوري » سنة ١٩٣٩ يقول في الصفحة (٥) ما يلي : « مهما كانت قيمة هذا التقليد ، إنها مقبولة عالمياً والملك حناً أنشأ وسام بشكل مسدّس أعطي اسم « خاتم سليمان » ، والسؤال هو هل كان لسليمان خاتم ؟ فنحن لا نشكّ بذلك ، ولكن هل كان مسدّساً أو مخمّساً ، فلا يوجد أية وثيقة تثبت ذلك » .

التقليد الجماعي الذي يسمّي خاتم سليمان النجمة المسدّسة ليس له اسم خاص للنجم الخماسي إلاّ في الماسونية حيث يسمّونه النجم الساطع . وهنا يجب أن نرجع إلى الحماقة المضادة للماسونية مستعينين بالمؤلّف « بول روزين وكتابه : الماسونية التطبيقية لسنة ١٨٨٥ الجزء الأول – الصفحة ١٨٠ » حيث يقول : « النجم الساطع أو خاتم سليمان (؟) هو شعار الخلق المثالي . إن الرجل المُستلقي يظهر نتوء وسطيّ . والمرأة المستلقاة تظهر بالعكس تجويف وسطيّ . واتحادها وتشابكها بالأعضاء التناسلية يكوّن النجم الساطع . وفي وسط النجم الساطع يوجد حرف فينيقي (؟) معادل للحرف العبراني (لود) ويمثّل القناتين المنويّة للإكليل ، والذي يكوّن القسم الأساسي للقضيب » .

إن الرسمة بجانبه هي « لبول روزين » ، لا تتناسق إلاّ قليلاً مع « وصفها » الإيحائي . لا فرق عنده ، من جهة أخرى ، شرط أن يكون القارئ مقتنع كل الاقتناع أن الماسونية تخبئ أسرارها الجنسية المخجلة ! (صورة رقم ٨٥) .



FIG. 85.
Dessins de Paul Rosen.

إن المقاومين للماسونيين النظاميين بعد أن تخلّوا عن اتّهاماتهم « الشيطانية » (وبول روزين نشر كتاباً عنوانه : الشيطان وشركائه) فتشوا على وسيلة أخرى ليهاجموا الماسونية .

ولكن هذه الطرق التي تظهر جلياً مضمونها الغامض للوعي الباطني للمؤلفين ويبين حدّة « كبتهم » ، لا يمكنهم حقيقةً أن يوهموا به ، وإلاّ علينا أن نيأس ، ليس فقط من الوجهة النقدية ، ولكن من الوجهة الجيدة عند القرّاء حتى السخاء .

إن النجم الخماسي « PENTAGRAMME » كان الرمز المفضّل عند الفيثاغوريين ، وكانوا يسمّونه « بانتاغرامون PENTAGRAMMON » أو كانوا يشيرون إليه بكنية تعني « الثلاث مثلّثات مردود التقاطع PENCROISE » ، وكانوا يرسمون هذا الرمز على رسالاتهم بطريقة سلام ويعادل باللاتيني « فالي VALE » أي انتبه على صحتك . إن المخمّس كانوا يسمّونه أيضاً (أوجاي UGEIA) أي آلهة الصحة (هيجي HYGIE) وكانوا يضعون الخمسة أحرف على كل رأس من النجمة حرف .

« البنتلفا PENTALPHA » التي تعني باليونانية : حياة وصحّة ، يمكن أن يقارب ال (آنخ ANKH) أو الصليب ذو عُروة للمصريين الذي معناه الأساسي أيضاً حياة وصحّة . إن مقاييس الـ (ANKH) محاط بشكل هندسي بغرابة للنجم الخماسي الذي بدوره محاط بالمخمّس (صورة رقم ٨٦) .

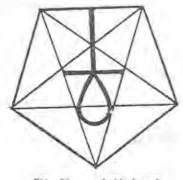


FIG. 86. — *Ankh* inscrit dans le Pentagramme.

« الرسم البياني للإشارة (ANKH) ، حسب قول إينل (ENEL) مؤلّف كتاب الدلتا المنيرة (DELTA LUMINEUX) يعبّر عن فكرة عميقة . إذا أخذنا شكله عامةً ، يعطى شكل الصليب ، ونعلم أن هذا الأخير كان الرمز القديم للأبدية لأن الخطوط التي يكوّنها إذا امتدّت لا تلتقي أبداً في الفضاء .

لكن العُروة التي تؤلّف قسمه الأعلى لها معنى أيضاً . هذه العُروة تبدو كأنها تمثّل عقدة حبل والتي تقول : ضمّ ، وفكّ . هذه العلامة تدخل في عدد كبير من الكلمات التي معناها : دورة ، رباط ، تآمر (مربوط بالكلمات) ، وكلام (مربوط بمجمل كلمات) » .

« هكذا يبدو لي منطقي أن أقترح التفسير التالي للعلامة (ANKH) . إنه رمز الحياة الأبدية ، والدورة الحيوية المشعّة بالمبدأ الهابط على

المستوى (أي على المستوى السلبي الذي ينشّطه) ، ويدخل إلى العمق حتى اللانهاية ، والذي يعبّر عنه بالخط العامودي » .
« إن علامة الـ (ANKH) يمكن أن تعتبر كعقدة سحرية التي تربط معاً تركيبة خاصة لعوامل تؤلّف الفرد . ويمكن حتى أن ترمز إلى القدر ، العقدة تجمع مختلف التأثيرات الكوكبية التي يجعلون منها ولادة الإنسان مع هكذا مزايا أو هكذا سيئات » .

« لانيو-فيلان LANEO-VILLENE » مؤلّف كتب عن الرمزيات سنة ١٩٣٣ – الجزء (٥) – صفحة (٢٦٨) يقول : « ممسوك ليد الآلهة (أو ظاهر بقربهم) ، فإن الصليب ذو عُروة هو قبل كل شيء رمزاً لعلم الباطنية المقدّس ، لأنه في الحياة العادية ، الذين يصنعون عقد مع بعض الحبال أو بعض الربطات ، يعلمون لوحدهم كيف يحلّونها ، لأنهم طبعاً يعلمون أسرارهم ، وحتى المُساريين المصريين يحصلون على كل مظاهر أسرار العبادة (كانوا يحلّون الربطات الغير منظورة) عندما كانوا يفسرون لهم صيغ باطنيتهم .
إذاً العقدة الظاهرة بحصر المعنى ، في العلوم القديمة ، هو علم باطني حامي أسرار الديانة » .

لا يمكننا أن نقبل تشبيه العلامة (ANKH) لعقدة مصنوعة بواسطة حبال ، من جهة أخرى ، يكفي أن نراجع مختلف الوثائق المصرية لنتحقّق من الشكل المتصلّب لهذا الرمز .

وهذا مثل (صورة رقم ٨٧) حيث الآلهة هاتور (HATHOR) تقدّم « علامة الحياة » .

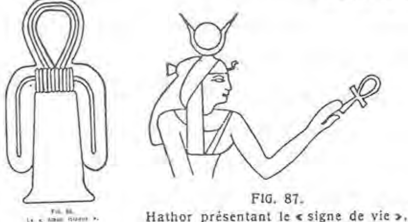


FIG. 88.

FIG. 87.
Hathor présentant le « signe de vie ».

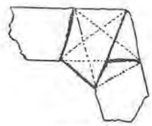
أما بالعكس « عقدة إيزياك LE NOEUD ISIAC » (رمز لإيزيس كان فعلاً « عقدة » (مصنوع من قماش ، ليف ..) صورة رقم ٨٨).

.˙.

على العموم ، إن النجم الخماسي (PENTAGRAMME) مع رأس واحد متّجه إلى فوق يعتبر عمليّ ومبارك ، لأنه هكذا يحيط النجم رأس الإنسان وأعضاءه الأربعة .

أما النجم الخماسي المقلوب مع رأسين من جهة فوق يعتبر سلبي وذو تأثير سيّء ، بعض علماء الباطنية ، الميّالين للشرّ الشيطاني ، وضعوا رأس تيس فيه ، شعار الغرائز والحيوانية . أما بالماسونية النجم الخماسي (PENTAGRAMME) له مفهوم مغاير تماماً : إنه قاعدة « الرقم الذهبي » . (نلاحظ أنه تحت مظهر « علامة للعمل »

أن النجم الخماسي السوفياتي والمسمى « وسام العلم الأحمر » يتخذ كرمز النجم الخماسي والرؤوس الإثنين متجهين إلى فوق ، والولايات المتحدة (U.S.A) اختارت أيضاً النجم الخماسي كرمز وأعطته اللون الأبيض (صورة رقم ٨٩ وصورة رقم ٩٠) .





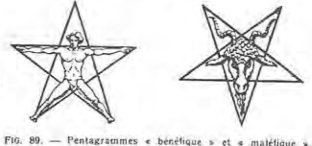


FIG. 90.
Le nœud de papier.

FIG. 89. — Pentagrammes « bénéfique » et « maléfique ».

« الرقم الذهبي » (LE NOMBRE D'OR)

يسمّى « الرقم الذهبي » أو « المقياس الذهبيّ » ، نسبة خاصة ، حيث أن قياس « الكلّ » مقسوم على القياس « الأكبر » يوازي القياس « الأكبر » مقسوم على القياس « الأصغر » . وهذا ما تسمّيه الهندسة التقليدية : تقسيم خط مستقيم إلى متوسط وأقصى ادراك (EN MOYENNE ET EXTREME RAISON) إننا نحدّد على الخط AB نقطة C حيث أن : AB/AC = AC/CB (صورة رقم ٩١) .

A C B

FIG. 91.
La « proportion dorée ».

إذا سمّينا c الطول AB ، و a الطول AC و b الطول CB نحصل على النسبية الدائمة : c/a = a/b

وبما أن الطول c يوازي a + b ، يمكننا الكتابة التالية: $a + b/a = a/b$

وإذا سمّينا x النسبة a/b نلاقي بواسطة الصيغة لحلّ اعتيادي لمعادلة للدرجة الثانية : $x = 1 \pm \sqrt{5}/2$

وتكون جَذر هاتين المعادلتين : $x' = 1.618$

$x'' = 0.618$

نعتبر القيمة 1.618 بمثابة الرقم الذهبي Φ (في Phi) و 0.618 كوكِسهِ أي Φ /1

في التطبيق ، لا نستعمل القيمة الرقمية للرقم الذهبي . لكن الرسم الهندسي هو أدقّ ، لأننا نتجنّب الأخطاء الناتجة دائماً عن نسبة الأطوال . إن الخط AB يكون « الكلّ » (صورة رقم ٩١) والطول AC يكون القسم « الأكبر » والطول CB يكون القسم « الأصغر » . ويمكننا أن نأخذ بعين الاعتبار ثلاث حالات :

الحالة الأولى : تحديد الطول الأصغر والأكبر عاملي الطول « الكلّ » .

الحالة الثانية : تحديد الطول الأصغر عالمي الطول الأكبر .

الحالة الثالثة : تحديد الطول الأكبر عالمي الطول الأصغر .

إليكم الصور الأكثر بساطة المتعلّقة بالحالات الثلاث (صور رقم ٩٢ ورقم ٩٣ ورقم ٩٤) :

الحالة الأولى : هو تخطيط « نيجرودسكي » الذي تكلّمنا عنه سابقاً (في المربع المستطيل) :

عند النقطة B نرفع عامودياً خط : BD = AB/2

من النقطة D كمركز نرسم قوس BE

من النقطة A كمركز نرسم قوس EC

إن النقطة C تقسم AB إلى مقاطع ذهبية

الحالة الثانية : عند النقطة C من الخط AC نرفع عامودياً خط CF = AC

من النقطة G التي هي وسط AC ، ومن G كمركز نرسم قوس FB

إن الطول CB عندئذ يمكن أن يحدد على امتداد AC

الحالة الثالثة : عند النقطة B من الخط CB نرفع عامودياً خط BG = CB/2

نرسم دائرة قطرها GB

نرسم الخط المستقيم CGH

من النقطة C كمركز ، نرسم قوس HA

عندئذ الطول CA يحدّد على امتداد CB

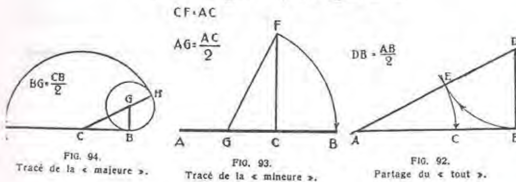


FIG. 94.
Tracé de la « majeure ».

FIG. 93.
Tracé de la « mineure ».

FIG. 92.
Partage du « tout ».

إن المربع المستطيل كما ذكرناه سابقاً ، ليس هو فقط على صلة بالنجم الساطع ، بل أيضاً يسمح أن يخطّطه .

إذا رسمنا المربع المستطيل على الخط AB مستعملين الحالة الثانية أعلاه يمكننا أن نحصل على المستطيل AEFD والنقاط B و C نضمهم بخط مستقيم . إذا رحّلنا الأطوال BE و CF إلى AH و DG نحصل على النقاط H و G متماثلة (SYMETRIQUES) إلى C و B ونضم النقطتين G و H بخط مستقيم . نلاحظ أن النقاط D , G , C , F تحدّد إحدى أضلاع النجم الخماسي (صورة رقم ٩٥) .

FIG. 95.
Pentagramme et Carré.

إنطلاقاً من النقاط G و C كمركز نرسم دائرتين شعاعهما GD و CF ويلتقيان عند النقطة J فيصبح عندنا ثلاثة رؤوس للنجم .

لنرسم الخط JK مروراً بالنقطة G والخط JL مروراً بالنقطة C ، وهكذا نكون حدّدنا الرأسين الباقيين للنجم .

لم يبق لنا إلاّ ربط النقطتين K و F والنقطتين D و L لنحصل على النجم كاملاً . يمكن أن يبدو لنا هذا الشرح معقّداً لأول نظرة ، إلاّ أنه بسيط جداً ، وبتنفيذه مجدداً نتحقق من بساطته .

ونلاحظ أن النجم الساطع يمكنه أن يرسم في إطار مربع (واجهة حجر مكعّب) ، أربع نقاط توصل الجهات الجانبية والسفلية والدائرتين الاستدلاليتين هما خماسيتين للجهة العلويّة .

يوجد هنا نسبة علم ما ورائي للطبيعة (METAPHYSIQUE) بأهمية عليا . إن النجم الساطع ، علامة حركية للطبيعة وللإنسان الذي لا « يلمس » أبداً « المستويات العلوية » ، ولكن الدوائر المرسومة فقط « بالبركار » (أي العقل) يسمح لها أن تدركه .

.·.

إذا أردنا رسم نجم خماسي سريعاً دون أن نتعلّق بالدقة الحسابية ، يمكننا أن نرسم خط GD و GC كما و CF في نسبة من ٣ إلى ٥ وثم رسم دائرتين شعاعهما GD و CF ،

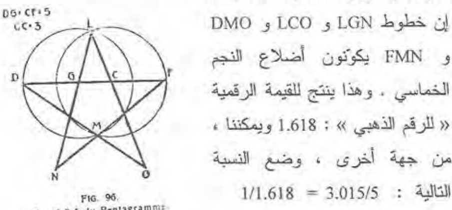


FIG. 96.
Tracé 3-5 du Pentagramme

إن خطوط LGN و LCO و DMO و FMN يكوّنون أضلاع النجم الخماسي . وهذا ينتج للقيمة الرقمية « للرقم الذهبي » : 1.618 ويمكننا ، من جهة أخرى ، وضع النسبة التالية : 1/1.618 = 3.015/5 (صورة رقم ٩٦) .

إذاً ، إن نسبة ٣ إلى ٥ كافية عندما لا نبحث على الدقة المتشدّدة . ونلاحظ هنا أن عمر المبتدئ هو ٣ والشغّال هو ٥ ، وباستعمال هذين الرقمين يمكننا بسهولة رسم النجمة الخماسية .

هنا لا يمكننا تطوير استعمالات النجم الخماسي في هندسة العمارة (ARCHITECTURE) وفي نتاجات « الطبيعة » ، لأن نسب « الرقم الذهبي » موجودة في كل ما ينتج عند الإنسان من حسٍّ انسجامي وجميل واستعماله هو ذو سعة خيال عظيمة .

∴

إن النجم الساطع غير معروف في الماسونية – على الأقل بالمبدأ – إلاّ من الشغّال وخاصةً في درجته ، والرمانات التي تعلوا عادةً العامودين استبدلوا بكرتين . والخطّين GH و CB في المربع المستطيل (صورة رقم ٩٥) مع الدائرتين اللتين تلتقيان بالنقطة J يمكنهم رسم النجم الساطع .

في بعض الطقوس ، توضع الكرة السماوية والكرة الأرضية على المذبح . هذا الكريات المنقولة تخسر من معانيها .

ويكتب « راغون » في كتابه لدرجة الشغّال الآتي :

« لماذا استبدلت الرمانات التي على العواميد بالكريات ؟ » فيجيب « لأنّه في هذه الدرجة العلمية (؟) الكريات ترمز إلى انسجام الكون وتدلّ على نوع الدراسة التي يجب أن يطبّقها الشغّال » .

هذا التفسير ، الذي ليس هو بتفسير ، هو إقرار جهل .

لا يذكر « بلانتاجينيه ويرث » في كتبهم كريات على العواميد .
و « جيمان دو سان فيكتور » في كتابه تعليم الشغّالين ، يطلب « ما كانت تحمل الأعمدة ؟ » ويجيب « كريات مرصّعة بزنابق ورمّانات » ولا يفسّر أكثر .

إن « الشعاع » للنجم الساطع ليس هو في رسم اللّهب الذي يطوّقه . هذا « الشعاع » هو في ذاته من جرّاء شموليته . ومن جهة أخرى ، بما أن رسم النجم بدون الخطوط الداخلية التي تمثّل النجم الخماسي (PENTAGRAMME) ، يكون قد أزيل بنفس الوقت الاتصالية « المتصالبة » والقيمة الباطنية . ويمكننا حتى القول ، دون مبالغة ، أنها بمجرد ما النجم « يلتهب » ، بمجرد ما يفقد شعاعه الحقيقي ، وبعد أن نكون ثبّتنا الحواس الخمسة عند رؤوسها الخمس ، فالنجم التعيس لن يكون له أي ... معنى !!! (صورة رقم ٩٧)

FIG. 97.
L'Etoile Flamboyante.

« جان لوتسكا » بتسمية أخرى « جول دوينال » يقول لنا بماذا تتعلّق الحواس الخمس في درجة الشغّال : « النظر هو شعور العالم الشيطاني . الشمّ هو الشعور « بالرائحة الجيدّة الشيطانية » مناوئه للرائحة الجيدة ليسوع . اللّمس هو الشعور للعمل الشيطاني على

الجسد وعلى العمل الشيطاني على الروح . المذاق هو الشعور المسبق لهذا الخبز وهذا النبيذ الشيطاني الذي ، فيما بعد ، فارس الصليب الوردي عليه أن يكسر ويشرب في العشاء للدرجة (١٨) . السمع هو الشعور لسوط الشيطان » . (مأخوذ من كتابه : نزع القناع عن إبليس – صفحة ٢١٨) .
هذه الغزارة من الصفاة « الإبليسية » أو « الشيطانية » تدلّ على دلالة منقوصة بأن المؤلّف عنده نفاذ بصيرته ، إنما تدلّ على اختلال واضح خاصةً عندما يقول أن النجمة الملتهبة هي إبليس بذاته ، ولا يعطينا أبداً طابعاً أنه كشف لنا ، كما يتباهى به ، عن أسرار عظيمة !

أما « ليون موران » ، مؤلّف كتاب الماسونية ليست للشيطان فيقول : إن النجم الساطع ممثّل شفّاف الذي أمامه يركع الماسون لعبادته (؟!) . تتعلّق بالمانوية (أي ديانة مبنية على الثنائية المتضادة لمبادئ الخير والشرّ) الذي استعارت منه الماسونية العديد من الرموز .

إن الماسونيين لا يركعون أمام النجم الساطع ، على حدٍّ علمنا على الأقل ، ولكن سيادة المطران ليون موران أخذ استعلاماته من المؤلّفات لبول روزين وليو تاكسيل ، وليس غريب أن يروّج بكلّ ثقة أسقفيته مثل هذه الحماقات .

على واجهات النصب التذكارية العامة وعلى صدور أعظم الرجالات وحتى أمراء الكنيسة : النجمة (وليس صليب وسام جوقة الشرف) هو ليس أحد الشعارات ، ولكن شعار الماسونية ، منتقى بنيّة من الذي كان يسمي نفسه رجل القدر ، والذي أراد أن يُقبل ماسونياً ووضع صورته في وسط النجمة : عندما كان يقول « نجمي » ، تعبير الذي كان يعود غالباً في محادثاته ، وكان يتكلّم كلاماً غامضاً .

« العبقري الوقح هو الذي يحلّق على عامود تموز (الذي شيّد في وسط ساحة الباستيل في باريس سنة ١٨٤٠ والذي يعلوها تمثال عبقري الحرية لديمون) ويقبض في يديه قطع سلاسل ، هو نفس الشعار : نجم الماسونية يلمع على جبينه . ونجم الماسونية ذو قياسات هائلة ، يعلو الحاجز المشبك للمستوصف العام في « مون بارناس » في باريس هو الهرم الماسوني الذي شيّد على المدخل . سور حدود ساحة النجمة وقوس النصر في ساحة النجمة بباريس هي أسماء رمزية والتي تعني دائماً ما يختص بالماسونية . وهكذا تكون باريس مطوّقة بكاملها بهذه النوافذ » . (وهذا القول نقل عن المجلة الكاثوليكية ، الجزء الحادي عشر – صفحة ٢٣٨ و ٢٣٩ للأب لو كانو . في النشرة للمشاعل العليا سنة ١٩٣٩ – صفحة ١٥٥) .

إن الأب لو كانو كان مع الأسف قد سهى عن باله أن يذكر النجم الخماسي المقلوب والرائع والموجود في وسط النافذة الوردية في

كاتدرائية أميان بفرنسا ، هذه الجوهرة المثيرة للإعجاب من الفنّ المسيحي في القرون الوسطى . وكان عليه أيضاً أن يرى في كل مكان الدلتا المنيرة للماسون ... وكان رآها حتى في الكنائس .

لم نعد نميّز إذا كان علينا أن نتعجّب من المؤلّفين المذكورين هل على سذاجتهم أم حماقتهم . ويمكننا أن نتساءل إلى أي قرّاء يمكنهم أن يتوجّهوا في مثل هذا الهذيان ؟

مونسينيور جوم في كتابه كشف أسرار الشيطان (١٨٨٠) يستشهد بمطران آخر ، سيّنا دو سيجور الذي يؤكّد بأكثر جدّية في العالم :

« مؤخراً ، اكتشفنا وجود شكل من الماسونية الفرعية ، ومنظّمة ، هدفها الخاص هو الاتفاق على الطرق لهدم الإيمان بكلّ فاعلية وتأكيد . إن هذه الشيعة مقسّمة إلى فروع صغيرة مؤلّفة من (١٢) إلى (١٥) عضو لكي لا تلفت الأنظار . وتختار أعضاءها من المثقّفين أو من الأشخاص ذات مراكز أو ذات ثروات ، ونافذين في مجتمعاتهم . والرؤساء لا يسكنون في محيط مكان الاجتماعات . ولكن ما هو فظيع أنه كل نصير لكي ينضمّ ، يجب أن يجلب يوم اختباره مُساريّاً ، القربان المقدّس من المذبح ويداس بالأرجل بحضور الأخوان » .

ويكون من السهل جداً أن نضاعف الاستشهادات من المؤلّفين الكاثوليك ليعبّروا عن تعصّبهم الفادح ضدّ الماسونية . لم يكن لنا هذه الضراوة .

∴

لقد ذكرنا آنفاً بعض التعريفات عن النجم الساطع من « راغون » وبعض الطقوس وإليكم نموذج من البعض الآخر :

يقول « جيومان دو سان فكتور » : « إن النجم الساطع هو المركز حيث ينطلق النور الحقيقي » (صحفة ٦٠ GUILLEMAIN DE SAINT-VICTOR : PRECIEUX RECUEIL) .

وجيدالج (GEDALGE : DICTIONNAIRE RHEA , ART. ETOILE FLAMBOYANTE) تقول : « إن النجم الساطع يمثّل النور ، منيراً تلميذ « المعلّمين » ، العامل القدير على أن يخدمهم بصورة نافعة ، هو إذاً علامة الذكاء والعلم » .

وفي « المفكّرة الصغيرة للماسونية – ١٩٢١ – صفحة ٤٨ » نقرأ : « إن النجم الساطع هو شعار الفكر الحرّ ، وهو نار النبوغ الذي يرفع الإنسان إلى الشؤون الكبيرة » .

هذه التعريفات المتعدّدة ليست خطأ ، ولكنها غير كاملة ولا توصل إلى إدراك الرمز تماماً .

إنما « أوزوالد ويرث » يلاحظ بقوّة عادلة في كتابه « أسرار الفن الملكي – ١٩٣٢ – صفحة ١٩٧ » ، فيقول : « إن النجم الخماسي لا يبدو أن أساس رمزه ماسوني صرف . لأن البنّائين الأحرار قد يكونوا استعاروه من المدرسة الفيثاغورية لممارسة شعائرهم ، الأعداد المقدّسة ، إلاّ إذا كان الفيلسوف بذاته استوحى من التقاليد البنّائية وبتنظيمها . ومع ذلك إن « البانتالفا PENTALPHA » نراه على العديد من الحجارة القديمة المحفورة ، وكانت إشارة سحرية

تتعلّق بقوة الإرادة الإنسانية . إن معماريي القرون الوسطى كانوا يهتمّون خاصة بهذه الإشارة وهذه الرسمية ، (إن PENTAGRAMME كان في بعض الأحيان يسمى PENTALPHA أي مكوّن من خمسة ALPHA وهي أول حرف من الأبجدية اليونانية) نظراً للنسبيات الغامضة التي تزوّدهم به . إن البنّائين الأحرار الرمزيين ، بما أنهم كانوا أقلّ اهتماماً للهندسة التطبيقية ، ابتعدوا عن الأشكال الغير ليّنة للنجم الخماسي بإعطاء حيوية لمحيطه وبتوهّجه حسب العادة ليصبح ملتهب .

وكانت أوائل النجوم الساطعة رسماتها بدائية . مؤخراً ارتؤوا أن يرجعوا إلى النجمة ذات الأضلاع المستقيمة بتزيينها بتوهّج فيه فجوات » .

∴

يمكننا بسهولة رسم نجم خماسي بواسطة خط واحد مبتدئ من الرأس (١) ، الوحدة الأصلية إلى (٢) ، القسمة والتفارق ، إنها سقوط الروح في المادة ، وهذا السقوط ينفذ من جهة « الشمال » وبصورة سريعة وعامودية .

من (٢) نصعد ثانيةً إلى (٣) بتروّي ، أي أن الروح تنظم الطريقة دون أن تتلاقى بصعوبات .

من (٣) إلى (٤) يقام حالة اتّزان مؤقّت ، ولكن الحالة هذه تميل إلى الشمال ، إذاً إلى الغير مستقرّ التي تتزايد .

بجهد نحو اليمين نمر من (٤) إلى (٥) وهذا سقوط جديد ، ولكن أقلّ سرقة من السقوط الأول حيث الإنسان يمكنه أن يعطي كل مقداره .

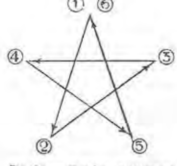


FIG. 98. — Tracé « initiatique » du Pentagramme.

وأخيراً ، من (٥) إلى (٦) نصعد نحو الوحدة ، بعد أن أكملنا الدورة الكامل وفيها تراجع مزدوج وتطوّر مزدوج (صورة رقم ٩٨) .

نكرّر أن النجم الخماسي هو رمز « حيوي » ، بينما خاتم سليمان أو النجمة السداسية هي « جامدة » .

نلاحظ أيضاً أن الأرقام المفردة (٣) و (٥) هي على اليمين والأرقام المزدوجة (٢) و (٤) هي على اليسار . بيد أن الأرقام المفردة تسمّى مذكرة ، نشيطة وسعيدة ، فيما الأرقام المزدوجة تسمّى مؤنثة سلبية وسيّئة . هذا ليس بمطلق ، لأنه إذا كان الرقم (٢) هو دائماً مشؤوماً، فالأرقام (٤) و (٦) ليس لها هذه الخاصّية . عند الرومان مثلاً ، كان الشهر الثاني من السنة يكرّس « لبلوتون : إله اليونانيين لجهنّم » وثاني يوم من نفس الشهر كان يوم تكفير لأرواح الموتى عند الرومان قديماً .

∴

لا يمكننا أن ندرس كل علاقات النجم الخماسي في إطار هذا الكتاب . ما قلناه يكون كافياً لتبيان أهميتها .

يقول « ويرث » : « عندما الشغّال يمكنه أن يقول : لقد رأيتُ النجم الساطع ، يكون قد دخل السرّ الكبير للدرجة الثانية المُساريّة . على حدٍّ سواء له ، إذا لم يرَ إلاّ على شفاف النجمة الخماسية وفي قلبها الحرف (G) . هذا الرمز ليس غشّاشاً ويعود بدقّة إلى المُساريّ الحقيقي ، والمثقّف بواسطة الطقس ، الذي يجب أن يعرف كيف يكتشف ، لأن « الاكتشاف DIVINATION » الحقيقي (أو كما يقول مؤلّف كتاب الحسّ الداخلي (INTUITION) يفرض نفسه لكل من لا يريد أن يبقى دنيوياً أو جاهلاً بأصول الماسونية » .

يقول « بلانتاجينيه » : « يمكننا أيضاً أن نلاحظ ، أنه ليس صدفة أن يضعوا النجمة وسط مضلّع خماسي ممثّل رأس تابوت (هذه الرمزية للتابوت بشكل مضلّع خماسي هو غير شامل وليس له قيمة إلاّ بفترة نسبياً حديثة في حضارتنا الغربية وحتى الأوروبية) . ويربطنا مجدداً الخمس رؤوس للرمز وتابوت ثاني يتّضح ، ثم ثالث يتّضح أيضاً إذا مددنا الأضلاع نحو المركز (لكن بلانتاجينيه يقف عند الثالث ، ويستمرّ إلى ما لا نهاية مع تعاقب متواصل لنجوم « نشيطة » و « سلبية ») ، ما معنى ذلك ، إلاّ أن المعرفة النشيطة للحرف (G) لا يمكن أن تحصل عليها ولم يحصلوا عليها في

الماضي إلاّ بعد مرور ثلاثة مرات بواسطة الموت الرمزي والذي أصبح الانتقال من مستوى إلى آخر ، بعد أن تخلّصوا ثلاث مرات من أخطائهم التي سببها الجهل ، ومن عدم التسامح الذي سببه التعصّب والظلم للصّيغ الاجتماعية التي اضطهدت العقل ؟ » (صور رقم ٩٩ ورقم ١٠٠) .

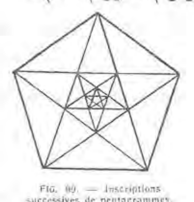


FIG. 99. — Inscriptions successives de pentagrammes.

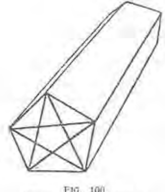


FIG. 100. Cercueil « Pentagonal ».

هذه التعليقات التي يظهر من خلالها الجهل وعدم التسامح والظلم لا ترضينا . يمكننا بعد أن نقبل عند الاقتضاء أن جانبيه المضلّع الخماسي للتابوت ، الذي من وسطه يمكننا أن نرسم النجمة ، يشير إلى أن الموت ضروري للحياة وأن كل موت يشتمل على وعد للحياة .

إن الأب « برتو » صاحب كتاب (دراسات عن الرمزية في تعبّد العذراء سنة ١٩٤٧ – صفحة ٢٣) ، يؤكد أنه إذا اختار الماسون النجمة ذات الأضلاع الخمس كرمز ، « ليعني أن الإنسان حرّ ، وأنه تحرّر من العقائد ومن الله ، وأنه لا يقبل إلاّ القوانين الناتجة عن العقل لا يقبل غير المعرفة الناتجة عن العلوم والعلوم المادية » .

إنه لانطلاق سريع وتنكر بنفس الوقت للمبادئ الرئيسية للماسونية وللباطنية للنجم الخماسي ونفس المؤلّف يكتب فيما بعد « هل يمكنني أن لا أشرح لكم هنا بعد لماذا التفاحة التي ترمز إلى الخطيئة ، خطيئة آدم وحواء ، الذي يقال عنهما وبطريقة عامية « أكلوا التفاحة » كان يعني لهم ، الإفراط في الذكاء للتعرّف على الشرّ ، وحساسيته ليشتهيه ، وحريته لصنعه . وبما أنه دائماً قريب الوصول، فأصبح الجمهور العاميّ يأخذ هذا الرمز كواقع . إن « سياج » النجم الخماسي ، رمز الرجل – الفكر ، داخل « الجسد » التفاحة ، يرمز فضلاً عن ذلك تراجع الفكر في المادة الجسدية » .

إن الأب « برتور » يظهر أنه يجهل في الرمزية المسيحية القديمة ، مريم العذراء تقدّم « تفاحة » للطفل يسوع . ويقول الأب « أوبير » في مجموعته تاريخ ونظرية الرمزية الدينية – جزء ٤ – صفحة ١٣٢ – ١٣٣ : « كانوا يرسمون التفاحة ويستبدلونها بالكرة الأرضية ، لأنهم لم يكونوا متيقّظين . وكانوا أول الرسامين المسيحيين يرسمون التفاحة بإظهار عنقها وإحدى أوراقها معلّقة بالعنق . ولكن الرسامين الجدد الذين لا يهتمون بالرموز ينسخون الفاكهة دون فهمها وتصبح كرة بسيطة . فضلاً عن ذلك كان يمكنهم أن ينظروا إليها بدقّة تامة كرمز للعالم ، مسلّم منذ ولادته للطفل يسوع لقدرته وإدارته » .

نوقشت مطوّلاً وبدون جدوى ، النوعية الحقيقية « لشجرة الخير والشر » وكانت تارة شجرة تفاح ثم تين ثم رمان ثم ليمون إلخ ... سفر التكوين يخبرنا أنه كان في جنة عدن شجرتين واحدة للحياة والأخرى لمعرفة الخير والشر أو شجرة العلم .

إن النجم الخماسي أو النجم الساطع هو رمز ذو مدى متناهي الذي منه الشغّال يحب بمحبة طاهرة أن يستقصي كل الأسرار والخفايا (ج. ريكيوتي G. RICCIOTI) يدّعي في كتابه تاريخ إسرائيل – جزء أول – والمترجم للفرنسية بواسطة ب – أوفري – الطبعة سنة ١٩٤٧ – الصفحة ٣٦٨ ، أن الصالة الكبيرة لهيكل سليمان كانت مفصولة عن الصالة الوسطية للهيكل بحاجز من خشب الأرز وفيه باب مفتوح « بشكل خماسي الأضلاع » وأن الباب الذي يؤدي من البهو إلى الصالة الكبيرة كان مربّعاً . لا يمكننا أن نفكّر أن ج. ريكيوتي ، كاهن قانوني لمار يوحنا في لاتران ، كان قد استوحى من « السرية الماسونية » ليتصوّر باباً « خماسي الأضلاع » والذي ليس موجوداً في أي نص . ونلاحظ أن باب كهذا لا يمكنه أن يقفل إلا بواسطة ستارة لأن المفصّلات المائلة تمنع حتماً الدرفات أن تنفتح .

ما من حفرية ، حتى اليوم ، سمحت اكتشاف آثار لهيكل سليمان ومن المحتمل أن لا نكتشف أبداً ، إذاً ينبغي علينا أن نتقبّل بحذر مطلق الادّعاءات المتعلّقة بهذا الموضوع وحتى من أي مكان أتت) .

٤. الحرف (G)

في وسط النجم الساطع يوجد الحرف (G) . وهذا الحرف هو بلا جدل لغز ماسوني وعليه يحلّق سرّ أحدث عدداً كبيراً من التأويلات والتعليقات أحياناً وجيهة وغالباً خيالية .

إن الحرف (G) في كيفية كتابته الحالية هو من أصل حديث . في البداية كان الحرف (G) له ذات القيمة الصوتية للحرف (C) ، عندما أصبح الحرف (C) له تجانس صوتي بالحرف (K) فرضت الحاجة نفسها وأصبح الحرف (G) حرفاً جديداً ، فظهر في أواسط القرن الخامس الحرف (G) المنبثق من الحرف (C) .

يقول « راغون » أن الحرف (G) هو خامس حرف صامت في الأبجدية (الفرنسية) وهو بنفس الوقت خامس العلوم في الدرجة الثانية ، أي علم الهندسة . فمن علم الهندسة وعلم الحساب نقترض ضوء الحقيقة الساطعة التي يجبْ أن تنشر على كل العمليات الفكرية (صورة رقم ١٠١) .

G

FIG. 101. — L'Etoile Flamboyante et la lettre « G »

إنه عند العديد من شعوب الشمال الحرف الأول من (GRAND ARCHITECTE DE L'UNIVERS معماري الكون الأعظم) ... الغنوصيون (GNOSTIQUES العرفانيون والبعيدي النظر) الحائزون

على العرفان (GNOSE) أو العلم الصحيح لديهم أيضاً نفس الحرف الأول .

يلاحظ « أوزوالد ويرث » مؤلّف كتاب الشغّال أنه لا يوجد أي بحث أو دراسة عن النجم الساطع أو الحرف (G) في أية طقوس قديمة لسنة ١٧٣٧ ، الفترة التي بدأت المحافل الفرنسية أن تتبنّى هذا الشعار ، عندما شُفيت بالفلسفة المغلقة (PHILOSOPHIE HERMETIQUE) .

كان الماسون في القرن الثامن عشر يدرسون التعلّق بالحرف (G) ومن ثم يقبلون كشغّالين . وكانوا يبحثون عن مفهوم الحرف (G) بالكلمات الآتية (GLOIRE POUR DIEU , GRANDEUR POUR LE MAITRE DE LOGE , GEOMETRIE POUR LES FRERES) أي المجد لله ، وسيادة أستاذ المحفل والهندسة للأخوان .

ويتابع شرحه (أوزوالد ويرث) في كتابه عن أسرار الفن الملكي – صحفة ١٩٨) قائلاً : « إن حرف (G) هو في ثالث أقدم أبجدية ، وكان أصلاً له شكل زاوية . وأصبح في اللاتينية زاوية متصلة بدائرة مفتوحة . وأن رمز الفكرة الخيمية للملح يصبح الحرف (G) إذ يرسم بخط واحد معكوف ومفتوح ،

وبربط الدائرة بالزاوية وبإقفالها لن تعد الحرف (G) وأصبحت تستهوي المؤلّفين (G) للرموز الحديثة (صورة رقم ١٠٢) .

le sel   la lettre G

FIG. 102.

وتذكر هنا أن « ويرث » يفسّر أن الملح هو « الحكمة التي تدرك » ونلاحظ أن هذا الشرح الخاص بالكتابة التصويرية لا أساس له من الصحّة .

إن الطقوس الحديثة تعطي خمسة تفسيرات للحرف (G) : (جاذبية GRAVITATION) – (علم الهندسة GEOMETRIE) – (التكوين GENERATION) – (العبقرية GENIE) – (العرفان GNOSE) .

أصلاً ، إن « بداريد » حدد دراسته عن الحرف (G) بهذا التعداد المذكور آنفاً وكتب كتاباً من ١٢١ صفحة ، ويبدو لنا « مجوّف » . (كتابه عن الحرف (G) سنة ١٩٢٩) .

أما « ريبوكور » يفكر أن الحرف (G) في وسط النجم الساطع لا يمكنه أن يكون إلاّ الحرف الكبير للأبجدية اليونانية (جاما GAMMA) الذي له شكل الزاوية . ويقول (ريبوكور صاحب كتاب الحرف (G) سنة ١٩٠٧) : « هذا الحرف استمرّ في القرون الأولى بين المجتمعات الرمزية وتعدادها هنا عديم الفائدة . وأخيراً كان أسلافنا البناؤون الأحرار معماريي الكنائس المهتمين بالشكل لا بالجوهر يطبّقون رموزهم ومنها الزاوية .

أما الماسون الذين أتوا من بعدهم ، شعروا بالحاجة إلى الرجوع إلى الحرف « جاما » ولكن بمعناه الرمزي (G) والذي هو خامس حرف ساكن من الأبجدية الفرنسية (صورة رقم ١٠٣) .

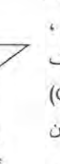


FIG. 103. — L'Etoile Flamboyante et le Gamma grec.

وهكذا كان (G) يوازي « جاما » ، مع العلم أن الحرفين (G) و (جاما) لهما نفس التناغم الصوتي » .

أما للأنكلو-ساكسونيين الذين هم متطرّفين بالأمور الإلهية ، فالحرف (G) لا يمكن أن يكون إلاّ أول حرف من (الله = GOD) .

ويقول باختصار (الدكتور شوفيه صاحب مؤلّفات باطنية التكوين - الجزء الأول سنة ١٩٤٦ - صفحة ١٤٠) : « التكوّن عامةً في الطبيعة الطبيعيّة » .

إن الدكتور شوفيه والكبّاليين يضعونا على طريق التفسير الممكن ، (CABALISTIQUE) من إدخال الحرف (G) في الماسونية .

في كتابه محادثات في غرفة الشغّال - صفحة ١٥٢ ، يلاحظ بلانتاجينيه : « إن الحرف (G) هو أول حرف من (GOD) أي الله في اللغة الإنكليزية . ومن البديهي أنه من الجهة المُساريّة ، هذا التفسير هو ساذج ، لأن باطنية رمزية مقفولة لا يمكن بأية حال أن تلاقي مصدرها من أي تعبير كان مأخوذاً من لغة حديثة ، أيّاً كانت هذه اللغة . « لا يمكن أن نستمدّ من هنا وهناك بطريقة اختبارية في كل اللغات إن كانت قديمة أم حديثة حيث نجد كلمات تبدأ بالحرف (G) لكي ترضينا وتكون مقنعة (G) » .

في كتابه سرّ الحرف (G) سنة ١٩٣٥ ، يقول ناكرودسكي : « إن الحرف (G) الموضوع في وسط النجم الساطع للماسونيين ، يسمح لنا أن ننتقي غير حرف يوناني ، مثلاً (في φ) التي تشبه العقدة وكان عندها يأخذ كل الاعتبارات التي أعطيت للحرف (G) .

وبهذه الحالة الوهمية كان يمكننا أن نتكلّم عن (الفلسفة PHILOSOPHIE) و (الأعمال الخيرية PHILANTHROPIE) وكنا مع الوقت استبدلنا (في φ) بحرف (ف F) ... » (صورة رقم ١٠٤) .

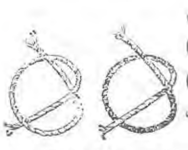


Fig. 104.
La lettre G formée d'un nœud.

∴

لم يظهر النجم الساطع والحرف (G) إلاّ في سنة ١٧٣٧ في الماسونية وتحديداً في الماسونية الفرنسية . وإذا كان المُساريين القدماء أرادوا أن يحوّلوا لنا الأسرار ، نقر أنه مخبأ بطريقة جيدة . نلاحظ أن الحرف (G) هو بالضبط أول حرف من « المادة الاولى في الخيمياء . لا نظن أنه من واجبنا أن نعطي إسماً كشف من الأنصار مخلوطاً فيه الحابل بالنابل مع أسماء كهذه : كالعفصة ، والسنديانة ، والجزّة ، والمجرّة ، إلخ ... ما قلناه يجب أن يكفي « للذين يعلمون » .

إن النجم الساطع الناشط الذي يطوّق الحرف (G) يدلّ على الطريق المؤدّي إلى النجمة السداسية ، النجمة المتوازنة ، رمز الفكرة التقليدية « حجر الفلاسفة PIERRE PHILOSOPHALE » النجم الساطع يصبح ساميّ بالمعنى المقفل للعبارة ، والحرف (G) يصبح أول حرف من (الكأس المقدّس GRAAL) ، من هذه الكأس الذي هو برقع للنار الخالق ، هذه النار التي تشعّ و « تسطع » . (بيوت

الفلاسفة LES DEMEURES PHILOSOPHALES للكاتب فولكانيلّي FULCANELLI سنة ١٩٣٠ صفحة ٢٨٧) .
في المعنى المُساريّ ، إن النجم الساطع والحرف (G) يرشدان المُساريّ الذي فيه النار استيقظت ، النار التي يمكن أن توصله إلى « الأنصار » وعرف كيف يتخلّص من المعنى البسيط الأخلاقي للرمز وأن لا يورّط نفسه في الشروحات الوافرة حول المصطلحات : مجد GLOIRE ، عظمة GRANDEUR ، علم الهندسة GEOMETRIE ، جاذبية GRAVITATION ، جيل أو نشأ GENERATION ، عبقرية GENIE ، عرفان GNOSE ، إلخ ...

٥. الحرف (E) لهيكل دلفس (DELPHES)

العديد من التفسيرات المعطاة للحرف (G) في الماسونية تذكّر بالضبط المناقشات المتعلّقة بالحرف (E) في هيكل ديلفس . (المرجع : ROBERT FLACELLIERE 1941 SUR L'E DE DELPHES DE PLUTARQUE – للمؤلّف روبير فلاسيليار – الكتاب – الحرف (E) لديلفس لبلوتارك ١٩٤١) .

∴

كان الحرف (E) لقدماء اليونان لغز ، كما هو الحرف (G) هو لنا . هناك قليل من الحظ بأن يحلّ هذا النوع من اللّغز وهذا حتى هو غير مستحبّ ، لأن الرمز الحقيقي عليه أن يوقظ ويثير بواسطة الحس الباطني نوع من « الوحي أو الإلهام » اللذان لا يمكن أن يعبّرا عنه بطريقة صحيحة وعقلانية . إنه فقط مسموح توجيه « من هم يبحثون » على الطريق الصحيح لكي يتجنّبوا أن يدخلوا في مأزق أو ورطة .

٦. لوحة الشغّال

إن « لوحة » المحفل للشغّال هي إجمالاً شبيهة نوعاً ما بلوحة المبتدئ .

يقول المؤلّف « فيليوم VUILLAUME » للكتاب « الفاحص الطقسي TUILEUR سنة ١٨٢٠ » : نميّز لوحة الشغّال عن لوحة المبتدئ بزيادة النجم الساطع والحرف (G) والمسطرة والمخل ، وبإبدال الثلاث درجات عند المدخل بسبعة ، وبتّسع عقدات بدل السبعة ، والباقي في لوحة الشغّال هو شبيه بلوحة المبتدئ .

أعطى « راغون » السبع درجات للوحة المبتدئ وأبدل الكرتين برمانتين اللتين يعلوهما العامودين ∴ B و ∴ J . وفسّرنا ذلك سابقاً . قال « بلانتاجينيه » أن ديكور المحفل يبقى هو نفسه للشغّال وللمبتدئ ، والذي يبدّل هي « اللّوحة أو السجادة » للدرجة . ويقول أيضاً : « إن التفاصيل المميزة التي تبين أن المحفل مجهّز لدرجة شغّال هي النجم الساطع والنوافذ الثلاثة وأحياناً إبدال الكرتين برمانانتين . وأحياناً الخمس درجات تصبح سبعة » .

يعرض « أوزوالد ويرث » « لوحة شغّال » التي تحتوي على سبعة درجات ، وحبل ذو ثلاثة عقد وعامودين يعلوهما رمّانات . ويوجد ثلاث نوافذ مركّب عليها شريط مشبّك ، فيما وكما قلناه سابقاً لا يوجد نوافذ في « لوحة المبتدئ » .

هذه التباعدات تظهر جلياً أن التوافق يبدو بعيداً لأن يطبّق ، ليس فقط في « الشروحات » الرمزية ، بل أيضاً من الأعداد وفي التنسيق لهذه الرموز بالذات .

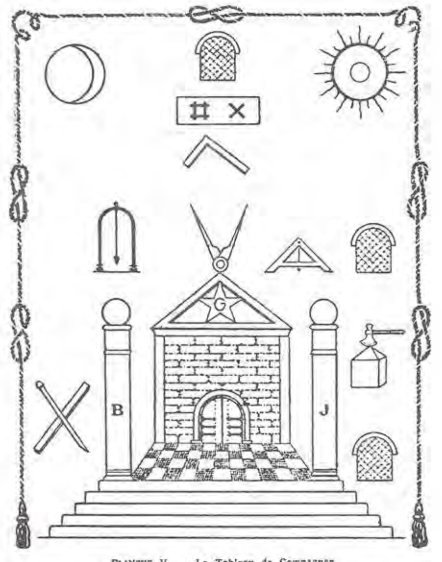


PLANCHE V. — Le Tableau de Compagnon.

(لوحة رقم ٥)

∴

لقد أوضحنا بما فيه الكفاية الرموز الماسونية لكي نتفهّم الأسباب التي سمحت لنا أن نقترح هذه « اللّوحة » من اللّوحة رقم V .

في هذه « اللّوحة » الرمانات في « لوحة المبتدئ » استبدلت « بكريات » ، الحجر الغشيم بمسطرة ومخل ، والحبل أصبح بخمسة عقد مكان الثلاثة ، والنجم الساطع والحرف (G) في المثلّث فوق مدخل الهيكل . وهكذا تصبح ظاهرة الفروقات ما بين الدرجتين الأولى في الماسونية .

الرقم خمسة هو رقم الشغّال . أما الرقم سبعة يعطى بطريقة خاطئة له ، مستندين على الفنون السبعة الحرّة أو السبع فضائل المتعارضة أي الأخطاء السبعة الرئيسية التي لا تبرّر هذا الرقم .

إن الحجر الغشيم لا يجب أن يظهر في « لوحة الشغّال » ولكن المسطرة والمخل هما الأدوات التي يجب أن يعرف كيف يستعملها الشغّال . الكريات التي تكون الأولى الأرض وهي على العامود ∴ B والثانية تمثّل الكرة السماوية والتي يجب أن تكون على العامود ∴ J .

أما استعمال البركار فيجب على الشغّال أن يمتلك كيفية استعماله ليس على المسطّحات فقط بل في الفضاء أيضاً .

وأخيراً ، إن النجم الساطع الموجود فوق مدخل الهيكل بمثلّث ، يمثّل الخماسي ولا يكون مكان المثلّث ، إنما يوجد منذ الأساس ضمنه للمثلّث . وإذا كان الخماسي هو رقم الخليقة والذاتية ، فهو أيضاً النشاط الخالق للعقل الأول « LOGOS » (أي الثلاثي TERNAIRE) ، معبّر عنه من المتناهي أي الثنائي (= FINI BINAIRE) . يقول « لاكوريا » (LACURIA مؤلف كتاب : تناغم الكائن معبّر عنه بالأرقام – ١٨٤٧ – الجزء الأول صفحة ٣٦ . LES HARMONIES DE L'ETRE EXPRIMEES PAR LES NOMBRES) : « الرقم خمسة هو التعبير عن الفكرة أن الله لم يكن موجوداً ، هو سلبية لكل الإمكانيات للكائن ، ما عدا ما يدرك بالعقل هو « اللاكائن » ما عدا « اللافكر » ، هو الشكل والمادة » .

النجم في الدلتا (DELTA) يشعّ ، فهو « الإنسان » الذي يضع نفسه في الشعاع الإلهي والذي يتلقّى نور « داخلي » غير ممكن إطفاءه الذي يحرّر روحه نهائياً .

الفصل السابع

الأستاذ

١. الفنّ الملوكي (أو الأصول الملكية)

إن الأستذة (MAITRISE) تكوّن ثالث وآخر درجة في البنّائية الحرّة الزرقاء .

الأستاذ الماسوني يقتني نظرياً ويضع تطبيقياً كل الأسرار للفنّ الملوكي أو الأصول الملكية . وهذا تفسّره « مدام جيدالج في قاموس ريا RHEA » : « إن تطبيق السير المُساريّ الذي سمّي غالباً الفن الملكي أو الأصول الملكية ، دون شكّ لأنه يصنع من المُساريّ ملكاً، أي « أستاذاً » على ذاته وعلى الطبيعة . وتضيف المؤلّفة ما يلي : نجد في الباغافاد-جيدا (BAGHAVAD-GIDA) يوغا للسرّ الملوكي « YOGA DE ROYAL-SECRET » ، والإيكوسية تعطي لدرجتها (٣٢) اسم « SUBLIME PRINCE DU ROYAL-SECRET » أي الأمير السامي للسرّ الملوكي . أما السرّ الذي نتحدّث عنه ما هو إلاّ التطوّر والمُسارَرة .

بمجلة الأكاسيا سنة ١٩٢٤ كتب هنري جراي مقالة عنوانها « أصول روابط الحرفيين في البنائية الحرّة » وفيها بحث عن تفسير تطبيقي للعبارة « الفنّ الملوكي » وكتب ما يلي : « نحّاتي الحجارة قاموا بأعمال لإنشاء تحف لحساب ملوك وأمراء الكنيسة . وكانت هذه الأعمال خالية من أي تعليمات في القرون الوسطى ، وتقاليدهم الخطّية تظهر أن الشعوب والملوك والكهنة كانت تحترم فنّ العمارة . لذلك كلمات كـ « الفنّ الملوكي » التي تستعمل للدلالات على نحو غير مناسب للبنائية الحرّة ، تطبّق بالحقيقة فن البناء » .

إن هذه المؤلّفة ، بعد أن أدركت أن هذه الصيغة كانت مطلقة ، قال ، بإرادة واضحة لتقليل المواضيع التي ليست خاصتها ، ما يلي :
« إن الذين يهوون العلوم الباطنية يدّعون أن هذه العلوم كانت حصرياً الحصّة الكبرى للملوك والكهنة في قديم الزمان ولأنها لاقت ملجأً في البنائية الحرّة فاستحقّت هذه الجمعية أن تسمى « الفنّ الملوكي » .

بالمقابل ، نحن نوافقه عندما يكتب : « عندما الأسباب البسيطة لن تكون الأحسن يروي لنا ريبولد ، مؤلّف كتاب تاريخ البنائية الحرّة ، أن شارل الثاني قُبِلَ ماسونياً عندما كان في المنفى ، وفي سنة ١٦٦٠ رُفع إلى العرش وأن البنائية الحرّة بواسطة هذا الملك سمّيت « الفنّ الملوكي » لأنها كانت السبب الأساسي لإعادته للعرش » .

يظهر لنا بوضوح أن هذا الشرح وُجِبَ علينا أن نحتفظ به ، لأنه « ذاتي » ولا يفي بالفكرة الماسونية العامة .

« بلانتاجينيه » الذي يدّعي أن أعضاء « الصليب الوردي » هم الذين أسسوا الماسونية الرمزية ، يقول : « يستنتج لهم أن الفنّ الملوكي لا يمكن أن يكون إلاّ الفنّ الذي يحكم تحت راية كلمة الشمس أي ليس بالقوة بل بالروح ، ليس بواسطة الأوطان بل بالإنسانية ، ليس بواسطة اللانهاية للفضاء الخارجي بل في الإطار الضيّق للعالم الأرضي ، ونسبوا تطبيق الفنّ الملوكي للماسونية لأن ممارسة الحكم كان قد أفسد الملوك وأن « الحق الإلهي » الذي عليه تؤسّس امتيازاتهم ، لم تعد إلاّ صيغة خالية من الواقعية ، منذ اليوم الذي انتهت أن تكون عبارة عادية للحكمة الحيّة المكتسبة من الاختبار المُساريّ ، قد حدّدنا أيضاً هذه الأخيرة في محافلنا ، لأن الكنائس بابتذالها الأديان كانت عتّمت على الباطنية وابتذلت التعاليم .

يفسّر « أوزوالد ويرث » هكذا العبارة « الفنّ الملوكي » :
« إنه سرّ ديني تناقله منذ البدء البناؤون ، سرّ توقّف أن يكون قويم عندما انتصرت المسيحية فلن تعود تتسامح مع العقائد الأخرى . عندها أصبح من الحذر أن نلتجئ إلى سليمان ، لنعيد الشبه إلى أدنى حدّ للتقاليد المعمارية المسيحية . هذه ألّفت فيما بعد الفنّ الملوكي لذكر ابن داوود ، وهذه العبارة أصبحت في القرن الثامن عشر

مرادف للماسونية لأن الماسون العصريين يدّعون أن البنّاء محدود روحياً . مستندين على الأسطورة الحكيمة للملك في التوراة ، لذلك يهدفون إلى بناء هيكل غير مادي للإنسانية المقبلة ، مثقّفة فكرياً وحكيمة في إطارها الشامل » .

فيما بعد ، المؤلّف نفسه غيّر وجهة نظره ، وكتب : « إن الأسطورة تعود بالماسونية المنسّقة إلى عهد الملك سليمان . الفن المطبّق من الماسون أصبح هكذا فنّ ملوكي ، ومنه العديد من الملوك أصبحوا يهتمّون بمثل باني أول هيكل في أورشليم » .

« هذه الفكرة كانت منتشرة عند البنائين القدامى المهنيين الذي لديهم فكرة عالية للفن المعماري التطبيقي ، متوارياً عن أنظارهم ، أن فنّ البناء هو شامل ، وهو فكري وأخلاقي . غير أنه فنّ دقيق للعمارة الكونية التي تثبت الفنّ المثالي أو الفنّ الملوكي » .

ولا يمكننا أن نجاري مؤلّفنا عندما يصبح صدى العبارات المبتذلة العمومية كهذه : « تناقض الفنّ الملوكي بالفنّ الكهنوتي . وهذا الأخير يهذّب أخلاق الجماهير بالخوف الشديد المنتقم الرباني . ويستعين بالوسائل التي تؤثّر على سذاجة العقول الغليظة ، التي هي خطر أن تحرمهم من الحماية والوصاية » .

عرف التاريخ القديم « الفن المقدّس أو الإلهي » الذي كان بنفس الوقت الكيمياء والخيمياء ، عندما كانت هذه العلوم تتداخل ، والكيمياء كانت بعدما أصبحت ما هي عليه الآن ، أي غصن ميت لأنه فقد كل رابط في الجذع الحي من الشجرة . (وهذا الوضع يطبّق

على التنجيم وعلم الفلك ، وهذا الأخير لم يبق منه إلاّ الهيكل العظمي المجرّد من اللّحم من علم الكون) . ويمكننا أن نقبل أن العبارتين « الفنّ المقدّس » و « الفنّ الملوكي » اندمجا ما دامت الصفة « ملوكية » مخصصة للذهب الذي هو ملك المعادن . مهما يكن ، إن تسمية « الفنّ الملوكي » (القليل الديمقراطية في عيون البعض) ، مطبّق في الماسونية ، ويشير كذلك على تفوّقه ويُظهر الوقت للعمل الذي يجب أن يكتمل للوصول إلى كمال الفنّ .

٢. أسطورة حيرام

كل الرمزية للاختبار المُساريّ لدرجة أستاذ تتمحور حول أسطورة حيرام ، أو بدقّة أكثر حول اغتيال حيرام .
إننا نعرف الخطوط الكبرى لهذه الأسطورة :
ثلاث شغّالين أرادوا أن ينتحلوا امتيازات الأساتذة ، انقضّوا بالتتابع على حيرام ، وجرحوه والأخير منهم قتله . ثم دفنوا الجثة وزرعوا غصن أكاسيا في التراب المنقوب حديثاً لإخفاء معالم الجريمة . أما الشغّالون الآخرون ذهبوا ليبحثوا عن حيرام فاكتشفوا جثّته بفضل غصن الأكاسيا .
سنفصّل لاحقاً التفاصيل أو التغييرات لهذه الأسطورة .

ما هو مصدرها ؟ يجيب المؤلّف « فورستييه FORESTIER في كتابه : علم الباطنية والماسونية الإيكوسية سنة ١٩٢٨ – صفحة ١٥٤ – ١٥٥ L'OCCULTISME ET LA FRANC MAÇONNERIE ECOSSAISE 1928 – P. 154 - 155 » .

« مؤلّفيها ، الذين بقوا مجهولين ، استعانوا بكل وسائل مخيّلتهم وعلمهم الواسع والمتفكّك بنفس الوقت وأنتجوا مسخاً غامضاً والأبحاث المتقنة التي لم تتوصّل إلى اكتشاف أصولها الحقيقية » .

« إن اللّغز وعدم الترابط لهذه الرمزية يختفي ، يقول ألبير لانطوان (في كتابه الماسونية الإيكوسية في فرنسا – صفحة ٥٩ – ٦٠ ALBERT LANTOINE – LA FRANC MAÇONNERIE EN FRANCE P. 59 – 60) .

ليؤخذ بعين الاعتبار اقتراحي : إننا نفهم أن الأصل لا يمكن أن يكتشف بواسطة نصوص ، وأنه يفلت من الأبحاث الدقيقة . إن (الأهسمول والليلي والوارتون – AHSMOLE – LILLY – WHARTON) وغيرهم الذين كانوا مرتبطين مع فرع الستيوارتيين (STUARD ١٣٧١ – ١٧١٤ أسرة مالكة حكمت اسكتلندا وبريطانيا العظمى ، وخلفتها في الحكم أسرة هانوفر HANOVER وذلك بعد وفاة الملكة آن ستيوارت ١٧١٤) والذين عانوا من هبوطهم ، في دينهم أم في ثروتهم ، أرادوا أن يعبّروا عن شعورهم تحت مظهر رمزي . في السيادة ، اقترنوا لهمهم بترميم سياسي ، ومعرفتهم الأسطورية وعقليتهم الباطنية . وهكذا تفسّر التلازمات التي أثبتت من قبل الكثير من المعلّقين ، ما بين أسطورة حيرام (حيرام الذي بواسطة

« أولاده » ينبعث من بين الأموات) ، وسيّئ الحظ تشارلز الأول الذي قوّمه انتقام أبنائه . (تشارلز الأول ملك إنكلترا واسكتلندا وإيرلندا ١٦٠٠ – ١٦٤٩ وفي الحرب الأهلية بين الملكيين والبرلمانيين هزم الملك واستسلم وعُدِم) .

هذا الرأي الذي يجعل في أسطورة حيرام تخيّل سياسي لا يمكن أن يُحفظ ، ونأسف خاصةً أننا نقدّر الأبحاث العالية للعلاّمة « ألبير لانطوان » فيما يخص تاريخ الماسونية . وهذا المؤلّف يعتقد تأسيس أطروحته بقوله : « نلاحظ أنه في طقس الدرجة الثالثة ، إن شيئاً يذكر « الصنعة » وأنه يلزم بكل دقّة الفكر للشارحين في المخيّلة لنرى الامتداد للاختبار المُساريّ للمبتدئ وللشغّال – التي هي الدرجات الوحيدة التي تطبّق عندما أُنشئ المحفل الأكبر الإنكليزي ». ثم يزيد في شرحه عامل مصحّح ذو أهمية : « فلنتفاهم . إننا لا ندّعي أن الإيكوسيين كانوا أول من نمّقوا طقسهم بهذه الصورة الجميلة لهيكل سليمان الذي بني بواسطة المعماري حيرام ، لجعله مثالياً لطموح حرفيي المستقبل . إن العمليين استعملوه ، وبالتأكيد حتى أعضاء الجمعيات ، ورابطات الحرفيين في الماضي البعيد ، أي في القرن السابع عشر ، أثاروا وشايات من جمعية مذبح القربان المقدّس والمراقبة القلقة للدولة » .

و « راغون » الذي يبدو إنه لم يفهم أهمية الاختبار المُساريّ لأسطورة حيرام ويظهره بصورة علانية بالنص التالي : « إن قطع رأس الملك تشارلز الأول يتوجب الانتقام له ، ولكي يصلوا إلى أن

يتعارفوا ، اقترح مناصريه درجة سمّيت فارس الهيكل (TEMPLIER) حيث موت البريء « ج – ب – مولاي » ينادي الانتقام . (أهسمول AHSMOLE) الذي كان يشارك نفس الإحساس السياسي ، عدّل بدرجة الأستاذ واستبدلها بالعقيدة المصرية ، التي كانت تكوّن وحدة شاملة مع الدرجتين الأولى والثانية ، وحجاب توراتي غير كامل ومتفاوت ، كما كان مفروض من الطريقة اليسوعية (JESUITIQUE) والحروف الأولى للكلمات المقدّسة لهذه الثلاث درجات تكوّن اسم الأستاذ الأعظم لفرسان الهيكل . ولهذا السبب فإن المُسارّيين منذ ذلك الحين نظروا إلى درجة أستاذ كعنصر مكمّل للماسونية وكدرجة يجب إعادة النظر فيها » .

لذلك فكّر « راغون » و « ألبير لانطوان » أولاً بالانتقام لتشارلز الأول ، ثم نظروا لدرجة الأستذة كدرجة فرسان الهيكل مخبأة تحت حجاب توراتي ويسوعي . أما « راغون » فنجح بتجميع أكبر عدد من الأخطاء وبأسطر قليلة .

إن أسطورة حيرام شبيهة بخفايا العهد القديم وتبقى ذات فائدة لا تقبل الجدل . يزعم أن هذه الأسطورة « تألّفت » في سنة ١٧٢٥ ، لأنه لا إثبات يذكر هذه الأسطورة قبل هذا التاريخ ، نحن على علم به . ولكن هذا ليس برمز إنما بطقس ، يمكن أن يكون معتمد ولكنه أكيد مُسارّيّ .

∴

إن أسطورة حيرام والتي يعيشها المحتفى به تمثّل حيرام بالذات في سياق الاختبار المُسارّيّ ، وهذه المأساة الرمزية التي تجعل من الماسونية الحالية ليس فقط إحياء أسرار العصور القديمة ، بل استمرارية هذه الأسرار .

« آبولي – كاتب لاتيني ١٢٥ – ١٨٠ م. APULEE » في كتابه الحادي عشر عن (التحوّل METAMORPHOSE) يبدو وكأنه يصف اختباره المُسارّيّ ويقول : « إن الكاهن الكبير يبعد الدنيويين ، وبعدها يلبّسني ثوباً من الكتّان الخام ويأخذ بيدي ويقودني إلى أقصى مكان في المعبد . لا بدّ أخي القارئ بدافع الفضولية أنك تودّ الاطلاع على ما قيل وما نفّذ . كنت أقوله لو كان مسموحاً لي أن أقوله . إنما هذا يكون جريمة للأذن التي تسمع وللفم الذي يبوح به . إذا كان هذا الإحساس ديني قد أنعشك ، أود أن أتورّع وأقلقك . إسمعوا وعوّا ، لأن ما سأقوله هو حقيقي . لمست أبواب الموت ، وقدمي وطأت عتبة بروسربين (PROSERPINE آلهة رومانية) وفي العودة اجتزت المقوّمات . وفي عمق اللّيل أبصرت الشمس تشعّ . آلهة الجحيم وآلهة كوكب السماء (EMPYREE) ، كلهم رأيتهم وجهاً لوجه . هذا كل ما يمكنني أن أقوله ، ولن تكونوا مطّلعين أكثر » (من كتاب مترجم إلى الفرنسية PETRONNE , APULEE , AULU – GELLE (– M. NISARD 1842 .

علينا أن نلاحظ أن « الموت الرمزي » موجود ليس فقط في أسرار العصور القديمة ، بل أيضاً في الطقوس المَساريّة عند البدائيين (PRIMITIFS) .

يقول (جوبليه دالفيلا GOBLET D'ALVIELLA مؤلّف كتاب : أسس درجة الأستاذ صفحة ٤٣) :

« إن أغلب المؤرّخين الماسون اكتفوا حتى الآن ببوادر أسطورة حيرام وبأنها منبثقة من الأسرار الدينية للعصور القديمة . وأودّ هنا أن أتقدّم بخطوة ، بسؤالي في نفس الموضوع للطبقة المتعمّقة من الإنسانية التي نعتت ، وبصواب ، إنها بدائية لأننا نكتشف أنه في حالة النشأ والخشونة إن العوامل ، عند الشعوب الحديثة ، تكون الحضارة متميّزة في التطوّر للأديان والفلسفات . وهنا أتكلّم عن الغير حضاريين ، والذين يمثّلون الحالة البدائية للإنسانية والحالة النفسية التي مرّت على الإنسانية كافة في أحدى مراحل تطوّرها » .

« في كافة أنحاء العالم ، إن الشعوب غير المتحضّرة تمارس أسرار حقيقية لا يمكن أن ندخل فيها إلاّ بواسطة اختبارات مُساريّة . وهذه الأسرار تكمن فيها دائماً مشاهد إيمائية (MIMEES) تمثّل مغامرات في موطن الأرواح . والعامل المأساوي الأكثر تكراراً يكون في التظاهر بالموت ويليه انبعاث . وبعض الأحيان المرور في الموت يمثّل باستعمال التابوت ، وفي الحالات الأخرى يمثل في السفر إلى موطن الظلمات ، ويتبعه الرجوع إلى الأرض أو القبول في موطن الآلهة » .

« في أوستراليا وفي جنوبي الغال الجديدة (NOUVELLE - GALLES) عندما يصل الأولاد إلى عمر النضوج يختبرون مُساريّاً في رجوليتهم ، يأتي شخص ملثّم ويأخذهم ويتظاهر أنه سيقتلهم ، ثم يعيدهم إلى الحياة باقتلاع سنّاً منهم ... وهكذا أيضاً في مجموعة جزر الفيدجي وفي الكونجو في أفريقيا ، وعند الهنود الحمر في فرجينيا إلخ ... » .

لا يمكننا أن نعبّر عن قيمة « الاختبار المُساريّ » للطقوس والرموز أكثر من هذا التعبير . وأن أسطورة حيرام الذي يعيشها المحتفى به في درجة الأستاذ في الماسونية ، تكمّل وتنهي الاختبار المُساريّ للدرجات الثلاثة الأولى .

∴

الواقع أنه لا نجد في أي مكان في التوراة ذكر قبل حيرام ، ونلاحظ أيضاً أنه يوجد ثلاثة أشخاص باسم حيرام هم : حيرام من صور وحيرام صانع النحاس وحيرام زعيم عشيرة . ونجد أيضاً اسم أدونيرام قيّم سخرة .

وهذه هي النصوص :

« فأجاب حورام ، ملك صور ، برسالة إلى سليمان يقول : « إن الرّب ، من حبّه لشعبه ، أقامك عليه ملكاً » . وأضاف حورام : « تبارك الرّب إله أسرائيل ، صانع السموات والأرض ، الذي أعطى داود الملك ابناً حكيماً . صاحب فهم وبصيرة ، ليبني بيتاً للرّب وبيتاً

لملكه ، والآن فقط أرسلت رجلاً ماهراً صاحب فهم ، اسمه حورام أبي ، وهو ابن امرأة من بنات دان . وأبوه رجل من صور ، عالم في عمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والأرجوان والبرفير البنفسجي والكتّان الناعم والقرقز وصناعة كل نقش ومخترع كل مشروع يعرض عليه ، مع صنّاعك وصنّاع سيدي داود أبيك » (سفر الأخبار الثاني ٢/١٠ – ١١ – ١٢ – ١٣) .

وهذا نصّ آخر بدأ يشير إلى حيرام صانع النحاس : « وأرسل الملك سليمان فأتى بحيرام من صور ، وهو ابن أرملة من سبط نفتالي ، وأبوه رجل من صور ، صانع نحاس ، وكان ممتلئاً حكمةً وفهماً ومعرفةً في عمل كل صنع من النحاس . فأتى إلى الملك سليمان وعَمِل كل عمله » . (سفر الملوك الأول ١٣/٧ – ١٤) .

من جهة أخرى ، نصّ بتعداد زعماء العشائر ومنهم اسم حيرام : « وهذه أسماء زعماء عيسو بعشائرهم وأماكنهم وأسمائهم : الزعيم تمناع والزعيم علوة والزعيم يتيت ، والزعيم أهليبامة والزعيم إيلة والزعيم فينون والزعيم قناز والزعيم تيمان والزعيم مبصار والزعيم مجديئيل والزعيم عيرام . هؤلاء زعماء أدوم بحسب مساكنهم في أرض ملكهم . وهو عيسو أبو الأدوفيين » . (سفر التكوين ٣٦/٤٠ – ٤١ – ٤٢ – ٤٣) .

وأخيراً سفر الملوك الأول (٦/٤) نقرأ : « وأدونيرام بن عبدا المشرف على السخرة » . ونقرأ في (٢٧/٥ – ٢٨) : « وسخّر الملك سليمان من كل إسرائيل ، وكان المسخرون ثلاثين ألف رجل ،

وكان يرسل منهم إلى لبنان عشرة آلاف في الشهر مناوبةً ، فيكونون في لبنان شهراً وفي بيوتهم شهرين . وكان أدونيرام قيّماً على السخرة » .

ج. برسيغو (G. PERSIGOUT) يلاحظ : « إن اسم حيرام يحتوي على العديد من الأسماء في التوراة : حورام (سفر الأخبار الثاني ٢/١٠) وحيرام (سفر الأخبار الأول ١٤/١) يدلّ على ملك صور ، وبالعكس فحيرام المعماري (سفر الملوك الأول ٧/٤٠) واسمه ولاحقه « أبي » (سفر الأخبار الثاني ٢/١٢ – ١٣) أو « أبيف » (سفر الأخبار الثاني ٤/١٦) ... وهذه اللاّحقة تدلّ على السلف ، أب الملك أو الأب المربي . وبالحقيقة الأب يسمى (ab) وأبي هو (abi) . « حيرام أبي هو مسمّى به كحمورابي ... والنهاية (رام) كحيرام أو حورام يعني « يكون مرتفع » وفي الخلاصة يمكننا أن نميّز الشخصيات التالية فيما يعود لاسم حيرام :

١. حيرام ، المعماري . في العبرانية حيرام تعني (حياة مرتفعة) ، وحورام (سليم النيّة) ، وحيرام أبي (حيرام والدي) ، وأدون – حيرام (سيدي حيرام) . وكان أبو حيرام رجل من صور وأمه امرأة من عشيرة دان ومن نفتالي .
٢. حيرام ، ملك صور ، ابن أبشار ، معاصر وحليف الملك داود وسليمان .
٣. أدونيرام كان القيّم والمشرف على السخرة .

هذه القضية التي تعني التحديد « الحقيقي » لحيرام في الماسونية ، كما يظهر ، أنها معقّدة جداً . وفتحت جدالات عديدة وسبّبت أنواع انشقاقات . وحوالي سنة ١٧٤٤ ولدت الماسونية الأدونيرامية (MAÇONNERIE ADONHIRAMITE) التي أسست الأستذة على رئيس العمال في الهيكل : أدونيرام أو أدون حيرام .

قبل أن نقفل هذه الأسطر التي تتكلم عن اسم حيرام ، نلحّ مع « فيلوم وبرسيفو » إلى إلغاء تدوين « حيرام أبيف » لأن هذا الاسم خالي من المعنى .

∴

لقد أعطينا أعلاه الجزء المهم من أسطورة حيرام ، والآن نسرد هذه الأسطورة كما كتبها « راغون » في كتابه لدرجة الأستاذ : « كان عندنا معماري ماهر ، أستاذ محترم ، يمتلك الصفات والمواهب التي تكوّن الكمال ، وكان اسمه حيرام . قادم من بلد حيث ولد النور فيه ، وكان يعمل منذ سبع سنوات لبناء هيكل كان يجب أن يجمع فيه كل البشر في ذات العبادة ، والتي هي الحقيقة . كان ينسّق الأقسام بفنّ وحكمة ، ويقوم كل صباح بمراقبة الأعمال . وكان عمّاله عديدون فقسّمهم إلى ثلاثة درجات ، المبتدئين ، والشغّالين والأساتذة ، وكان لكل درجة كلمة مرور ، لكي يستطيعوا أن يقبضوا أجرهم التدريجي : فكان المبتدئون يقبضون على العامود (ج ∴ J) والشغّالون على العامود (ب ∴ B) ، أما الأساتذة كانوا يقبضون في

غرفة الوسط . وكانت الأعمال تقارب النهاية ، عندما ثلاثة شغّالين غير راضين من أجورهم وقليلي الصبر من أنهم لم يُرقّوا إلى درجة أستاذ ، خطّطوا أن يأخذوا كلمة السّر للأستاذ بالقوة ، وكانوا يعلمون أن كل يوم عند الظهر ، وعند غياب العمّال ، كان حيرام يزور البناء، فاتفقوا لتنفيذ مأربهم أن يتربّصوا عند أبواب الهيكل الثلاث لمعلّمهم حيرام . وعندما تقدّم حيرام لبوابة الجنوب ، اعترضه الشغّال الأول وطلب بلهجة التهديد كلمة الأستاذ ، فأجابه حيرام أنه لا يمكنه بهذه الطريقة الحصول عليها وعليه أن ينتظر بصبر إنهاء مدّته . فكان الشغّال غير راضٍ من الجواب وضرب المعلّم بالمسطرة التي لم تصل إلاّ لعنقه ، فهرب حيرام إلى الباب الآخر . وهناك وجد الشغّال الثاني الذي طلب منه نفس الطلب ، وكان الجواب نفسه كالأول فضربه بالزاوية الحديدية على صدره الأيسر ، فهرب حيرام مترنّحاً نحو الباب الثالث حيث الشغّال الأخير الذي طلب منه نفس طلب الشغّالين الأول والثاني ، وبعد أن تلقّى ذات الجواب سدّد ضربته بالمطرقة على جبينه ضربةً قوية فتمدّد مقتولاً . وبعدها اجتمع القتلة وسألوا بعضهم البعض عن كلمة الأستاذ ، وبعد أن تأكدوا أنهم لم يستطيعوا أن يحصلوا عليها ، يئسوا لأنهم اقترفوا جريمة غير مفيدة، ولم يفكّروا إلاّ بإخفاءها كي لا يتعرّف عليها أحد، ونقلوا الجثة وأخفوها تحت الأنقاض ، وفي الليل ، نقلوها خارج المدينة ودفنوها في غابة ، زارعين على القبر غصن أكاسيا (أقاقيا أوسيط) . غياب حيرام لن يتأخر عن فضح هذه الكارثة بين العمّال

شغّالين لأنهم تغيّبوا عن الحضور . عندها اجتمع الأساتذة في غرفة الوسط التي كسوها بالأسود ، علامة الحزن ، وبعد أن تركوا الحرية للتعبير عن ألمهم وحزنهم ، أخذوا القرار أن يباشروا بالتفتيش على جثة معلّمهم السيئ الحظ ، لكي يتمكّنوا من القيام بجنازة تليق به إذا كان مقتولاً . لذلك أرسلوا تسعة أساتذة فألّفوا ثلاث مجموعات من ثلاث أساتذة متتالية ليفتّشوا عليه » .

في هذه الرواية نسجّل بعض النقاط وبعض الفروقات .

علينا أن نذكر ، بالفعل ، أنه في بعض الطقوس ، إن أول شغّال مسلّح بالمسطرة كان يودّ ضرب حيرام على رأسه فانحرفت وجاءت الضربة على كتفه الأيمن ، والثاني حاملاً مخل فأصابه خلف عنقه .

إن المحتفى به يمثّل حيرام ، وأن طقس « راغون » (في كتابه : الرأي المستقيم للماسونية) يبدو لنا مناسب في رمزيته من خلال عدّة تميّزات في الأسطورة . إن الموت الثلاثي هو جسدي وعاطفي وعقلي وممثل بالعنق والقلب والنخاع .

نلاحظ ما يلي : إن المسطرة (عامل الدقة في التنفيذ) يتّجه خطأً ويصيب العنق الذي هو مكان مركز الإرسال الشفهي والفتحة التي تستقبل الهواء والغذاء (برانا PRANA) ، والزاوية (عامل الاستقامة في التنفيذ) تصيب القلب مركز الروح (الانفعالية) والتأثيرية ، والمطرقة (عامل الإرادة في التنفيذ) تضرب الجبهة مركز العقل .

بعد هذا « الموت الثلاثي » ، ينبعث حيرام في طقس « راغون » الماسوني ، حتى عند بعض المؤلّفين ، يعبرون عن عدم تفهّمهم بما

يلي : « ملامتين هامتين تحت اسم غير مهذّب : سخافة ، تطبّق عند منح الدرجة بصواب :

١. إن الإنسان يكون حيّ بعد ، ولو كان مطموراً بالتراب منذ أربعة وعشرين ساعة ، وكان في حالة متقدّمة من الانحلال .

٢. إن المحترم يأخذ الدور الأكثر سوءاً للشغّالين ، والذي يقتل حيرام ، مع أنه يدعو إلى الازدراء والحقد على هذا القاتل .

ولتدارك هذه الشائعات ، كان يجب أن تسرد ولا تنفّذ الأسطورة المضافة لحيرام ، أو أي شخصية مستعارة من الهياكل المصرية التي لم تعد موجودة أية محفوظات لكي تكذّب ابتكار الرواية .

إذاً ، الموت و « الانحلال » هما مبهمان للتوطئات الضرورية والتي تعلن للمُريد أنه على الطريق السليم . إن الأسطورة لحيرام ، متناقضةً لـ « راغون » كما ذكرناه سابقاً تظهر الطابع المُساريّ العالي .

وهذه المرّة « راغون » يقول ، وهو على حقّ : « كل المراسم توصلنا إلى العلم أن النفاق والجهل والطموح هي ثلاثة بلايا يختلّ فيهم النظام وهي سبب مصائب البشر .

إنه ملائمٌ جداً أن يعطى لدرجة أستاذ كل التفسيرات الأخلاقية والفلسفية الممكنة ، ولكن لنحافظ قبل كل شيء على الطابع المقدّس الذي يأخذ من الطبيعة الرمزية وهكذا تبقى كالطبيعة أبدية . إن هذه الدرجة البهية ، كما سابقاتها ، لن تكون مفهومة إذا حدّدناها

وحصرناها بنهاية مأساوية وفي قصة باردة وغير منطقية ، بدلاً من أن نضعها موضع التنفيذ ، كالمُساريين القدماء لميترا ، والمصريين اليونانيين » .

ونلاحظ هنا أن المؤلّف « راغون » ، يخشى التناقضات لأن في كتابه : الطقس لدرجة أستاذ ، يقول تماماً عكس ما يكتب في كتابه : الرأي المستقيم للماسونية .

. . .

شرح « راغون » « فلكياً » أسطورة حيرام . وهذا الشرح استمال العديد من المؤلّفين ويسرده بكامله :

« إن الشمس ، عند الاعتدال الصيفي (٢١ حزيران) يثير عند كل الذين يتنفّسون أناشيد الشكر ، إذا ، حيرام ، الذي يمثّله يمكنه أن يعطي من يستحقَ الكلمة المقدّسة ، أي الحياة . وعندما الشمس تنزل في المظاهر السفلية ، يبدأ صمت الطبيعة ، هنا حيرام لا يستطيع أن يعطي الكلمة المقدسة للشغّالين الذي يمثّلون الثلاثة أشهر الجامدة من السنة » .

« إن الشغّال الأول مفروض أن يضرب حيرام ضربة خفيفة بمسطرة من ٢٤ بوصة ، وهي تعبّر عن الأربع وعشرين ساعة لكل دوران يومي : أول توزيع للوقت ، الذي بعد ارتفاع الكوكب الكبير التوقع بفتور لوجوده ، بضربه أول ضربة » .

« أما الثاني فيضربه بزاوية من حديد ، رمز لآخر فصل ، ومصور بالتقاء الخطين اللذين يقسمان الدائرة البرجية إلى أربعة أقسام متوازية وفيه المركز يرمز لقلب حيرام حيث يجتمع رأس الأربع زوايا التي تصور الأربع فصول : ثاني توزيع للوقت الذي في هذا الزمن يوجّه ضربة أكبر للوجود الشمسي » .

« أما ثالث شغّال يوجّه له ضربة مميتة بدقّة على جبينه بالمطرقة ذات الشكل الدائري التي شكلها يرمز إلى كامل دوران السنة : ثالث توزيع للوقت الذي يكمل به الدورة السنوية لوجود الشمس المحتضرة » .

« من هذا الشرح ، يقول « راغون » ، نستنتج أن حيرام ، سبّاك المعادن ، أصبح بطل الأسطورة ، مع لقب معماري ، هو أوزيريس (أي الشمس) للمُسارّية الحديثة ، وأن إيزيس أرملته هي المحفل ، شعار الأرض (بالسانسكريتية : LOGA ، أي العالم) ، وأن هوروس ابن أوزيريس (أو النور) وبنفس الوقت ابن الأرملة أي أنه الماسوني أو المُسارّي الذي يسكن في المحفل الأرضي (أي ابن الأرملة والنور) .

من غير المجدي أن نغوص بنقاش لهذا الشرح الذي لا يجب أن يفاجئنا : لأن « راغون » (المولود سنة ١٧٨١ والذي توفي سنة ١٨٦٢) كان معاصر دوبوي (DUPUIS) الذائع الصيت (ولد سنة ١٧٤٢ وتوفي سنة ١٨٠٩) . ونعلم أن في كتابه الشهير : جذور كل

العبادات ، الذي طبع سنة ١٧٩٤ (في عهد ثالث جمهورية) ، كل الرموز كانت مشروحة باتجاه خاص بعلم الفلك .

∴

إن الثلاث شغّالين « السيئين » و « قتلة » حيرام يحملون أسماء جدّ مغايرة :

- جوبيلا ، جوبيلو و جوبيلوم (JUBELAS , JUBELOS , JUBELUM) المنبثقة من (JUBILATION) أي ابتهاج .
- جيبلون ، جيبلاس و جيبلوس (GIBLON , GIBLAS , GIBLOS) المنبثقة من (HOMMES DE GEBEL) أي نحّاتي الحجر ...

إن الثلاث شغّالين المذكورين يمثّلون ، كما تقول الطقوس : الجهل ، والنفاق أو التعصّب ، والطموح . هذه الصوتيات كانت توجّه أسطورة حيرام إلى رمزية أخلاقية وكانت هكذا تحدّد التعليقات وتمنع تصورّ التفوّق الرمزي .

وفي الحقيقة ، وكما قلنا سابقاً ، إن الثلاث شغّالين يحرّرون حيرام (المُسارّي) من المستوى المادي والمستوى النفسي والمستوى العقلي وهذه المستويات الثلاثة هي معتبرة من العالم الدنيوي . أما حيرام بعث إلى الوجود على المستوى الرباني : إذ ذاك يكون حقاً « أستاذاً » .

٣. الأكاسيا (السَنط)

لقد روينا أسطورة حيرام لغاية اللّحظة التي ضرب فيها حتى الموت وخرّ قتيلاً . في الطقس الماسوني ، المحتفى به هو عندئذٍ ممدّد في التابوت (أو الناووس ، مشابه لقبر أوزيريس ...) مغطّى بشرشف أسود وغصن من الأكاسيا موضوع على الشرشف .

لقد رأينا سابقاً أن غصن من الأكاسيا زرع على قبر حيرام بواسطة الثلاثة شغّالين « القتلة » . أعطى « ويرث » في كتابه (الأستاذ) رواية خاصة لاكتشاف الجثّة من الأساتذة الذين ذهبوا للتفتيش : « عندما اجتمع الأساتذة بعد التفتيش وكانوا منهكين من التعب وكانت عزيمتهم قد خارت لأنهم لم يجدوا الجثّة ، هنا ، بدا عليهم الأمل عندما أخبرهم أحدهم أنه عندما تعب أراد أن يتعلّق بغصن أكاسيا وجده ، فاندهش عندما رأى الغصن يطلع من التراب بسهولة لأنه كان مغروساً حديثاً في أرض منقوبة حديثاً » .

مهما كانت الظروف التي اكتشف فيها غصن الأكاسيا على قبر حيرام علينا نحن فحص هذه النبتة ورموزها .

∴

(فرنان شابوي FERNAND CHAPUIS مؤلّف نشرة المشاغل العليا – سنة ١٩٣٨ صفحة ٥٥ إلى ٥٨) ، يكتب عن الأكاسيا بالنسبة إلى أصل الكلمة زراعياً وتاريخياً ما مختصره :

« إن كلمة (ACACIA) هي المضاد للرذيلة وهي عربون الحظ الجيد، وبواسطة فضائلها تحمي الإنسان » .

« الأكاسيا هي نبتة من عائلة القرنيات الميموزا . توجد في المناطق الاستوائية وأغصانها فيها شوك ، وأزهارها بلون الأصفر وصغيرة ولها رائحة مجمعة كالعناقيد .

أنواع الأكاسيا هي ٤٠٠ ، وتنمو في أوستراليا والهند وأميركا الجنوبية وأفريقيا الاستوائية ، ومن البعض منها يستخرج الصمغ العربي ، ومن البعض الآخر نستخرج المواد لدباغة الجلود ، ويستخدم للحُمّى (FEBRIFUGE) ، وبعضها يستخدم في النجارة ونجارة الأبنوس .

وبعض أنواعه يعطي زهرة بيضاء منشأها أميركا ودخلت فرنسا سنة ١٦٥٠ . إن نوع الأكاسيا كالمغلوطة « روبيبا » من فصيلة القرنيات والكن تحت اسم الميموزيات وليس الرمزيات (PAPILLONACEES) . هي شجيرات أليفة للجفاف وتنمو في وسط الصحراء السورية ولها أوراق قاسية ودائمة الاخضرار .

أما فيما يتعلَّق بميموزا حسب علماء الزراعة ، فهي لا تتضمن إلاّ نوعاً واحداً واسمه « ميموزا بوديكا » وإنه حساس إذ تتكمش وريقاتها على ذاتها بمجرد لمسها » .

ويقول « راغون » في كتابه عن درجة الأستاذ بالصفحة ٢٠ : « إن المصريين كانوا ينظرون إلى الأكاسيا كشجرة مقدّسة . والعرب في القدم كانوا يحترمون هذه الشجرة وخاصة قبيلة « غالفون » . في

العبادة لقبيلة « كورست » وبأمر من النبّي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) قام خالد بقلع هذه الشجرة من جذورها وقتل كهنتها .
باختصار ، لقد كانت الأكاسيا لدى الأقدمين شعاراً شمسياً كأوراق اللّوتوس ... أوراقها تتفتّح مع أشعة الشمس الشارقة وتنكمش عند اختفائها في الأفق ، زهرتها مغطاة بالزغب الناعم وتبدو كأنها تقلّد الدائرة المشعّة لهذا الكوكب .
إن المؤلّف « تيال » في كتابه تاريخ المقارنة للديانات القديمة (١٨٨٢) يكتب ما يلي : « على تابوت محمول من أربع كهنة حيث يخرج منه غصن من الأكاسيا ، نقرأ : « أوزيريس يندفع » . كان ذلك يمثّل أن الحياة الأبدية ترمز إلى زراعة مدفونة في الأرض ثم تنبعث في شجرة . هذا الحديث جدير بالملاحظة أن يكون تابوت العهد مصنوعاً من خشب الأكاسيا » .
ويجب علينا أن نلاحظ أيضاً أنه في التوراة ، صنع موسى تابوت العهد ومائدة الخبز المقدس ومذبح المحرقات من خشب الأكاسيا (السّنط) مطليّ بالذهب أو النحاس (٣٧ و ٣٨ من سفر الخروج) ، وهذا يظهر ملياً أن هذا الخشب كان معتبراً كمقدس في هذا العهد خصوصاً وحسب التقديرات أنه غير قابل للتفسّخ والتعفّن .
« ف. شابوي » يكتب : « إن الجمعيات واتحاد المهن كانوا قد تبنّوا نبتة أو زهرة كشعار . حتى في أيامنا هذه الترنجان ، والزنبق والنسرين ليست طابع أو اتجاه سياسي محدد ؟ وأيضاً الأكاسيا النبتة المقدّسة للماسون لا تعتبر كالريحان للمُساريين القدماء ، والهدّال

(GUI) لكهنة السلت ، والشمشاد للمسيحيين ، والغصن الذهبي للحكاية » .



FIG. 106.
Le « Mimosa », vrai acacia.

إذا تفحّصنا ليس بدقة النبتة المسماة « ميموزا » يمكن أن تسمى « الغصن الذهبي » لأنها تحتوي على عدّة زهرات صغيرة صفراء . ولكن « فرازر » يقول أن « الغصن الذهبي » يجب أن يكون غصن الهدّال . ويبقى لنا أن نسأل لماذا سمي « الغصن الذهبي » ؟ (صورة رقم ١٠٦) .

إن اللّون الأصفر المائل إلى البياض لا يمكنه أن يكون سبب التسمية . يمكن أن تكون التسمية مشتقّة للأصفر الجميل الذي يأخذه الغصن عندما يقطف ويحفظ عدّة شهور ، عندها لا يبقى الصغار في الأوراق ولكن يمتدّ إلى الأغصان ، عندها تعطى النبتة شكل الغصن الذهبي . لذلك الفلاحين في بريطانيا الفرنسية يعلّقون الهدّال على مداخل منازلهم . وفي شهر حزيران هذه الباقات تعطي لمعان الذهب لأوراقها .

للكاتب (لانكو-فيلان LANCO - VILLENE) مؤلّف : « حكاية الزنبقة - ١٩١١ صفحة ١٦١ » ، « الوزان » الذي يعرّف عنه بالمقارنة إلى « زهرة الزنبقة » يمكن أن يكون « الغصن الذهبي » المشهور ، ويقول : « لست بعيداً من الاقتناع أن الصين الشمالية

القديمة كانت تستعمل الوزّال (LE GENET) بعدّة استعمالات مقدّسة وأنهم كانوا يستعملونه في الجنازات لكفن الأموات ، لأنهم يتكلّمون في (التّشاولي TECHEOU – LI) عن النبتة الصفراء (نبتة تو TOU) التي كانت تستعمل خاصة لهذا السبب . كانوا يستعملون هذه النبتة لأنها تحفظ الرطوبة طويلاً ولأنها طريّة ، وكانوا يفرشون منها التابوت قبل إنزاله في القبر ، وكان موظّف خاص (تشانج تو TCHANG – TOU) مكلّف أن يجمع هذه النبتة مع زهورها الصفراء في موسمها ...

إن الأسباب التي يتذرّع بها (لانكو–فيلان LANCO – VILLENE) بعيدة عن أن تكون قطعية ، ولكن هذا يثبت لنا ، مرّة أخرى ، الارتياب الذي يسيطر عندما نودّ أن نفتّش عن مصادر الرمز . وهنا علينا أن نعرف كيف يمكننا أن نمسك خيط النجاة الذي يقودنا بالطريق الأكثر ضمانة لفهم الرمز الذي نريد توضيحه .

كيف اتّجهت الماسونية الحالية إلى تبنّي الأكاسيا ؟ وحتى لو تبعنا القاموس الحديث للاشاتر (LACHATRE) الذي يرجع إلى أصل الماسونية وصولاً لأقدم العصور وأن الأكاسيا استبدلت في الماسونية السليمانية ، بالصفصاف في الماسونية الكلدانية ، وباللوتس أو وردة النيل في الماسونية المصرية ، وبالريحان في الماسونية اليونانية وبالسنديان في الماسونية لكهنة السلت .

« يمكننا طرح هذا السؤال ، خاصة أن بعض الطقوس في القرن الثامن عشر لم يذكروا غصن الأكاسيا ويمكننا التأكيد في الأصل أن

هذا الرمز كان غريباً للماسونية . وبالفعل ، إن الطقوس القديمة لا تتكلّم عن الأكاسيا ، وبعض الصيغ المعروفة هي غائبة . « المنظّم للماسوني – لهرودوم – ٥٨٠١ » يتكلّم عنها . فقط بعض من هذه الطقوس المطبوعة أو المكتوبة كانت تحتوي على لوحات مرفقة ، حيث لوحة المبتدئ والشغّال وحتى التي تخصّ محفل الأستاذ كانت منقولة . وفيها يظهر غصن الأكاسيا ، إما على تلّة ، أو بجانب تابوت » .

« وبعد زمن بدأت تظهر الشروحات الخطية عن الأكاسيا ، وفي المجموعة الثمينة للماسونية الأدونيرامية لسنة ١٧٨٧ بدأت الشروحات عن الأكاسيا المشهورة في درجة الأستاذ ، لتذكرنا أن صليب المخلّص كان مصنوعاً من خشب السنط (الأكاسيا) الذي هو متواجد بكثرة في فلسطين » .

« وبالحقيقة ، يقول شابوي ، يمكننا أن نفترض أن الأكاسيا نشأت مع الماسونية النظرية . والأكاسيا معروفة من العامة بأوروبا « أكاسيا فارنيز » أي شجرة غريبة آتية من بلدان بعيدة تملك صفات ومزايا . والمصريين كانوا يعتبرونها كشجرة مقدّسة . وأن تابوت العهد كان من خشب السيط (أكاسيا) ، والصليب أيضاً كان من طبيعته ؟ ومكانه، ألم يكن بقرب التابوت أو القبر ؟

« وأكثر واقعية أيضاً ، أليس الأكاسيا رمز البراءة ؟ والمحافل في القديم ، ألم تلقّب : « بالمكان المنوّر ، وملجأ الفضيلة حيث يسود السلام ، البراءة والمساواة ؟ »

« ألا يجب أن نأخذ هذه الأسباب كحجّة لكي تكون الأكاسيا للماسونية شجرة مقدّسة وخاصة بالأستذة ؟ » .

وهكذا (شابوي CHAPUIS) ينهي دراسته بنقاط استفهام .
يجب على الماسونية ، في طقس الأستاذ أن تستعمل الأكاسيا التي تسمى بالعامية ميموزا .

إن رمز أزهار الميموزا هي شعار « الأمان » ، أي بمعنى أوسع « اليقين » ، واليقين من أن موت حيرام الرمزي ، كموت أوزيريس وأيضاً المسيح ، لا يعلن التدمير الكامل للكائن ، ولكن تجدّد وتحوّل . وبالخروج من القبر والخروج من التابوت ، إن المُسارّي الذي كان سابقاً أُسروع (أو سُرفة) أو دودة زاحفة على التراب وفي الظلمة ، تصبح بخروجها من الظلمة ، الفراشة المتعدّدة الألوان التي تحلّق في الجوّ نحو الشمس والنور . وهذه الشمس ، وهذا النور ، تعلنهما « الميموزا » ذات الزهور الصفراء كالذهب ، رمز العظمة والمقدرة .

يطرح « راغون » هذا السؤال (في كتابه : طقس لدرجة أستاذ صفحة ٣٢) :

« ماذا يحلّ بالإنسان بعد الموت ؟ » فيجيب « على أثر أنه كان ، فيصبح سبب بدوره ، أي أنه بانحلاله ، العناصر التي كانت تكوّن شخصه الجسدي ، بما أنها أصبحت حرّة ، تعود إلى العناصر المماثلة لإنتاج تحوّلات جديدة ، إذ أن لا شيء يفنى إلاّ الأشكال . أما بخصوص كائنه العقلي ، حسب وجهة نظر الأقدمين ، روحه ، التي ليست هي إلاّ جزءاً من الروح الشاملة فتعود إلى هذا المصدر الشاسع للحياة . وأن غرفة الوسط هي صورة للمختبر حيث تجري هذه التحوّلات الغير متناهية » .

ويكمل في الملاحظة : « إن أفلاطون وطالس وأودوكس وأبولونيوس وفيتاغورس نقلوا من مصر هذا المبدأ : إن الحياة تخرج من وسط الموت ، والمأخوذة من شعار أوزيريس (شمس الشتاء) المنتهي أجله ليولد من جديد في ٢٥ كانون الأول تحت اسم أوروس (الشمس الجديدة) . هناك علماء قد تبنّوا ، في اقتصاديات الكون ، بطريقة خاصة جداً هذا المبدأ ، الذي حسب رأينا يجب أن لا يعمّم ، لأن لا شيء يبدأ مع الموت ، لأنه هو الحدّ لكل كائن مخلوق » .

إن « راغون » ، هذا الموظف الذي ، خصوصاً ، معرفته مأخوذة من الكتب ، يبدو أنه يجهل أن لا بدّ من أن البذرة تهترئ وتموت

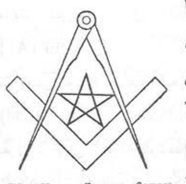
لكي ينمو النبات . « لا شيء يبدأ مع الموت » ، كان يقول ، بيد أنه بواسطة موت حياة الدنيوي ، إن ماسوني المستقبل يبدأ اختباره المُساريّ في « غرفة التأمل » وإنه بواسطة ثاني موت رمزي ، أي موت حيرام ، إن المُساريّ يبلغ غاية المهارة للنصير (L'ADEPTAT) .

ماريوس لوباج مولّف كتاب الرمزية سنة ١٩٣٣ – صفحة ٤٤ (MARIUS LEPAGE : LE SYMBOLISME – 1933 – P. 44) يقول : « إن (غرفة الوسط) هي فقدان الأوهام وهو (فوق الخيمياء ATHANOR) المغلق بأحكام مسدودة بملاط ، وفيه ينجز التحول المجيد لمراكز المعرفة ، الذي يمرّ من العقل إلى القلب ، إن معرفة القلب هي الانتقال المباشر وبدون واسطة نوعاً ما غير شفافة ، مع ينبوع كل حياة . هي الاستنارة العقلية التي بحضورها يصغُر إلى حدّ قيمته الفعلية ، ويمحى ويختفي ، لأنه انعكاس النور (أو المعرفة) الحقيقية ، ويكون صدى للكلمة الضائعة » .

إن الرائد ميريديت (MEREDITH) يظن أن عبارة « غرفة الوسط » ناتجة عن خطأ في قراءة النصّ الأساسي العبري حيث قُرِأ « غرفة » مكان « طابق » . ونقرأ في سفر الملوك الأول (٨/٦) : « وكان باب الغرفة الوسطى عند الجانب الأيمن من البيت . وكان يصعد إليها في سلم لولبي ومنها إلى الثالث (أي الطابق) » .

هذه العبارة « غرفة الوسط » توجد في أقدم الطقوس التي نعلمها ، وحتى رينيه جونون في كتابه الثالوث الكبير – صفحة ١٠٧ (RENE GUENON : LA GRANDE TRIADE P. 107) يحدّد ما يلي :

« يقال أن الأستاذ الماسوني يوجد دائماً بين الزاوية والبركار ، أي من « المكان » الذي يحاط النجم الساطع والذي هو تماماً في « الوسط الذي لا يتغيّر » أي أنه ليس بغير سبب محفل الأساتذة يسمى « غرفة الوسط » (صورة رقم ١٠٧) .


FIG. 107. — Equerre, Compas et Etoile Flamboyante.

إذاً الأستاذ متشابه لـ « الرجل الواقعي » ، موضوع بين الأرض والسماء ومنفذاً وظيفة « موفّق » ، وهذا صحيح رمزياً و « طقسياً » لأن الأستاذية تمثّل إتمام « الأسرار الصغيرة » في حالة « الرجل الواقعي » التي هي بذاتها النهاية » .

∴

في كل التقاليد ، إن « الوسط » هو المركز المثالي . الوصول إلى « الغرفة الوسطى » هو البلوغ إلى وسط « العجلة » أي إلى المحور غير المتحرك . وهو بنفس الوقت الإفلات من الضجيج من العالم الدنيوي ، ولكن بنفس الوقت الحفاظ على هذا الضجيج وامتناعه عن ابتعاده عن النقطة المحددة . هذه الصورة لـ « العجلة »

تبيّن لنا أن الدنيويين الموجودين على المحيط و « المُساريين » الذين يمشون على شعاعات العجلة متّجهين نحو المحور حيث السرعة تصبح معدومة ...

إن « غرفة الوسط » هي أيضاً « السامية QUINTESSENCE » للألخيميين ، وهي نقطة ملتقى الفرعين للصليب وقمّة « الحجر المكعّب المروّس » . ونصل إليها بواسطة خمسة عشر درجة مقسومة إلى ثلاث مجموعات : (٣) و (٥) و (٧) . وهذه الأرقام هي خاصة بالمبتدئ والشغّال والأستاذ . ثلاثة هي خاصة بالمثلّث ، وخمسة بالنجم الساطع ، وسبعة بخاتم سليمان مع نقطة الوسط . وهو الرجل الذي وصل إلى أن ينجز التوازن الكامل بين المادة والروح . وأن « خاتم سليمان » هو الكتابة الغير واضحة (أو الطلسم) « لحجر الفلاسفة » ، بينما « النجم الساطع » هو خاص « بالمواد الأولية » . أما « المثلّث » أو « الدلتا المنيرة » هي « النور » ، أي النور الروحي ، القويّ والمحجوب ، الذي بمفعوله على « مخمّس الزوايا PENTAGRAMME » أو « النجم الساطع » ، يقودنا إلى « السداسي الزوايا HEXAGRAMME » أو « خاتم سليمان » ، « حجر الفلاسفة » (صور رقم ١٠٨ و رقم ١٠٩) .

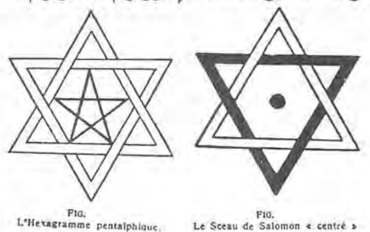


FIG. L'Hexagramme pentalphique.

FIG. Le Sceau de Salomon « centré »

إن « ج. برسيجو » (في كتابه : الرمزية ١٩٣٩) ، جمع « خاتم سليمان » بـ « النجم الساطع » وأعطى اسمه للرسم « السداسي الزوايا المخمّس HEXAGRAMME PENTALPHIQUE » . إنها وحدة « العالم الأصغر MICROCOSME بالعالم الأكبر MACROCOSME » . وهنا نلاحظ باهتمام جمع الخمسة « مخمّس الزوايا » بالستة « سداسي الزوايا » يساوي إحدى عشر ، وهو عرض وشاح الأستاذ (أي ١١ سم) . وإحدى عشر هو رقم عشرة زائد واحد ، أي العشرة سفيروث زائد الأنسوف (ENSOPHE) . والثلاثة والثلاثين درجة للأيكوسية يمكنها أن تقسم إلى ثلاث مجموعات من إحدى عشر درجة .

إن « غرفة الوسط » يمكنها أن تقارن مع السداسي الشكل المشمول في وسط سداسي الزوايا . وفي هذه الغرفة الرجل المُساريّ يصبح مريد (ADEPTE) .

إن الست مثلّثات لسداسي الزوايا لها (١٨) ضلع ، والخمس مثلّثات لخماسي الزوايا له (١٥) ضلع ، فإذا جمعناهم نجد الرقم (٣٣) . إن درجة (١٥) في الماسونية هي الدرجة الأولى « للمقامات CHAPITRES » ، والدرجة (١٨) هي « للصليب الوردي » ، وهذه الدرجة هي الدرجة الثالثة المضاعفة وهي ثلاثة مضروبة بستّة .

∴

محفل الأستاذ يسمّى « الغرفة الوسطى » ويجب أن يحتوي على قاعتين للاختبار المُسارّيّ . و « راغون » ، الذي لا يأخذ بعين الاعتبار السبب للقاعتين ، يقول : « إن الطقس الرسمي يستوجب قاعتين ، ولماذا ؟ ألا تكفي قاعة واحدة ؟ هذه الدرجة تذكّر ، في نصف أرضنا الخط المبهم الكبير للطبيعة ، لأنه عند ٢٥ كانون الأول ، هل يوجد نوعان من القبة السماوية ؟ إن الطبيعة ليس لها إلاّ محفل واحد ، وأيضاً المُسارّي ! »

كان من السهل الرّد على « راغون » ، حيث أن السماء في الاعتدال الشتوي ليست نفسها في الاعتدال الصيفي . الأول هو ولادة الشمس ، أما الثاني فهو أوجّها وبداية هبوطها .

منذ حين كانوا يقسمون المحفل إلى قسمين بواسطة ستارة . القسم الأول كان « الهيكل » ، أما الثاني ويسمى (الدبير DEBHIR) وهذا الشرح مذكور سابقاً في موضوع هيكل سليمان . وأن « الهيكل » هو الغرفة التي يموت فيها حيرام ، والثانية المسماة « دبير » يردّ فيها إلى الحياة .

أما « الهيكل » فهو يزخرف بستائر سوداء منمّقة بدموع بيضاء ، أما « دبير » مزخرف بستائر زرقاء مرصّعة بالذهب ، وفقاً للرمزية التقليدية .

بعث حيرام إلى الحياة ! هذا هو هدف المُسارّيّ في درجة الأستاذ . إنه المُسارّي الذي أصبح « مُريد » مشعّ « بالنور » .

في الطقوس القديمة ، تسعة أساتذة ، كل مجموعة مؤلّفة من ثلاثة يذهبون للتفتيش عن جثة حيرام . في الطقس الفرنسي ، الخبير ينفّذ ثلاث سفرات ويرافقه كل مرّة أستاذان . إذاً ، الذين يشتركون بالتفتيش سبعة أساتذة فقط .

هذا التباين ينشأ من أن الأرقام ، سبعة وتسعة ، تختصّ بدرجة الأستاذ .

الرقم سبعة هو عمر الأستاذ والرقم تسعة هي الطرقات . أما الطقس الفرنسي يطبّق كالطقس الإيكوسي الطرقات التسع ولكنه يتبنّى الرقم سبعة لعدد الأساتذة لا التسعة ، وهذا التبنّي يبدو لنا خطأ .

من الأساتذة التسعة ، فقط ثلاثة ينفّذون الإعادة لحياة حيرام . إن الشغّالين الثلاثة « المجرمين » يمثّلون الجهل والتعصّب والحسد . أما الثلاثة الذين ينفّذون إعادة الحياة لا يمكنهم إلاّ أن يتكنّوا ، وبواسطة التناقض بالمعرفة والتسامح والترفّع . وهذا يكوّن فقط التعليم الرسمي للعقيدة الفلسفية للأسطورة ، ولنقولها بوضوح : تعليم رسمي لعقيدة فلسفية غير متقنة التي فيها الأستاذ الجديد يمكنه وبصعوبة إن « يترفّع أو يتجرّد » إذا كان عقله غير متقبّل إلى التفوّق أو التنزّه للرمزية .

إن الرقم تسعة (٩) يمثّل في كتابه ، تولّد نحو الأسفل ، إذاً مادي ، بينما الرقم ستة (٦) يمثّل بالعكس تولّد نحو الأعلى ، إذاً روحاني .

هاذين الرقمين هما بداية خط حلزوني . وفي النظام البشري ، إن الرقم (٩) يمثّل الشهر الضروري لاكتمال الجنين الذي يكون مع ذلك مكتمل بالشهر (٧) . إن الرقم (٩) هو مكعّب الرقم (٣) . وإن الرقمين (٧) و (٩) بضربهما ينتجوا الرقم (٦٣) وهو السّن الحرج والعمر الوسطي للإنسان .

∴

حيرام عاد إلى الحياة ، إنه الأستاذ « الانفرادي INDIVIDUALISÉ» وإنه « الإنسان الحقيقي » ، كما يقول (جينون GUENON) . إذا كانت الماسونية من جهة « اتحاداً واشتراكاً COMMUNION » أي تجمّع البشر حول ذات « الطقس LITURGIE » ، أي بطقوس مشتركة فيها ، من جهة أخرى ، تميل إلى تنشئة رجال ، أي « أفراد INDIVIDUS » (لا يتجزّأون INDIVISIBLE) ، وكل فرد يعي قيمته الذاتية . وهذا يفسّر المناهضة للماسونية من قبل الكنيسة والحكومات الديكتاتورية . هؤلاء لا يمكنهم أن يقبلوا بأن « فرد INDIVIDU » واحد يتميّز عن باقي « القطيع TROUPEAU » . بيد أن « حرية التفكير LIBERTE DE PENSER » وهي بنفس الوقت « حرية المرور LEBERTE DE PASSER » التي نرمزها أحياناً « بالجسر PONT » مع الحروف الثلاثة ∴ D ∴ P ∴ L المفسّرة لمأرب سياسي من اللاّتيني (دوس بأرجلك على الزنبق LILIA PEDIBUS DESTRUE) وهذه الأحرف

الثلاث هي بداية الكلمات : حرّية (LIBERTE) واجب (DEVOIR) مقدرة (POUVOIR) . إن « حرية » الماسوني تخضع « لواجباته » فتعطيه « المقدرة » أي الإمكانية والطاقة على العمل ، أي المرجعية وتفسّر بمعنى « المبتكر » .

وهذا « المبدأ الانفرادي » هو خاص بالماسونية . كل (طاعة OBEDIENCE) لها طابعها الخاص ، وكل محفل هو للماسوني « مدرسة » فيها يمكنه أن يعبّر عن رأيه بحرّية أمام حضور مصغي ومتسامح . أما مواجهة الأفكار تنفّذ بتهذيب وبدون تصادم .

إن المبتدئ (الحجر الغشيم) ، بعد فترة صمت التي فيها يهذّب ذاته ، « يقتني أوجه منتظمة » وبعده يصبح شغّالاً . « أوجهه » (الحجر المكعّب) يصقل ويخسر تدريجياً خشونته .

وأخيراً ، إن الأستاذ في وفرة حقوقه وواجباته الماسونية ، منفردة في المواقع ، يصبح في المحفل عنصراً ، وحجراً مكتملاً ، لا يستغنى عنه في المحفل .

٦. قبّعة « الأستاذ »

إن الأستاذ في « الغرفة الوسطى » يجب أن يحفظ « قبّعته » ، ويمنع عليه أن يخلعها عن رأسه ، إنها علامة امتيازاته وتفوّقه .

« ويرث » في كتابه عن الأستاذ (صحفة ١٨٥ – ١٨٦) يقول : « كل فائدة « القبّعة » تحدد في الواقع أنها تستبدل التاج (إنه أول سفير في الكبالية ، أي التاج = كتر KETHER) . شعار السيادة ، إن القبعة تحسس حاملها إلى أنه ليس بقائد عليه أن يحكم باستبداد حسب تقديراته الشخصية . السيد يجب أن يدير وليس عليه أن يطبّق الأوامر . إذاً ، لا نحكم إلاّ من خلال الإرادة العامة . أيضاً ، إن الأستاذ لا يدير محفله على مزاجه ، لكن عليه أن يستوحي من الرغبات الأكثر رقيّ من الجماعة . أنها المثالية الجماعية التي تكوّن الإكليل المنير خاتمة شجرة السفيروث ، والذي يذكرنا في الماضي بالقبّعة المثلّثة الزوايا لأستاذ المحفل » .

نلاحظ أن الماسونية الأنكلو-ساكسونية لا تطبّق ارتداء القبّعة في درجة أستاذ ، وأيضاً في المحافل الفرنسية القبّعة ليست شعار المقدرة والاحترام . على أمل أنه مع الزمن هذه العادة يمكن إلغاءها ...

٧. أبناء الأرملة

عبارة « أبناء الأرملة » تشير إلى الماسون والعبارة الغامضة « أرملة » المشيرة للماسونية كانت موضوع أبحاث ودراسات عديدة .

(برسيجو مؤلّف كتاب حوليات الماسونية العامة ، آذار – نيسان LES ANNALES – PERSIGOUT AUTEUR : – ١٩٣٣ (MAÇONIQUES UNIVERSELLES – MARS – AVRIL 1933 يقول : « إن الماسون هم « أبناء الأرملة » أي الطبيعة البتول والخصبة » .

(وجيدالج مؤلّفة القاموس ريا – كلمة أرملة – : GEDALGE (DICTIONNAIRE RHEA – ART. (VEUVE) تقول : « نسمّي الماسون ، هكذا تذكاراً للأرملة التي كانت أم المعماري حيرام . ولكن إيزيس « الأرملة العظيمة » لأوزيريس مفتّشة لأعضاء زوجها المشتتة ، هي أيضاً معتبرة كأم للماسون والتي تفتش عن جثة زوجها كالتفتيش عن جثة المعلم حيرام المقتول بواسطة الشغّالين الثلاثة الذين يرمزون لآفات القذارة لإبادة الكائن : الكسل والشهوانية والتكبّر » .

يؤكّد « راغون » في كتابه طقس درجة الأستاذ (صفحة ٢٠ و ٢١) أنه عندما شمس الشتاء تنزوي وكأنها تترك مناخنا لتسود على النصف الآخر من الأرض السفلى ، والذي يبدو لنا وكأنه ينزل إلى القبر ، عندها تصبح الطبيعة أرملة من زوجها ، ومن الذي منه تأخذ كل سنة فرحها وخصوبتها . وأبناءها يصبحون محزونين ، وهكذا أيضاً يصبح الماسون ، الذين هم تلامذة الطبيعة والذين في درجة الأستاذ يتذكرون هذه الرمزية الجميلة ويسمون أنفسهم بأبناء الأرملة (أو الطبيعة) ، وعند ظهور الشمس الساطعة عندئذٍ يصبحون أبناء النور » .

« في هذا الشرح ، يضيف « راغون » ، أنه يجب أن نستخلص أن حيرام ، المعماري لهيكل سليمان ، الذي أصبح بطل الأسطورة الماسونية أصبح أوزيريس (أي الشمس) للاختبار المُساريّ الجديد ، وأن إيزيس ، أرملته هي المحفل ، شعار الأرض ، وأن هوروس ابن أوزيريس (أو النور) وابن الأرملة هو الماسوني ، أي الذي يسكن محفل الأرض » .

لأوزوالد ويرث مؤلّف كتاب الأستاذ ، نقرأ في صفحة ١٤٢ ما يلي : « إن إيزيس هي الأرملة التي يدّعي الماسون أنهم أبناءها ، والتي تجسّد الطبيعة والأم العالمية وهي أم أوزيريس ، الذي هو الآن الغير منظور ومنير الأفكار » .

(جيمان دوسان فيكتور مؤلّف كتاب المجموعة الثمينة ، صفحة ٩٥ : GUILLEMAIN DE SAINT VICTOR RECUEIL PRECIEUX P. 95) يسأل : « لماذا تدّعون أنكم أبناء الأرملة ؟ فيجيب : لأنه بعد قتل المعلّم حيرام ، اهتمّوا بوالدته ، والتي كانت أرملة وسموا أنفسهم أبناءها خاصةً وأن أدونيرام كانَ يعتبرهم كأخوة » .

في الواقع نجد ، في الكتاب المقدّس للعهد القديم (سفر الملوك الأول – ١٣/٦ – ١٤) « وأرسل الملك سليمان فأتى بحيرام من صور ، وهو ابن أرملة من سبط نفتالي ، ... »

وبلانتاجينيه ، مؤلّف كتاب محادثات في غرفة الوسط – صفحة ٨٩ – ٩٠ ، يقول : « نحن كلنا أبناء أب واحد ، حيرام ، ونبقى متّحدين في الدفاع عن أرملته ، أي الماسونية » .

لبعض المولّفين ، إن الماسونية هي أرملة منذ حرق جاك دي موليه الأستاذ الأعظم لفرسان الهيكل .

..

إن كلمة « أرملة VEUVE » مشتقة من اللاّتيني (VIDUA) أي فارغ (VIDE) . وإن كلمة فارغ لها معناها في الفضاء وليس في العدم . في هذا القول إن تعبير « أبناء الأرملة » يعني « أبناء الفضاء » وأن الفضاء يرمز إلى الحرية ، وهكذا يكون البناؤون الأحرار أيضاً « أبناء الحرية » . لكن « الأرملة » متميّزة « ببرقع أسود » وترمز إذاً إلى الظلمات التي ، كما قلنا سابقاً ، يكونون مرتبطين بالفضاء . لذلك ، الماسون هم في آن واحد « أبناء الأرملة» و « أبناء النور » . إنهم « أبناء عالم الظلمات » ، ولكن في حضن الكون ، يظهرون كـ « أبناء النور » .
إن كلمة « أرملة VEUVE » التي أدخلت في مفردات الرمزية الماسونية تبدو أنها أهمية غير مشكوك فيها من المؤلّفين الذين اهتمّوا بهذا التعبير .

..

هناك عبارة ثانية تستعمل غالباً وهي : « كيس الأرملة » ، وهذا الكيس مخصص لجمع التبرّعات للأعمال الخيرية . تبدو هذه التسمية لها صلة بأمثولة فلس الأرملة في الأناجيل : « وجاءت أرملة فقيرة

فألقت عشرين فلساً ، فدعا تلاميذه وقال لهم : « الحقّ أقول لكم ، إن هذه الأرملة الفقيرة ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة ، لأنهم كلهم ألقوا من الفاضل عن حاجاتهم ، وأما هي فإنها من حاجتها ألقت جميع ما تملك ، كلّ رزقها » (مرقس ١٢/٤٢ – ٤٣ – ٤٤) .
هل من الضروري أن نذكّر ، أنه في الماسونية خاصةً، الصدقة ، هي تحقير وإذلال للذي يتسلّمها . يجب علينا أن « نساعد » حقيقة أولئك الذين هم في حاجة ، ونساعدهم مادياً ومعنوياً . لأنه ، إذا كانت الماسونية تضع نفسها في المستوى الإضافي للمادة ، لا يمكنها أن تتجاهل وتحاول أن تعالج الحالات غير الملائمة للارتقاء الروحي الذي تطالب به أبناءها .

٨. لوحة الأستاذ

إن « سجّادة محفل الأستاذ » مفروشة على بلاط من الموزاييك الأبيض والأسود مائل (LOSANGE) ، مرسوم عليها نعش مغطّى بشرشف أسود وعليه صليب لاتيني ، ورسمة دموع فضيّة ، وستة جماجم بشرية وعلى كعب كل جمجمة مرسوم عظمتين من الساق الأكبر بشكل متعاكس . وعلى رأس النعش يرسم الحرف (G) في قلب مثلّث ، وعلى كعب النعش مرسوم بركار وزاوية ، أما في وسط النعش يرسم غصن من الأكاسيا .

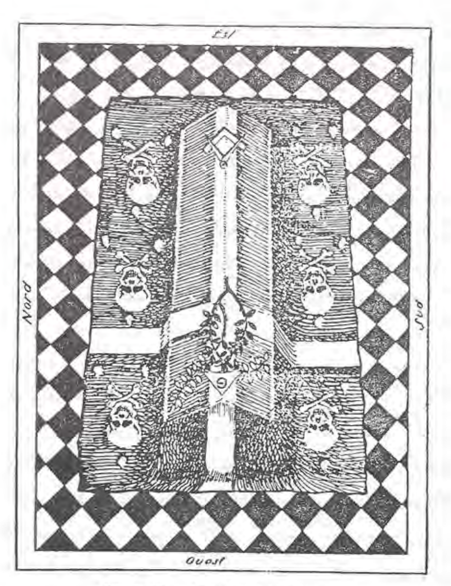


PLANCHE VI. — Le « Tableau de Maître ».

(لوحة رقم ٦)

أما اتجاه النعش فيكون الكعب في الشرق والرأس في الغرب وعندها يكون الجنب الأيمن باتجاه الجنوب والأيسر باتجاه الشمال .
ونلاحظ هنا أن « لوحات المبتدئ والشغّال » هما مرسومتين مواجهةً للشرق ، بينما « لوحة الأستاذ » مواجهة للغرب . ونعلم أيضاً أن الغرب المكان الذي تغرب فيه الشمس ، وفي كل التقاليد تقريباً ، هذا الاتجاه ينظر « كموطن الأموات » . أما النعش باتجاهه يدير ظهره للغرب (إن النعش في الكنيسة الكاثوليكية يكون اتجاهه نحو المذبح .
ولا يكون استثنائياً إلاّ للكهنة وفيه الرأس نحو الغرب ، ولا يوجد تفسير لهذا الاستثناء من العالمين في الطقوس ، ولكن يمكننا أن نفكر أن الكاهن هكذا ينظر النظرة الأخيرة إلى صحن الكنيسة والمؤمنين ، كما كان ينظر إليهم عندما كان يقوم بالذبيحة » . وأن الشغّال عندما يدخل الهيكل ليتقبّل الاختبار المُساريّ لدرجة أستاذ هي مميزة لأنه يدخل ويمشي متراجعاً (أي يمشي إلى الداخل ووجهه متّجه نحو المدخل أي الغرب) (لويس شوشود LOUIS CHOCHODE مؤلّف كتاب : علم الباطن والسحر في الشرق الأقصى ، ١٩٤٥ صفحة ٢٩٨ - OCCULTISME ET MAGIE EN EXTREME ORIENT 1945 P. 298) يقول : « لنعبّر عن المستقبل ، اللّغة الصينية تستعمل عبارات فيها المعنى العام الذي هو : « الذي يوجد وراء » أو « بعدها » .

يقدّم الماضي بالعبارات التي تعني : « الذي يوجد أمامنا » أو « قبل » . ونستنتج أنه ، بواسطة الصينيين ، العالم بكاملة يكمّل دربه نحو الغير المحدود دائراً ظهره للمستقبل ، وعيونه مثبّتة دائماً على الماضي . لهذا السبب إذاً يبقى المستقبل لنا مجهولاً .

إن الصليب اللاّتيني الموجود على النعش ، لا يجب أن يُفسّر بأنه مسيحي ، هنا معناه « الحياة » ، « الخلود » و « الانبعاث » .

نعلم أيضاً أن رمز الصليب هو موجود قبل الديانة المسيحية . يظهر في أسرار إيزيس ، عند المصريين وحتى وصولاً إلى أقاصي آسيا . كان أيضاً بعدد أحرف نظام الطقس أو الأحرف الكهنوتية ، وكان مصورّ بين العلامات الأثرية عند الاسكاندنافيين . والرومان كانوا يرفعونه فوق لافتاتهم ، وفي كل مكان ، كان عنوان الاحترام عند الوثنيين » .

رينيه جونون ، في كتابه رمزية الصليب ، سنة ١٩٣١ ، صفحة ٣١ (RENE GUENON , LE SYMLOLISME DE LA CROIX – 1931 P. 31) يقول : « إن أغلب العقائد التقليدية ، ترمز إلى تحقيق الإنسان الكوني بواسطة الإشارة التي هي ذاتها في كل مكان ، منهم من يلتصقون مباشرة بالتقاليد البدائية : وهي إشارة الصليب ، التي تمثّل بوضوح الطريقة التي بواسطتها يتحقق الاتحاد الكامل لمجموع حالات الكائن ، تنسيقياً وتطبيقياً وبالتسلسل ، وبنمو كامل في الاتجاهين « الأهمية » و « الارتفاع » . وهذا التفتّح للكائن يمكن رؤيته ليتحقق من جهة ، أفقياً ، أي إلى مستوى أو درجة ما للوجود

المحدّد ، ومن جهة أخرى ، عاموديًا ، أي في التطابق التسلسلي لكل الدرجات » .

∴

يمكننا أن نعتبر أن الصليب ذات الفروع المتساوية (صورة رقم ١١٠ a) رمز العالم الأكبر (MACROCOSME) ، والصليب اللاتيني (صورة رقم ١١٠ b) كرمز العالم الأصغر (MICROCOSME) .

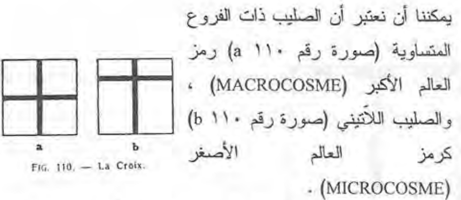


FIG. 110. — La Croix.

أول صليب يمثّل الجهات الأربع الأصلية وأيضاً المزج للعناصر الأربعة . والثاني يعني التطوّر ، معتبرين الفرع الأفقي « كسلبي » بالنسبة « للمادة » ، والفرع العامودي « كعملي » بالنسبة « للروح » . والإنسان عندما يمدّ يديه أفقياً يكوّن إشارة الصليب . وهذا الصليب يعتبر كرمز « للخلاص » و « الفداء » . أما الصليب اللاتيني المقلوب ، والذي يمثّل الإنسان ورأسه تحت ، هو رمز « شيطاني » ورمز للتراجع .

أما ، على النعش ، الفرع الأطول متّجه شرقاً – غرباً وهذه طريق الشمس التي ترمز إلى الروح .

والطاو أو التاو (TAU) فهو أقوى رمز تفسيري لأنه يربط العالم المادي إلى الغير المرئي . كذلك ، في المربّع المستطيل يوجد عامود غير مرئي ، كذلك أيضاً فرع الصليب المنسجم مع العالم المتعالي لا يرى بالعين الطبيعية . وهكذا توجد موسومة ، بطريقة واضحة ، للذين لن يخضعوا للتأثير الكامل للمادة ، والحقيقة وحتى الموضوعية للروحانية . إن الصليب اللاّتيني يشير إلى التطوّر بواسطة « العقل » - رأس الإنسان - بينما الطاو أو التاو (TAU) يشير إلى الارتقاء الروحي الصرف (صورة رقم ١١١) .



FIG. 111. — Le Tau.

أما الدموع من الفضة ، فهي ترمز تماماً إلى الإشعاعات « القمرية » التي ستساعد الحاصل على الدرجة أن يتجرّد من التأثير « الشمسي » الطبيعي ، أي من النشاط الاصطناعي . إنه في الليل ، وفي « السواد القاتم » للهرمسيين المخلقين ، أي في السكوت والتأمل، الروح تحلّق . وبعد هذه المرحلة المسماة « رأس الغراب » تأتي مرحلة البياض الناصع .

∴

أما فيما يعود « للجماجم » فهي ترمز فعلاً إلى الموت الطبيعي وتحتها عظمتي ساق كبيرة بشكل صليب والتي تمثّل « صليب القديس أندراوس » ، شعار الحياة والكمال ، وإشارة (X) (أي الخي في الأبجدية اليونانية) ، فهي كانت عند الرومان تمثّل العشارية الغالية عند الفيتاغوريين .

إن العلامة المختصرة للسيد المسيح المشهورة (صورة رقم ١١٢) يمكنها أن تكون صور مبسطة للجمجمة والعظمتين . وهذه العلامة محفورة على عملات قديمة من عهد المسيحية .

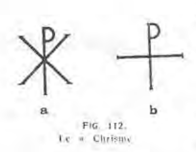
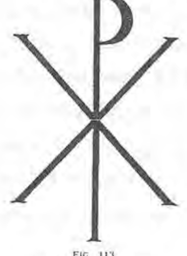


FIG. 112.
Le « Chrisme

إنه في القرن السادس عشر انتبهوا أن الحرفين (P) و (X) كانتا أول أحرف لكلمة « CHRISTOS » أي المسيح . أما (CHRISME) أي العلامة المختصرة للسيد المسيح كما في (صورة رقم ١١٢ b) ، تفقد كل معناها .

إن العلامة المختصرة للسيد المسيح تمثّل الأنوار الإثنين : الشمس والقمر وتداخلهما ، (صورة رقم ١١٣) .


FIG. 113.
Le Chrisme et la Lune

ونلاحظ أن القمر هو على اليمين ويمثّل « الهلال » أي أنه يمكننا أن نراه منذ كان هلالاً إلى أن يصبح قمراً كاملاً ، والرأسين متّجهين إلى الشمال . هذه الصورة واضحة بما فيه الكفاية ولا يلزمها شرح إضافي .

٩. الأستاذية المثالية

عندما يبلغ البنّاء الحرّ الدرجة الثالثة ، يصبح أستاذاً ، وعندها يكون قد امتلك وحاز طقسياً على الاختبار المُساريّ التام والمتكامل .
أما الدرجات السامية العليا ، فلا تجلب له شيئاً إضافياً ، لأنها لا تحتوي إلاّ على شروحات وتوسّع وإسهاب للدرجة الثالثة . ويمكننا حتّى القول ، في بعض الحالات ، أنه يمكنها أن تكون ، للذين يتقبّلونها دون أن يسيطروا ويمتلكوها بعمق ، عامل انتقاص لأنها تزيد عندهم شعور بالغرور .
إن الأستاذ في البنائية الحرّة يتحرّر من الامكانات والحوادث الطارئة ويبدأ في النمو والتطوّر على المستوى الروحي الصرف . وإذا كانت الطقوس المُسارية لدرجة أستاذ ، قد أعطت كامل تأثيرها عليه فيكون حقيقة قد تطوّر ، ويصبح عندها « إنساناً جديداً » .
إن الأستاذية تفرض تطوّراً كاملاً ومتعمّقاً في كيفية التصرّف . فيصبح نوعاً ما معتزّاً بنفسه ، وعندها يتجاهل الغرور لأنه مظهر

خارجي اصطناعي وحتى أنه تفاخر كاذب دون أساس حقيقي ويؤدي به إلى تضخّم الأنا « EGO » .

إن الأستاذ الحقيقي ، في كامل تفوّقه وسمّوه ، يتّجه نحو معرفة « المطلق ABSOLU » الذي بجانبه تتوارى شيئاً فشيئاً كل الحقائق للوجود المادي والفكري .

يقول وبصورة ممتازة (جريبو دو جيفري GRILLOT DE GIVRY مؤلّف كتاب : الهدف الأسمى ، سنة ١٩٠٧ ، في الفصل الثاني عشر من تأملاته عن طريق الباطنية للمطلق ، صفحة ٤٣ – ٤٤ – ٤٥ – كتاب الخيمياء الروحية) : « إليكم اختبار الاختبارات ، الذي من خلاله ينتظرونكم مستهزئين وشاحبي الوجوه وصاحبي التأثيرات الرديئة على أمل أن يشاهدونكم من جديد مزلّة أرجلكم وواقعين في الظلمات الخارجية » .

« وإذا صمدت ، فإن الفينكس (PHENIX) الذي يخلف الألصيون (ALCYON) ينفتح لك » .

« إن العالم غير مدرك بتفوّق حديثي الولادة . إذاً عليك أن تعتاد قبول احتقار من هم أقل قيمة منك » .

« لن تأخذ حقك العادل أبداً ، أذاً ، عليك أن تُدخل هذه الحقيقة في أعماقك ، وحين تصل إلى مستوى القبول للنور هناك يمكنك تحصيل الحق » .

« عليك أن تكون غير مكترث بأيٍ من العامة . عندما القول عادةً أسهل من الفعل . ولا تهتم عندما تمرّ بين عامة الناس التي تكوّن

الوحدة غير الواضحة ، لا تتّكل على عقلك الذي تملك وتثق به . واعمل ما يمليه عليك ضميرك ، ولا تبالي في النتائج . إقبل بالانتصار كعبء عليك ، ولا تشتهيه . بل اشتهي الانتصار الأزلي ، أي انتصار الفلاسفة الحكماء وصولاً إلى « المطلق ABSOLU » . إياك أن تفتّش عن رضى البشر لأنك تكون قد دخلت في الطرق المظلمة ، وضللت طريقك . إذا تمنّيت يوماً أن تصبح قديساً وأن يتعرّفوا عليك بهذه الصفة ، فأنت بالتأكيد لن ترى هذا اليوم ...

كن زهيداً بين الزهداء وأفني نفسك وادخل في عمق التواضع وحتى التصاغر ، يا تلميذي . وفي التواضع ، يوماً ما ستتغيّر ثم تستيقظ متوهّجاً منيراً وتتساوى مع ملك الانتصار وملك الشرف الجالس على عرشه ، كما يقول أساتذنا القدماء ، ثم تدخل في البحر الأرجواني الذي هو أستاذية الفلاسفة (MAGISTERE DES PHILOSOPHES) .

(علينا أن لا نخلط بين « الفلسفة » العامية و « الفلسفة » الغامضة والمغلقة . إذ أن الأخيميين في القرون الوسطى كانوا « فلاسفة » ولذلك اشتقّ من هذه الكنية « زئبق الفلاسفة » أو « الحجر الفلسفي» إلخ ... وكانوا جماعة الأخيميين والغامضين المقفلين ينعتوهم « بالأصدقاء الحقيقيين للحكمة » (PHILOSOPHE فيلسوف مشتقّة من فيلو PHILO أي صديق وصوفيا SOPHIA أي حكمة) .

« وتذكّر أنك ما زلت الزئبق الأبرص (LEPREUX) الذي قتل شمس العدالة على الصورة المنحوتة الرباعية » .

(إن الزئبق الأبرص هو المادة التالية ، التي لم تنقَّ بعد ، والذي به « الذهب » بالقوة ، وهذه المادة تبقى فيما مضى « عالية » .
« والبحر الأرجواني » أو « الأستاذية للفلاسفة » هي الحجر الفلسفي . إن الخيمياء « الروحية » أو « الصوفية » تتطابق على الفنّ التحويلي ، وكالماسونية تتطابق مع فنّ البناء . والأشكال المُساريّة عديدة ، وكل واحد يجب أن يختار الطريق التي تناسبه) .

إن « الأستاذ » الذي لم ينتحل هذا اللّقب ، يعمل بدون كلل على المستوى الذي لا يعود مادياً ، لكن على المستوى الذي يوصله بواسطة « الانعكاس » .
إن لهذا « التغيير » للإنسان تتجه كل الاختبارات المُسارية ، بدون استثناء الاختبار المُساريّ الماسوني ، مع أن هذا الأخير كان يتّضح لنا أحياناً أنه ينحرف عن المسار الحقيقي .

الفصل الثامن

« الزينة » عند الماسونيين

١. المئزر

إن أساس « الزينة » عند الماسونيين هو « المئزر » وهو يتألّف من مربّع مستطيل ومريلة (BAVETTE) بشكل مثلّث في درجة المبتدئ والشغّال ، أما في درجة الأستاذ فهي تتكوّن من جلد أبيض دون أي زخرفة . ويتنوّع « المئزر » حسب الطقوس والتبعيات (OBEDIENCES) . (يجب أن نأسف على القياسات الصغيرة التي تعطى غالباً لمئازر المبتدئ والشغّال . وهذه المئازر يجب أن تكون قياساتها على الأقل توازي قياسات مئزر الأستاذ . ونقول « على الأقلّ » ، لأنه في الواقع ، في الدرجتين الأولى والثانية يكون الشغّال غير ماهر ، ولذلك عليه أن يحمي نفسه أكثر من الأستاذ المعلّم) .

إن المبتدئ يرتدي المئزر والمريلة مرفوعة .

يقول « راغون » في كتابه طقس المبتدئ (صفحة ٥٦ – ٥٧) للحديث في الماسونية : « إستلم هذا المئزر الذي نرتديه جميعنا ، وإن أعظم الرجال كان لهم الشرف أن يلبسوه . هو شعار العمل ،

ويذكّرك أنه على الماسوني أن تكون حياته عملية ونشيطة . وهذا المئزر الذي هو لباسنا الماسوني يعطيك الحقّ أن تجلس بيننا ، وعليك أن لا تدخل على هذا الهيكل إلاّ مرتدياً هذا المئزر ورافعاً المريلة » .

يقول « بلانتاجينيه » في كتابه محادثات في محفل المبتدئ (صفحة ٩٢- ٩٣) : « إن المئزر يكون مصنوعاً من جلد الحمل ويذكّرنا بـ « رداء الجلد » المذكور في الأسطورة التوراتية عندما لبس آدم وحواء المُكرهين على ترك الجنّة المحكوم عليهما أن يتألما وإن الألم ليس لعنة للإنسان ، بل هو السبب المولّد للسعادة ، والذي يخرق سرّ العامودين لا يمكنه أن يشكّ بالأمر . ويتعلّم أن « العمل » ليس بعقاب إلاّ إذا كان متّجه نحو مآرب أنانية . لذلك ، لكي يصبح العمل ينبوع لا ينبض بالفرح والمسرّة ، يجب أن نخبّأه ، ويجب أن لا يكون السبب الوحيد للدوافع المذلّة ، ولهذا السبب إن المئزر هو أبيض ، نقيّ وطاهر . وبالاحتفاظ به كما هو ، كل فرد ، على مستواه ، يمكنه أن يحقّق هذا الكمال الذي يصبو إليه كلّ مُسارّيّ » .

« هذه الفكرة ، نجدها بقوّة في الأسطورة الفارسية التي تخبرنا عن الصراعات المتواصلة ضدّ الطاغية زوهاك ، والبنّاؤون العمال الذين كان يقودهم حتى النصر ، والحدّاد كاوه (KAWEH) كان مئزره الجلدي رايتهم » .

ونجد عند « أوزوالد ويرث » الأفكار نفسها لـ « راغون » و « بلانتاجينيه » ، ولكنه يزيد : « إن المفكّر يرى من خلال الرمز الجسدي الطبيعي ، للغلاف المادي ، الذي منه الروح يجب أن تُلبس مرّة ثانية لتشترك في عمل البناء الكوني » (في كتابه للمبتدئ صفحة ١٢٦) .

وفرنسوا مينار في كتابه الرمزية – ١٩٣٨ – صفحة ١٦٢ – ١٦٣ FRANÇOIS MENARD – LE SYMBOLISME – 1938 – P.162) (– 163 ، يفكّر أن المئزر الجلدي الذي يتزنّر به الماسوني يأخذ معنى رمزي كالغفّارة (أي رداء أبيض واسع يلبسه الكاهن وقت القدّاس) أو البطرشيل للكاهن . ويزيد قائلاً : « لماذا علينا أن نرتدي المئزر ؟ الجواب ، للحماية ولتغطية وفصل التأثيرات المضرّة . إن المئزر الماسوني يستّر ببساطة القسم السفلي من الجسم وخاصة القسم الأدنى من البطن ، الإشارة التي تعزل هذه الأعضاء الجسدية حيث أن التقليد يعترف أنه المركز الانفعالي للولع (الضفيرة العصبية الموجودة في البطن والتناسلية = PLEXUS SOLAIRE ET GENITAL) وهذا يعني أنه فقط القسم الأعلى من الجسد يشترك في العمل لأنه يحتوي على الامكانات المنطقية والروحية » .

« بما أن المئزر مصنوع من الجلد ، فهو في الواقع لا يذكرنا فقط بالمئزر الكبير لبعض العمّال ، ولكنه يرتبط طبيعياً مع المراكز التي تغطّى ، النطاق الحيواني ، وأن الجلد كان دائماً كحامي ، وعازل ، وأيضاً موجّه لبعض التأثيرات . إذاً ، يجب أن نضع هذه المراكز

الدقيقة في مأمن ، ليس لأبعادهم لحنقهم عن الإنسان ، لكن لتحويل فعاليتهم إلى نطاقات أخرى » .

∴

في التعليم العام والمعلن ، إن المئزر يرمز للعمل المستمرّ ، الذي على الماسوني أن يمارسه ، ولكن من المنطق أن لا تحصُره فقط بهذا المعنى .

إن المريلة المرفوعة لمئزر المبتدئ تحمي القسم الأعلى من البطن (EPIGASTRE) (صورة رقم ١١٤) .

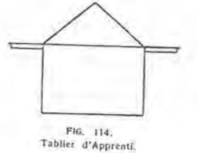


FIG. 114.
Tablier d'Apprenti.

ونقول بمعنى يختلف قليلاً عن المعنى المقدم من (فرنسوا مينار) ، إن أعلى البطن مرتبط بالعصبية الموجودة في البطن (PLEXUS SOLAIRE) وأن هذا الأخير يطابق الشاقرا أو الشاكرا الخاص بالسرّة (أنظر الفصل التاسع القسم ٢) الذي يتعلّق صراحةً « بالعواطف » و « الانفعالات » ، والمبتدئ يجب أن يحمي نفسه منهما ، حتى يصل إلى سكينة الروح التي تجعل منه مُساريّ حقيقي . من جهة ثانية ، عندما يبقى « منعزلاً » ، تبقى العواطف والانفعالات الخاصة للمبتدئ بعيدة عن خطر الانزعاج بإشعاعاتها إلى السلام العميق للمحفل الذي هو مقبول فيه . وهذا الخطر بما أنه

من المفترض أن لا يوجد عند الشغّال والأستاذ ، هؤلاء يمكنهم وبدون أي عائق إنزال المريلة على المئزر .

∴

غالباً ، يفسّرون المئزر لدرجة مبتدئ كممثلة و « الرباعية » ويعلوها « الثلاثية » .

إن ويلمسورست مؤلّف كتاب المعنى الماسوني (WILMSURST-THE MEANING OF MASONRY) ، يرى في المثلّث الذي يكوّن مريلة المئزر ، الروح التي ترفرف فوق الجسد ، وبعد فترة من الزمن ، يسقط الشغّال المريلة على المئزر علامة أن الروح تصبح بالجسد وتعمل منه أداته .

∴

« إن المئزر المصري القديم كان ثلاثيّ ، يقول ليدبيتر (LEADBEATER) الذي أخذ هذه التعليمات الدقيقة ... بواسطة كشّاف الغيب أي التبصير !) ورأس المثلّث يطال الزنّار ، وزخرفته تختلف من الحاليين » .

« إوزوالد ويرث » محلّلاً أعمال الدكتور شورشوارد (CHURCHWARD في كتابه الرمزية ١٩٢٥ – صفحة ٢٢٧ LE SYMBOLISME) كان متأثّراً خاصةً بالمئزر الثلاثيّ الذي كان يرتديه شخصيات مصرية . « من الكتاب الذي أصدره سنة ١٩١٥

تحت عنوان : THE ARCANA OF FREE MASONERY أي أسرار الماسونية ، ينسخ صور من التاريخ القديم لشعوب الشرق التقليديين لمسبيرو (MASPERO) ، التي تعطي المجال للماسوني أن يحلم بالأقل تحضيراً للإغراء بواسطة فرضيات مجازفة . ونرى شخصياً مع مئازر «صلبة» ذوو شكل مثلّث متوازي الأضلاع » .
وتبيّن لنا أن هذا الوضع مبني على خطأ في التفسير .
فإن الصورة على حائط الهيكل للملكة (هاتشيبوسوات HATSHEPSOWET) والتي ننسخها في (اللّوحة رقم ٧) تبدو لنا أنها تمثّل شخص مرتدي «مئزر ثلاثيّ» .



PLANCHE VII. — Personnages Egyptiens

(لوحة رقم ٧)

بينما هناك عند رينيه مينار وكلود صوفاجولا يبقي لنا أي شك بهذا الخصوص : « إن لباس الرجال ، كما يقولون (في كتاب : العائلة واللّباس في التاريخ القديم – ١٩١٢ – صفحة ٢٤٦ – ١٤٧) ، يتكوّن في غالب الأحيان من قماشة واحدة . تلفّ كل الجسم حتى الوصول للركبة . وهذا النوع من المئزر أو السروال يعقد على الخصر وقسم منه يتدلّى إلى الأمام . في الطبقات العالية ، كان المئزر مثبت بزنار مع عقدة من الأمام ، ويتقدّم إلى الأمام بطريقة أنه يرسم في القسم الأسفل زاوية حادّة ... » .

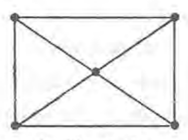
نقدّم نسخة من المؤلّفين ذاتهم ، لفرعون في لباس كهنوتي حيث نرى بوضوح أن « المئزر المثلّث » للمصريين هو خدعة بصرية ...

∴

ويمكننا أيضاً أن نرى نشأة المئزر الماسوني عند « الغاليين GAULOIS » وبهذا الخصوص نجد على العملة الغوليّة ، إشارة مربّعة و مستطيلة ونسمّيها « مئزر » .

يكتب (إد. لامبير ED. LAMBERT في كتابه تجربة في علم النقود الغولية في شمالي غربي فرنسا ١٨٤٤ – صفحة ٧٦ – ٧٧ ESSAI SUR LA NUMISMATIQUE GAULOISE DU N. O. FRANCE 1844 – P. 76 – 77) : « نسمّي « بيبلوم PEPLUM » هذا الرمز الذي نشير إليه بلوحة أو مئزر أو مقود ، ونراها عادة معلّقة بواسطة رباط متموّج أمام الصورة الأمامية للحصان في بعض الشعارات .

وهذا الشعار عادةً يكون مخترق بخطّين متشابكين حيث يجعل من الصورة خمسة نقاط التقاء (صورة رقم ١١٥) .


Fig. 115 — Le Signe du « tablier » en numismatique

نعتقد أنه حسب نهج البيتاغوريين ، أن الكهنة الغوليين (DRUIDES) كانوا يعلّقون أهمية بهذه التراتبية والمؤلّف من رقمين مزدوجين وثلاثة أرقام منفردة ، ولكن ما هو أيضاً إيجابي أنه يعتبر كرمز للهواء . ونرى هذه التراتبية تظهر قبل ظهور الحصان على بعض النقود المخصصة « للرودون REDONS » ... » .

لماذا إد. لامبير سمّى هذا الشعار « بيبلوم PEPLUM » (خاصة أن هذا الاسم كان رداء روماني طويل وفضفاض ومطرّز بحجارة كريمة وخاص للنساء) ، ولماذا سمّاه أيضاً « مئزر » ؟ وهذه الأسئلة، نحن غير متخصصين للرّد عليها . وفي كل الأحوال رأينا من الناحية الاستطلاعية أن نشير إليها .

∴

(هنري ساروريا HENRI SEROUYA مؤلّف كتاب عن الكبّالا LA KABBALE – صفحة ١١٠) يظن أن المئزر الماسوني يبدو أنه مستعار من الأسانيين (ESSENIENS) . ويكتب : « إن الأسانيين ، الذي يشبهون الرسل بطريقة حياتهم الفريدة والغريبة ، والذين كانوا

مدفوعين إلى أعلى درجة من التصوّف . كانوا منحدرين من « الحساديم HASSADIM » (من أتقياء أو قديسين) الذين كانوا قبل الثورة (الهثمونيين HASMONEENS سلالة حاكمة على فلسطين من ١٣٤ إلى ٣٧ قبل الميلاد والمنحدرين من المكابيين) . لم يكن يُقبل أحدٌ في جمعية الأسانيين ، إلاّ إذا نفّذ سنة تدريب . وعند انتهاء السنة، كان يُسمح للمتدرّب أن ينجز الوضوء الطقسي . وكانوا يوزّعون على كل مُستجدّ ثوب أبيض ومئزر الذين كان يستعملهم للاحتشام في الحمام » .

∴

يقول ليدبيتر : « إن زنار المئزر كان القسم الأهم ، وكان أكثر من رمز . إن الزّنار كان دائرة ممغنطة بشدّة ، مجهّز ليحتوي على أسطوانة أثيرية (ETHERIQUE) ، فاصلة القسم الأعلى من القسم الأسفل من الجسم ، لكي تمنع الطاقات الهائلة الآتية من المراسم الماسونية أن تصل إلى القسم الأسفل » .

ليدبيتر هو المؤلّف الوحيد ، حسب معلوماتنا ، الذي لحظ أهمية زنّار المئزر . وإذا كنا لا نقبل بالتفسيرات « الممغنطة » ، علينا على الأقل أن نعترف بأن الزنار يستحقّ النظر إليه .

إن الزنّار الذهبي في الرمزية المسيحية هو رمز الطهارة .

الأب أوبير (مؤلّف كتاب تاريخ ونظرية الرموز الدينية جزء ٢ صفحة ١٥٠ – ١٥١ وجزء ٤ صفحة ١٦٩ .ABBE AUBER

HIST. ET THEORIE DU SYMB. RELIGIEUX TOME II (P. 150 - 151 ET TOME IV P. 169 : « العناية برفع الثوب وبالتزنير للسير ، وكل عمل عفوي ، كان عند الأقدمين فحص للفعالية ولذلك كان الاحتقار للرخاوة ، وبنفس الوقت ، علامة العفّة للعادات ونقاوة القلوب » .

« ونجد بالحبل الذي يربط الكتّونة أو الغفارة بالخصر والصدر ، تلميح إلى توصية المخلّص : « إعتنوا بتزنير خواصركم » . وحسب القديس أندراوس رمز العفّة : « الله يسبر القلوب والكِلى (الخواصر) التي هي مراكز الانفعالات الجسدية » .

على العموم ، في القبول الخاص بدراسة الأيقونات الدينية ، إن الزّنار يعبّر عن العمل ، والسير والقوة والعفّة . ومن هنا نرى أن رمزية الزنار تقوّي رمزية المئزر . (لهذا السبب ، إن بعض الماسونيين يرتكبون خطأً بارتدائهم مئازرهم تحت السترة بحجة أنه غير جميل وضع الزنار على السترة) .

ومن جهة أخرى ، نعلم أنه في القرون الوسطى ، كانوا كلهم يرتدون الزنار ، وأن من ليس له زنار ، يعني ، علامة انحطاط ، وعدم قدرته بالقيام بواجباته ، وتنازل عن بعض الحقوق ، وأن المديونين الذي هم غير قادرين أن يدفعوا ، كانوا مجبرين على التخلّي عن الزنار ، وأن الأرامل كانوا يضعون الزنار على قبر أزواجهم عندما كانوا يتخلّون عن الميراث .

∴

تقول (جيدالد مؤلفة قاموس ريا GEDALGE :DICT. RHEA) :

« إن مئزر المبتدئ مصنوع من جلد الحمل وشكله شكل أتانور » (ATHANOR أي فرن فيه الفحم عندما يحرق ينزل إلى الأسفل فيبقي النار الخفيفة طويلاً) .


FIG. ... — L'Athanor

إن الأتانور يأخذ شكل المضلّع الخماسي عند الألخميين ، وهذا يمكننا أن نراه في أسفل قسم من الباب الوسطي لكاتدرائية نوتردام في باريس .

يجب أن نتذكّر أنه إذا لم يستعملوا هذا الشكل في المئزر الماسوني ، يمكن أن يستعمل هذا الشكل ، لاحقاً (صورة رقم ١١٦) .

إذا كان المئزر اللّباس الأساسي للأستاذ ، فإنه في القرن الثامن عشر كان اللّباس للأستاذ مؤلّف (حسب الكتب القديمة) من سترة صفراء وسروال أزرق ، وكان يرمز إلى البركار الذي فيه القسم العلوي (أي أغصانه) مكوّن من النحاس والقسم الأسفل من الفولاذ . لقد لحظنا سابقاً أن المئزر يتغيّر حسب التبعيات والطقوس . وبالواقع فإنه بالطقس الإيكوسي دائرته مكوّنة باللّون الأحمر ، أما في الطقس الفرنسي فدائرته مكوّنة باللّون الأزرق . وفي بعض المحافل للطقس الإيكوسي القديم المقبول تبنّوا المئزر ودائرته باللّون الأزرق والحاشية بالأحمر التي تشبه وشاح الأستاذ ...) .

إن مؤتمر لوزان في ١٨٧٥/٩/١٥ صنّف الزينات الماسونية للطقس الإيكوسي القديم المقبول كما يلي :

- للمبتدئ ، يكون المئزر من الجلد الأبيض ، والمريلة مرفوعة .
- للشغّال ، يكون المئزر خاصة المبتدئ مع المريلة مطويّة . ويمكن تبطينها بالأحمر مع دائر أحمر .
- للأستاذ ، فيكون المئزر مبطّن بالأحمر وفي وسطه الأحرف M ∴B∴ بالأحمر .

هذه التعليمات واضحة بالنسبة للألوان ، إنما مئازر الأساتذة تكون أغلبيتها مبطّنة بالأسود . ونلاحظ أنه عادةً في « قرع الحداد » نقلب المئزر والوشاح ، أما في الواقع علينا أن نلبس البرقع الأسود للحداد . إذا كان المئزر مبطّن بالأحمر حسب تعليمات مؤتمر لوزان، فإن « التقلّب » لن يعود مفيداً .

∴

أغلبية الماسون يعتبرون مئزر الأستاذ من اللّوازم الاختيارية ، أما الوشاح فهو وحده لا غنى عنه . وهنا يكمن الخطأ الذي يثيرونه الماسونيون « الرمزيين » .

(جاستون مواس GASTON MOYSE في الرمزية ١٩٣٩ صفحة ٩٠ – LE SYMBOLISME 1939 P. 90) ، نشر مرافعة لصالح المئزر الماسوني ، وفيها يلاحظ : « الاحتقار الملقى على لباس المئزر ، مع أنه منذ أكثر من قرن هو منتشر وقد أصبح قديم .

في بداية الماسونية الرمزية كانت المبادئ المُسارية مجهولة ، وكانوا عند توزيع ألواح الدعوات يذكرون الأخوة بهذه العبارة : « المرجو تزويدكم بالمئزر » .

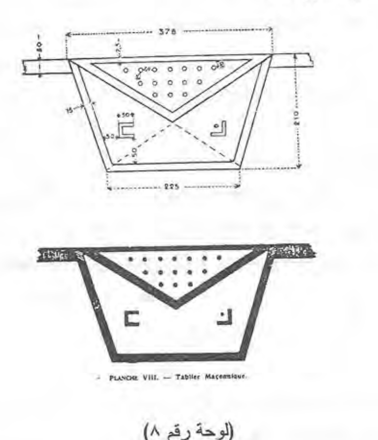


PLANCHE VIII. — Tablier Maçonnique.

(لوحة رقم ٨)

ويقول أيضاً المؤلّف : « إنه مثير جداً للاهتمام ، أن نحدد الفترة التي فيها أغلبية الماسون الأساتذة قد تخلّوا عن المئزر الماسوني . حالياً كل شيء يدعو إلى التفكير بأن التخلّي عن المئزر سببه الحجم المثير للسخرية للزينة التي تعطيها للمبتدئ عند قبوله ، وهم يحتفظون بها

لغاية وصولهم لدرجة شغّال ، وعندما يُقبلون كأساتذة يكتفون بشراء الوشاح ، مقلّدين القدماء في المحفل » .
وهذا التخلّي عن المئزر كان قديماً جداً ، لأن « راغون » في كتابه عن طقس درجة المبتدئ (صفحة ٢٤ – ٢٥) يكتب ما يلي : « هناك محافل حيث الضبّاط وحتى المحترم يمكنهم أن يعفوا أنفسهم من ارتداء المئزر لأنهم يلبسون أوشحتهم . فهذا هو خطأ وهفوة : إن المئزر يرمز إلى العمل ، وهو أكثر ضرورة من الوشاح ، وأنه حقيقة
« اللباس » الماسوني ، أما الوشاح فليس إلاّ للزينة . في بعض الدرجات العليا ، يمكن في الجلسات الاستغناء عن المئازر لأن العمل يكون انتهى فرضياً ، ولكن الجلسات الرمزية ، حيث العمل يبدأ ، المئزر ضروري » .
عند « راغون » ، لا شيء تغير ، والمئزر لم يزل مهمل .
يسأل (ف. شابوي في نشرة المحافل العليا – ١٩٣٤ صفحة ١٥٣ – F. CHAPUIS – BULLETIN DES ATELIERS SUPERIEURS 1934 P. 153) ، « لماذا تخلّوا عن المئزر ؟ » ويجيب هو : « بكلّ بساطة وخوفاً من السخرية ؟ لأن الحملة المناهضة للماسونية تعتبرنا نرتدي « جلود خنازير » ، أصحيح في فرنسا هذا الرمز هو مهمل؟ علماً أن الشائعة الدنيوية عليها أن تصل وتقف على أبواب الهياكل ، وعليها إذاً أن تنجح على تبديل تقليدنا ؟ (خاصة أن الجلود هي صادرة عن الحمل) وأن الماسونية لا يجب أن تخجل من مئازرها . لأنها رمز العمل . والبناؤون الذين بنوا الكاتدرائيات كانوا يرتدونها

بكل فخر واعتزاز ، وخاصة البناؤون لهيكل الغدّ الرمزي للإنسانية لا يجب أن يخجلوا من ارتداء المئزر » .

∴

إن مئزر المحفل الأكبر الإنكليزي مبطّن ودائره أزرق وتحت المريلة، على اليمين وعلى اليسار يوجد شريطين منتهيين كل واحد بسبعة بلّوطات فضيّة . وعند ليدبيتر (LEADBEATER) في الماسونية المختلطة ، البلّوطات مذهّبة ، وتمثّل ، حسب أقواله ، السبع شعاعات للحياة والسبع حالات للمادة (؟) .
إن الماسونية الأنكلو-ساكسونية بقيت وفيّة بالنسبة للمئزر ، وفي هذه الحالة فهي متفوّقة على الماسونية الفرنسية .

٢. الأوشحة

للأوشحة في الماسونية شكلين : الوشاح المورووب والوشاح المتصالب . وتقول جيدالج مؤلّفة قاموس ريا (RHEA) : « إن الوشاح المورووب يظهر أنه على صلة في علم التنجيم ويبدو أنه يتعلّق بالماسونية في الهند ، في تشابهه مع « الوشاح » للبراهمان » .

هنا يجب أن نعترف أن هذا التشابه دقيق ، لكن يجب أن نكون حذرين في هذا الموضوع . في الحقيقة أن مدام جيدالج كانت « متخصصة بالحكمة الإلهية THEOSOPHE » وكان يطيب لها أن تجد نقاط تقارب مع الهند . من ناحية أخرى ، وجد تشابه مع الوشاح الموروب للأستاذ والشريط البروجي ، إذ أن انحرافه يتطابق مع مدار الشمس الظاهري بين الأبراج بالنسبة لخط الاستواء السماوي . إنّ الوشاح الموروب يلبس من الكتف الأيمن إلى الأيسر ويذكر بحمّالة السيف .

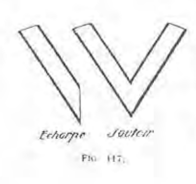


FIG. 117.

هذا الوشاح يبدو أنه كان موجوداً منذ أوائل تاريخ الماسونية « الرمزية » . وكان الوشاح هذا يفرض التساوي بين أعضاء المحفل (صورة رقم ١١٧) .

∴

قال (ويرث مؤلّف أسرار الفن الملوكي – صفحة ١٢٩ – WIRTH : (AUTEUR LES MYSTERES DE L'ART ROYAL P. 129

« إن أكبر العظماء كان لهم شرف ارتداء المئزر ، وهذا لا يمنع من أن بعض الماسون يفضّلون على هذا الشعار المعتبر متواضع ، الوشاح المصنوع من الحرير الأزرق للفرسان القدماء من الجمعية الملكية والعسكرية للقديس لويس التي أسست من قبل ملك فرنسا

لويس الرابع عشر سنة ١٦٩٣ والمكوّن من وشاح أحمر وليس أزرق، وكان هذا الاختبار برهان غرور دنيوي غبيّ ، لأنه دون مئزر ليس هناك ماسون . ونزيد بالقول أن الماسوني مهما كان ، بدون مئزره هو غير « مزيّن » ، وإذا كان المحترمين مقتنعين بروح الماسونية فعليهم أن يمنعوا الدخول إلى المشغل كل صاحب مقام رفيع ، حتى ولو كان عضو مجلس فدرالي مُهمِلاً لباس الشعار الماسوني الأهم ... علماً أنه على المحترمين أن لا يقترفوا هذا الخطأ هم بذاتهم .

حتى أن لباس الوشاح ليس إجباري ، أما المئزر فهو طقسياً ، مفروض . ولكن في المناسبات « للجلسات البيضاء » عليهم أن « يتزينوا » بدرجة الأستاذ ، أي بارتداء أوشحة وليس مئازر . وهذه الفرضية الحكيمة في التعليمات الماسونية تدل أيضاً على الطابع « التزييني » للوشاح .

إن التطريز الذي يزيّن الأوشحة هو اختياري . حتى ولو كانت كثيرة ومتعدّدة ، لا تدل ، على درجة إلاّ غير درجة أستاذ ، ولا حتى أية وظيفة .

نقدّم هنا لوحة (لوحة رقم ٩) من بعض الأشكال من الأوشحة ، وعليها كل الرموز الماسونية .

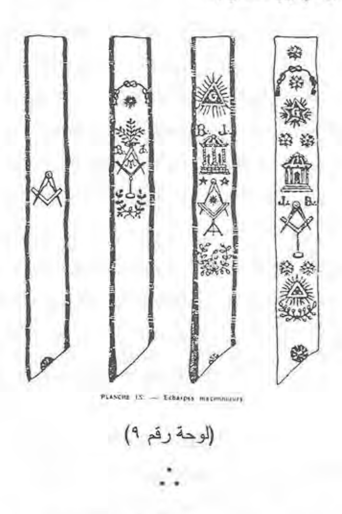


PLANCHE IX. — Echarpes maçonniques

(لوحة رقم ٩)

∴

إن الوشاح للطقس الفرنسي لونه كاملاً أزرق ، وللطقس الإيكوسي لونه أزرق وإطاره أحمر . ورمزية هذا الإطار محدد من قبل (هنري جوليان مؤلّف كتاب حلقة الاتحاد ١٩٤٧ صفحة ١٠٤ – HENRI JULIEN : LA CHAINE D'UNION 1947 P. 104) : « بعض

الخاصيات لدرجة الأستاذ في الطقس الإيكوسي ، تبدو لنا متفوقة لمثيلاتها في غير الطقوس ، مثلاً ، ثنائية اللّون في الوشاح الذي نعتبره كتقليد للشكلين ، السلبي والإيجابي ، والطاقة الأرضية والمغنطيسية الكلية » .

في رمزية العناصر ، اللّون الأزرق يعني الهواء (لنذكّر هنا ألوان العناصر : الأسود للتراب ، الأخضر للماء ، الأزرق للهواء والأحمر للنار) . في علم التنجيم ، العلامات الهوائية : الجوزاء ، الميزان والدلو تعطي من الوجهة الروحية ، الاستقبالية والإحساسية .

« رمز الروح الهواء ، كما أن لونه هو الأزوري أو الأزرق السماوي » يقول فريديريك بورتا لـ (مؤلّف كتاب الألوان الرمزية عند الأقدمين وفي القرون الوسطى في التاريخ المعاصر – إعادة طبعه ١٩٣٨ – صفحة ٩٠ – FREDERIC PORTAL : DES COULEURS SYMBOLIQUES DANS L'ANTIQUITE , LE MOYEN AGE ET LES TEMPS MODERNES REEDICTION 1939 P. 90) .

« إن النار الممزوج بالأثير (ETHER) ، أو الأحمر والأزرق ممزوجين ، يمثّلان الإثبات للحبّ والحكمة في الأب للإله والبشر » . وهكذا نجد تبرير للشراكة بين اللّونين المذكورين في الطقس الإيكوسي .

وحتى فريديريك بورتال ، يقدّم لنا براهين أخرى عندما يقول : « الرمزية تميّز ثلاثة ألوان في الأزرق : الأولى وتشتق من الأحمر والثانية من الأبيض ، والثالثة التي تتّحد مع الأسود . أما الأزرق

المشتقّ من الأحمر يمثّل النار الممزوج بالأثير ، ومعناه هو الحبّ السماوي للحقيقة ، في الأسرار يتطابق مع عمادة النار » .
« الأزوري يمثّل التجدّد أو التثقيف الروحي للإنسان ، والأحمر يمثّل التطهير » . ويمكن أن نفكّر منطقياً أن هذا اللّون ليس بالصدفة قد اعتمد ، كما أن الرمزية الماسونية قد اختيرت لتكون كلّها معتمَدة .
ويمكننا أيضاً قبول التساوي واقعاً بين الأزرق والأحمر . لأن الأول يمثّل السماء ، و « القبة المنجّمة » في المحافل الماسونية ، أما الثاني فيمثّل السموّ والتفوّق . (ولكن لا يجب أن نخلط الأحمر الذي يرمز إلى العامود (B) مقابل الأبيض الذي يرمز إلى العامود (J) ، إنما علينا أن نأخذ بعين الاعتبار « النسبية » للرمزيات .
ومن جهة أخرى ، فإن الدرجة الأكثر أهمية في الطقس الإيكوسي هي الدرجة (١٨) ، درجة الصليب – الوردي ، والتي وشاحها باللّون الأحمر . وهذا اللّون يبدو على مئزر الشغّال ، هذا يفسّر أن النظام الإيكوسي يركّز على هذه الدرجة .
على كل حال ، فإن هذان اللونان لهما القيمة والأهمية ، وإذا كنا نعطي الأفضلية إلى جمعهما ، نقرّ بأن اللّون الأزرق وحده يمثّل دون شكّ أهمية الرمزية . ولكن الأحمر محدداً ، الوشاح ، لا يدلّ إلى تحديد ، بل العكس ، يعيد الانفعال للاشعاعات ، واتساع في الاتجاه الروحي .

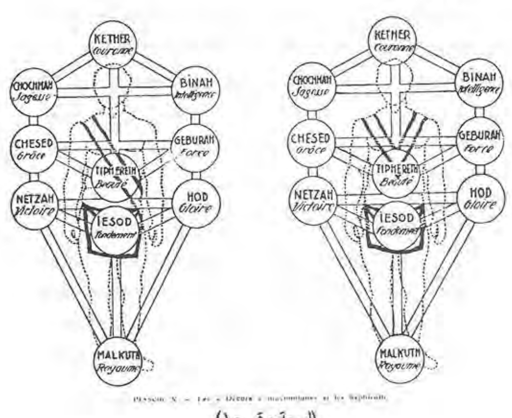
⁖

إن الأوشحة تدلّ دائماً على وظيفة في الماسونية الزرقاء ، أما في المشاغل العليا فهي شعار لدرجة دون تحديد الوظيفة . الشريط الذي يصنع به هو بنفس اللّون للأوشحة ، ويعني في الطقس الفرنسي الأزرق ، أما في الطقس الإيكوسي فيكون أزرق وشريط حاشيته أحمر . كل ضبّاط المحفل ، عليهم ارتداء الوشاح الذي لا يجب أن يتراكم مع الوشاح الموروب . إن مستشاري النظام في الشرق الأكبر الفرنسي (طقس فرنسي) يرتدون وشاح برتقالي اللّون وشريط حاشيته خضراء مزيّنة بحاشية بريم ذهبي ، أما المستشارين الفدراليين للمحفل الأكبر الفرنسي (طقس إيكوسي قديم مقبول) يرتدون وشاح أبيض مزيّن بحاشية بريم ذهبي . في جلسات المحفل ، كل المستشارين والضباط عليهم أن يرتدوا مئزر الأستاذ .

∴

تطبيقاً لشجرة السفيروث ، على الإنسان (عكس الشكل للسفيروت في الفصل الثالث (٥) أي الجهة اليمنى للشكل هي الجهة اليسرى للإنسان) ، نرى في (اللّوحة رقم ١٠) أن الوشاح الموروب للأستاذ ينطلق من الحكمة (SAGESSE – CHOHMAH) وينتهي عند المجد (GLOIRE – HOD) ، ماراً بالجمال (BEAUTE – TIPHERETH). إذاً الوشاح الموروب هو شعار تنفيذي من « الوحي » إلى « المادي » معتدلاً مروراً بالجمال (BEAUTE – TIPHERETH) التي هي السفيرة المتوازنة بين القوة (FORCE – GEBURAH)

والنعمة (GRACE – CHESED) . والوشاح المورّوب يشير فعلاً إلى الأعضاء « الفعّالة » للمحفل ، أي الأساتذة . أما الوشاح الذي يبدي من الحكمة (SAGESSE – CHOHMAH) إلى العقل (INTELLIGENCE – BINAH) منبثقاً من التاج أو السلطة (COURONNE – KETHER) وينتهي عند الجمال (– BEAUTE TIPHERETH) . إنه شعار التوازن والتمركز ، شعار السلطة وموجّه للقوة الذي ينتهي مروّس . إنه ليس فقط رمزاً ولكن أيضاً أداة فعاليّة حقيقية .



(لوحة رقم ١٠)

أما الزاوية التي تنهي وشاح المحترمين فهي تشكّل مع الوشاح « صليب القديس أندراوس » الذي يشير إلى « الإشعاع » الخاص الذي يميّزهم (صورة رقم ١١٨) .

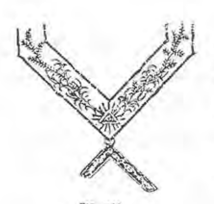


FIG. 118.
Sautoir de Vénérable.

هؤلاء يمثّلون فعلاً الاتحاد الروحي للماسونية والسلطة التي تولّوها وهي معتدلة بالعطف (بالجمال TIPHERETH) الذي يجب طبيعياً أن تسيطر على أفعالهم . إن المحترمين هم بنفس الوقت « نشيطين » و « مهذّبين » ، يجب عليهم ، من جهة ، أن ينبّهوا حماسة الأعضاء الذين هم في محافلهم ومن جهة أخرى ، أن يحلّوا وأن يسهّلوا كل العوائق التي قد تواجههم .

∴

إن الأوشحة الموروبة ، والأوشحة هي عامةً مبطّنة باللّون الأسود . أما كتاب المحقّق في صحيفة الماسون للوزان (١٨٧٥) (TUILEUR DE LAUSANNE 1875) فهو لا يقول شيئاً لهما يخصّ البطانة ، ولذلك نرجع إلى ما قلناه سابقاً بخصوص المئزر . ولكن يبدو لنا أن البطانة يجب أن تكون حمراء في الطقس الإيكوسي وزرقاء في الطقس الفرنسي .

يمكننا أن نقبل في الحالة الأولى أن اللّون الأحمر « المخبأ » يدل على « النار السرية » التي تنعش الماسوني والتي لا يرى إلاّ من خلال أطراف الوشاح ، وفي الحالة الثانية ، يدلّ على الحزم عند الماسوني « داخلياً » و « خارجياً » . ونفكّر أن العلم العام للرمز المشار إليه هنا يمكن أن يصبح سهلاً يحوّله قرّائنا إلى رمزية باطنية .

∴

في درجات إيلوس (ELUS) وكادوش (KADOSH) ، نجد أوشحة موروبة يرتدونها من الشمال إلى اليمين . وهذه الأشرطة مفوض أن تحمل بطرفها خناجر وليس سيوف . والطقوس تقول أن هذه الأشرطة تشير إلى « أن العقل والقلب يعطيان الأوامر إلى اليد » . هذا المعنى المعكوس يشير بالأحرى إلى الانفعالية واللّون الأسود لهذه الأوشحة يقوّي أيضاً هذه الرمزية .

قد لحظنا هذه « الشذوذ » لأنها ذو معنى ، ولسنا هنا بصدد تحليل الأوشحة الموروبة أو الأوشحة للدرجات العليا . إن الماسونية هي « كاملة » ، ونكرّرها في درجاتها الأولى الثلاث ، وإليهم فقط حدّدنا دراستنا للرمزية الماسونية .

٣. الحليّ

إن الحليّ في الماسونية هي ستة : منها ثلاثة يسمّونها « الحليّ الثابتة » والثلاثة الأخرى يسمّونها « الحليّ المتحرّكة » أو « الحليّ النظامية » .

إن « الحليّ الثابتة » هي : الحجر الغشيم والجر المكعّب ولوحة الرسم التي تتطابق تباعاً لدرجة مبتدئ ، شغّال وأستاذ . هذه « الحليّ » أي الأشياء الثمينة ، يجب أن تظهر في كل محفل . الحجر الغشيم والحجر المكعّب يكونان على الشمال وعلى اليمين تحت المنصّة أما لوحة الرسم فيجب أن تكون في الوسط ، مقابل المحترم .

أما « الحليّ المتحرّكة » : الزاوية والمسواة وخيط الشاقول . فهي تزيّن وشاحات المحترم والمراقبين . ويسمّونها « متحرّكة » لأنها تنتقل من أخ لآخر حسب الوظائف التي تلقى عليهم .

عموماً ، إن الضبّاط لا يحملون حليّ . ولكن على وشاحهم تطرّز علامة وظيفتهم كما يلي :

- خطيب : كتاب مفتوح مع كلمة « قانون » لأنه يكون « حامي » الدستور الماسوني .
- أمين السر : ريشتان متشابكتان .
- الخازن : مفتاحان متشابكان .
- التشريفاتي : سيفين متشابكين وعصا .

- الخبير : سيف متشابك ، مع مسطرة وعين ، شعار التيقّظ .
- أمين الصندوق : كيس نقود .
- الحارس : سيف عامودي ومسكته من تحت .

إذا كنا نودّ أن نعطي كل من الحليّ المتحرّكة معدنه متطابقاً برمزه الكوكبي ، والذي تكلّمنا عنه سابقاً ، لأعطينا الزاوية التي يحملها المحترم القصدير (المشتري JUPITER) ، المسواة للمراقب الأول الفولاذ (المريخ MARS) ، والخط العامودي النحاس (الزهرة VENUS) . ولكن عموماً هذه الحليّ مصنوعة من نحاس مذهّب .
بعض الضباط يمكنهم أيضاً حمل حليّ محفورة من الصفات التي يحملونها .

∴

إن الحليّة (PANTACLE) هي نجمة مؤلّفة من ثلاثة مثلّثات متساوية الأضلاع ، وتردّ التأثيرات المغناطيسية المنبثّة من المجتمعين وعلى الضباط أن يقاوموها لأنهم يديرون المشغل .
إن النقطة الحساسة لجسم الإنسان تقع في المنطقة فوق البطن بين السّرة وعظم الصدر المغروسة فيه أطراف الأضلاع من الجانبين (EPIGASTRE) . لذلك ، حليّة الضباط معلّقة في الوشاح لها فاعلية حقيقية لا توجد في حلية الأستاذ .



FIG. 119.
Le Bijou de Maître.

وهذه الحلية هي عموماً مكوّنة من بركار مفتوح ٤٥° ، موضوع على زاوية ، وفي داخلهما وفي الوسط يثبّت النجم الساطع وفي وسطه الحرف (G) ، وبعض الأحيان يحاط بأغصان الأكاسيا (صورة رقم ١١٩) .

∴



FIG. 120.
Bijou de Conseiller fédéral.

إن المستشارين الفدراليين وأعضاء مجلس النظام يرتدون حليّة خاصة (PANTACLE) أي النجمة المؤلّفة من ثلاثة مثلّثات متساوية الأضلاع ، موهوبة بشعاع مهمّ ، وعلى رأس المثلّثات يوضع تاج ذو سبعة نقاط (صورة رقم ١٢٠) .

الأرقام سبعة في التاج وتسعة ، عدد رؤوس النجمة هي أرقام الأستذة الكاملة (العمر والطرقات) . والمثلّثات الثلاثة يشيرون إلى العمل والتأثير في : العالم المادي والعالم النفساني والعالم الإلهي والفائق . ومن جهة ثانية ٧ × ٩ = ٦٣ وهذا الرقم قد نبّهنا إلى أهمية خاصة في الكتاب .

∴

وأخيراً ، علينا أن لا ندخل الحليّ التي تعلّق بسلاسل ، ودبابيس ربطات العنق وأزرار القمصان إلخ ...
التي يجاهرون بها بعض الماسونيين الذين لا يخافون أن يظهروا انتمائهم ، هذه الحليّ ليست من عداد الحليّ الماسونية . لأن الحليّ الطقسية الماسونية هي فقط التي أشرنا إليها سابقاً .

٤. القفازات البيضاء

هل من الضروري أن نقول ، أن القفّازات البيضاء هي رمز للطهارة ؟
إن استعمال القفازات البيضاء لن يهمل بعد ، والعديد من الماسونيين الفرنسيين يحترمون هذا التقليد . والتمنّي هو أن يعمّم هذا التقليد . في بعض البلدان الأجنبية فإنها قاعدة ملزمة ولا استثناءات بهذا الموضوع .
إن المبتدئ ، عند قبوله ، كان يستلم ، منذ عهد قريب ، زوجين من القفازات البيضاء : واحدة له وواحدة يجب عليه أن يقدّمها « للمرأة التي يقدّرها الأكثر تقديراً » .
في كتابه عن المبتدئ (صفحة ١٢٨) يقول ويرث : « يوم تسلّمه القفازات البيضاء عند اختباره المُساريّ ، فإن الماسوني يظلّ يتذكّره وفي نفس الوقت يتذكّر إلتزاماته . وعند اقتراب أجله ، فإن المرأة

التي يقدّرها أكثر تقديراً ، تقدّم للماسوني القفازات البيضاء رمزاً لضميره الحيّ ، وتكون مهمتها كحارسة على شرفه . وماذا يمكن للإنسان أن يسلّم مهمّة أسمى من هذه المهمّة للمرأة التي يقدّرها كثيراً ؟ »

ويزيد ويرث في قوله : « يلاحظ الطقس أنه ليس دائماً من نحب الأكثر ، يجب أن تكون ملهمة الأعمال الكبيرة والمعطاة ، لأن الحب غالباً يكون أعمى ، وأنه يمكننا أن ننخدع بالقيمة الأخلاقية للتي نحب . وفي الماضي كان الماسون يسمّون « المرأة التي يعتبرونها الأجدر اعتباراً وتقديراً : المستترة CLANDESTINE » . وهنا يسرد ويرث هذه الحكاية : « عندما اختبر مُساريّاً جوته (GOETHE) في ويمار ١٧٨٠ (WEIMAR) ، كرّم بإهداء قفازاته الرمزية لمدام فون شتاين (WON STEIN) مع ملاحظته أن الهدية كانت زهيدة بظاهرها ، ولكنها فريدة لأنه لا يستطيع الماسوني في حياته كلّها أن يقدّمها إلاّ مرّة واحدة فقط .

إن القفّازات البيضاء ترمز أيضاً في الطقس المسيحي ، إلى طهارة القلب والأعمال . والمطارنة والكرادلة وحدهم فقط لهم شرف امتياز ارتدائها . ونلاحظ أيضاً أن القفازات كانت بدايةً لونها أبيض أما بعد القرن الثاني عشر أصبحت متناسقة مع لون اللّباس الكهنوتي .

ويقال أيضاً أن القفازات البيضاء للماسوني تدلّ على طهارة يديه وأنه لم يشترك بقتل حيرام .

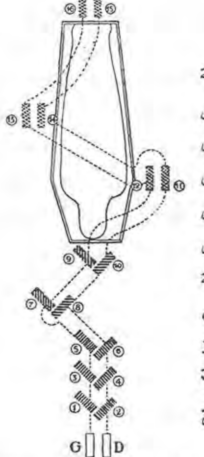
∴

إن القفّازات البيضاء في الماسونية ليست فقط رمزاً ، ولكن أيضاً أداة طقسية . ونعلم أيضاً بطريقة أكيدة ، إن قوّة مغنطيسية فعلية تنبثق من أطراف الأصابع ، وأن الأيادي المرتدية قفازات بيضاء لا ترشح منها إلاّ قوة مغناطيسية محوّلة وغير خطرة (BENEFIQUE) .

في جمعية ماسونية ، حيث الكلّ يرتدون قفّازات بيضاء ، ينبعث جوّ خاص جداً والذي يحسّ به بوضوح بالإضافة إلى ذلك هو الأقل إطلاعاً . إن انطباع سكون ، وصفاء وطمأنينة يستتبع طبيعياً .
إن التغيير الذي يحدث من جرّاء هذا « الدليل الخارجي » هو أعمق من الرّغبة من أن يُصدق به . وهذا بالإضافة إلى ذلك يطبّق على العديد من الرموز التي تصبح فعّالة عندما تنتقل من المستوى « الباطني » إلى المستوى « الطقسي » .

الفصل التاسع

السلوك والإشارات



(لوحة رقم ١١)

١. المشي

كل من الدرجات الثلاث الرمزية لها مشيتها الخاصة . وأن المشي مترافق بالإشارة الخاصة لكل درجة ، هي إلزامية لكل الماسون الذين يودّون الدخول إلى المحفل عندما تكون الأعمال مفتوحة . وعملياً ، هذه الوضعية تكون دائماً في درجة المبتدئ ، أما السير لدرجة شغّال أو أستاذ لا تستعمل ، أو « تذكَر» إلاّ عند أعمال الاختبار المُساريّ لهذه الدرجات .

∴

إن مشية المبتدئ تتضمّن ثلاث خطوات متساوية ، وذو حظ مستقيم ، الأرجل تشكل زاوية . وفي الطقس الإيكوسي فإن المشي يبدأ بالرجل اليسرى أما في الطقس الفرنسي فبالرجل اليمنى .

يقول إوزوالد ويرث في كتابه عن الشغّال (صفحة ١٥١) : « أية حجّة حسنة أو سيئة لم تقدّم لصالح الرجل اليسرى . أما في المشية المبتدئة بالقدم اليمنى فهي مبرّرة بالواقع بأن القدم اليمنى تمثّل الحيويّة والمبادرة والتفكير المنطقي ، أما القدم اليسرى تمثّل السلبية والخضوع والعاطفة . إذاً إن القدم اليمنى ، منطقياً ، يجب أن تتقدّم ، وثم تساندها القدم اليسرى التي بدورها أن تتبع » . (أما العبارة « بدأ يمشي برجله اليسرى » تعني في اللّغة الدارجة « بدأ مشيته بثبات » . ومن جهة ثانية ، يقال عن الحصان أنه يعدو مبتدئاً بالقدم الصالحة ، أي بالقدم اليمنى) .

ويزيد بلانتاجينيه في نفس اتجاه ويرث قائلاً : « إن المشي بدأ بالقدم اليسرى يظهر لنا أنه لا يمكن تفسيره ، وأنه غير لائق في الماسونية أن يكون في أية درجة من التدرّج هناك سلبية عمياء أو تخلّي مطلق للانفعالات العاطفية مبرّراً رمزية ونشاط العمل الشخصي ، الواعي والمصمّم . ثم إن المشي يعزّز كغير قابل للتوفيق بحدّ ذاته مع الانطلاق بالقدم اليسرى ، ومنذ ذلك الحين لا نرى كيف نبرّر منطقياً هذه الوصفة » .

« إنه بدون أي شك ، ينشئ هذا التبدّل في التعاليم التقليدية خطأً فادحاً : إن « المشية الإيكوسية » المنطلقة بواسطة القدم اليسرى ، الجهة الانفعالية السلبية والعاطفية » .

يجيب أن السير ابتداءاً بالقدم اليسرى يتبرّر بسهولة لأنه بالضبط نرتكز على القدم اليمنى . إن القدم اليمنى تعني العقل لذلك تبقى ثابتة، أما اليسرى فتعني العاطفة ، هي وحدها متحركة عكسياً ، انطلاقاً من القدم اليمنى ، نقذف إلى الأمام العقل ونقطة الارتكاز بما أنها اليسرى تبدو تظهر أننا نرتكز على الانفعال « أي السلبي العاطفي » . أما القدم اليمنى عندما تلتصق على القدم اليسرى « تصحح » الأخطاء التي قد تمكنت القدم اليسرى من تنفيذها . نرى أنه من السهل دحض البراهين « المنطقية » لأخصام السير مبتدئين بالقدم اليسرى ، وهذه البراهين هي ، عدا عن ذلك ، للتوضيح ، محض « عاطفية » .

∴

« يقول بلانتاجينيه نلاحظ معاً ، كم هذا السير الطقسي هو متعب ، مقطوع بقسوة بثلاث وقفات ، تقطع الوثبة ، كل وقفة تجبرنا على مجهود جديد للانطلاق ثانية » .

« إن السير لم يدخل طقسنا بالصدفة . ليسنا نحن من اخترعناه ، إنما هو رمزاً مبنياً بكل قوائمه لمصلحة الإيحاءات السعيدة للعقل الأليف

مع التجريدات . في الواقع ، إن السير والمراحل الثلاثة لن تنطبق ، كإيقاع ومفهوم ، مع الصور الثلاث للأبراج ؟ »

« نعلم أن هذه الأبراج هي الحمل والثور والجوزاء . وتتطابق مع الأشهر : آذار ، نيسان ، أيار حزيران وتموز ، أي مع فصل الربيع ، وهي متوافقة مع السنة الماسونية التي تبدأ في أول يوم من شهر آذار » .

« علم التنجيم يعتبر أن الحمل هو تحت تأثير كوكب المرّيخ وبالتالي يستدعي فكرة « الصراع » التي تأكّد التجدّد الشمسي . أما الثور الذي يوحي إلى الخطوة الثانية ، يعبّر عن العمل المثابر والمتجرّد . وأما الجوزاء الذي تحت تأثير كوكب عطارد فهو معتبر كشعار للأخوّة » . هل علينا أن نقبل أو نرفض هذه الرمزية في علم التنجيم الذي يتوسّع به بلانتاجينيه بمُجاملة ؟ نعم ، يمكننا قبوله باعتبار ، وكما قلناه سابقاً ، أن كل الرمزيات الحقيقية تتقاطع وتدقّق بعضها البعض . وإذا أردنا التشبيه مع العناصر فيكون ، الحمل شعار النار ، والثور شعار التراب والجوزاء شعار الهواء . والخطوة الأولى تعبّر عن الحيوية ، والثانية عن التركيز والثالثة عن الإدراك .

إن مشية المبتدئ مستقيمة وتنفّذ بواسطة الزاوية ، لأنه وضع على « الطريق القويم » ، ولأنه « اختبر مُسارياً » . ومشيته تذكّره المشقّات التي سيجابهها بالنسبة إلى المكان الذي هو موجود فيه وبحاجته بأن لا يبتعد عن طريقه .

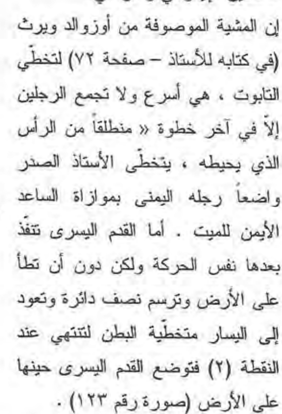
∴

إن مشية الشغّال تتضمّن ثلاث خطوات للمبتدئ زائد خطوتين خاصتين . إن الخطوة الأولى من الخطوتين تنفّذ بالقدم اليمنى في الطقسين الإيكوسي والفرنسي . أما الخطوة الثانية ترجع الشغّال إلى الخط الأساسي . بما أنه في الطقس الإيكوسي ، المشي يبدأ بالقدم اليسرى ، إنه من المعقول أن الانحراف ينفّذ بالقدم اليسرى وليس اليمنى في هذا الطقس . وبالفعل ، فإن الانحراف بالقدم اليسرى يبيّن إمكانية الضلال في الانفعالية ، بينما ، وهذا شيء أخطر ، فإن الانحراف إلى اليمين يبيّن احتمال زوغان في الرّشد .

يسأل ويرث في كتابه للشغّال (صفحة ٦٣) : « لماذا في مشية الشغّال تضمّن خطوة تنفّذ بانحراف ؟ » فيجيب هو : « ليبيّن أن الشغّال ليس مفروضاً عليه أن يتبع دائماً الاتجاه نفسه . لكي يتثنّى له أن يتابع الحقيقة التي تحتجب في كل مكان ، فعليه أن يسمح له الانحراف عن الطريق المتّبعة طبيعياً . ولكن استكشاف السرّ لا يجب أن يضلّله . كل انحراف مؤقّت من المخيّلة يجب أن يتبعه رجوع سريع إلى الاستقامة المنطقية . إذاً ، لويرث ، كما لنا ، على كل حال ، إن الشغّال يمكنه أن ينفّذ إنحرافات مؤقتة من جهة المخيّلة (أي جهة اليسار) ولكن عليه أن يرجع سريعاً إلى جهة المنطق (أي جهة اليمين) . إن الطقس الإيكوسي يبيّن مُلهم جيداً إذا كان يقرّر أن الانحراف يجب أن يكون يساراً وليس يميناً في مشية الشغّال ، كما يمكننا أن نراه في (اللّوحة السابقة رقم ١١) .

∴

إن مشية الأستاذ تتضمّن ثلاث خطوات للمبتدئ ، وإثنين للشغّال ، وثلاث خطوات خاصة . إن الثلاث خطوات للأستاذ تنفّذ بتخطّي التابوت المفترض . أول خطوة تتّجه إلى اليمين والثانية إلى اليسار ، أما الثالثة ، فتكون على خط الوسط . وهذه الخطوات هي مماثلة في الطقسين الإيكوسي والفرنسي .



إن المشية الموصوفة من أوزوالد ويرث (في كتابه للأستاذ – صفحة ٧٢) لتخطّي التابوت ، هي أسرع ولا تجمع الرجلين إلاّ في آخر خطوة « منطلقاً من الرأس الذي يحيطه ، يتخطّى الأستاذ الصدر واضعاً رجله اليمنى بموازاة الساعد الأيمن للميت . أما القدم اليسرى تنفّذ بعدها نفس الحركة ولكن دون أن تطأ على الأرض وترسم نصف دائرة وتعود إلى اليسار متخطّية البطن لتنتهي عند النقطة (٢) فتوضع القدم اليسرى حينها على الأرض (صورة رقم ١٢٣) .

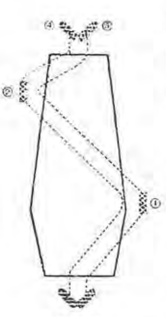


FIG. 123
La marche du Maître,
d'après Wirth.

عندئذ تلحق القدم اليمنى اليسرى ولكن دون أن تطأ على الأرض عند القدم اليسرى وبعدها تتابع إلى أن تحطّ على الأرض مقابل القدم اليمنى للجثّة ، حيث تتبعها القدم اليسرى وتطأ على الأرض راسمة شكل زاوية مقلوبة » .

« هذه المشية ، يقول بلانتاجينيه (في كتابه محاضرات في الغرفة الوسطى – صفحة ٩٠ – ٩١) ، تميّز بثلاثة خطوات التي تضاف إلى خطوات الشغّال والتي تنفّذ من قبل الأستاذ الذي يتخطّى بثلاث مرات « جثّة حيرام » . إن الأستاذ الماسوني لا يمكنه أن يدخل أبداً إلى المكان الموقّر حيث توضع التصميمات السامية للعمل العظيم ، دون أن يتذكّر أنه قبل أن يصبح أستاذاً ، كان مبتدئاً وشغّالاً ، وقبل أن يمتلك الحكمة ، كان هو بذاته يطبّق الانتقاد السهل للجاهلين أنه هو أيضاً قد ارتكب أخطاءً ، وبالتالي عليه أن لا يظهر فقط متسامحاً إلى أقصى حدّ تجاه هفوات إخوانه بل عليه أيضاً أن « ينشر النور والمعرفة » وليس عليه أن يبهرهم بلقبه وغروره بالأقدمية ، بل بنبله ومُثُلِه العليا . لا يفرض الأستاذ على غيره الاحترام ، بل عليه أن يكتسب منهم جميعاً العطف ، المحبة ، التقدير ، الاعتبار والاحترام » .

« إن الثلاث خطوات المتنوّعية للأستاذ تذكّره بفكرة الحكماء الذين يتحدّون الموت . إنه مولود في الماضي ، ومنتج في الحاضر وسيحضّر ثمار المستقبل . وبنفس الوقت يعبر دون تردّد ودون خوف الجثّة الرمزية الممدّدة عند قدميه ، فإن الأستاذ الماسوني ، المتأكّد من ضميره ، يتابع عمله ، دون أن يهتمّ بالأفخاخ القاتلة المنصوبة تحت قدميه . ولا يجب عليه أن يقف لينتصر عليها ، ولكن عليه أن يتجاوزها . لذلك فإن مشيته لا تتضمّن أي خلل » .

∴

إن خطوات المبتدئ والشغّال تنفذ على مستوى الأرض ، في حين أن خطوات الأستاذ ، أي الثلاث خطوات الأخيرة ، تنفّذ في الفراغ .
وبالرجوع إلى (اللوحة رقم ٢) (السفيروث) نلاحظ أن الثلاث خطوات للمبتدئ تتطابق مع « ملكوت » ثم « إيا زود » (أي الأساس) ثم « التيفرات » (أي الجمال) ، منطلقاً من أعماق عالم المادة ، فإن المبتدئ يصل أولاً إلى « إيا زود » (أي الأساس) ويسيطر عليه ثم يتّجه الشعاع اللاّمع لـ « التيفرات » (أي الجمال) .
وعندها يخطو الشغّال إلى اليسار ليلتحق « بالجابورا » (أي القوة) وبعدئذ يخطو خطوة إلى اليمين فتعيده إلى « العلم » الذي هو ما بين « الشوشماه » (أي الحكمة) و « البناه » (أي العقل) .
وأخيراً ، يكون الأستاذ متّكئاً بالتتابع على « الشوشماه » (أي الحكمة) و « البناه » (أي العقل) ، يبلغ إلى « الكتار » ، التتويج الأسمى .

٢. الإشارات

بعض الماسونيين قد يتّهموننا بأننا نكشف بلا حذر « الأسرار » الماسونية بتفسيرنا الإشارات للدرجات الثلاثة الأولى في كتاب يمكن أن يقرأ من الدنيويين . على هذا الاتّهام ، نجيب أن هذا الكتاب يجب أن يقرأه الدنيويون لعدّة أسباب أساسية لا مجال لذكرها الآن ، ومن

جهة ثانية فهذه الإفشاءات قد نفذّت عدّة مرات حتى أن الدنيويين ، وأعداء الماسونيين ، لم يتعلّموا شيئاً من « انكشافاتنا » (؟) وحتى ، بالعكس ، يهمّنا أن يعلموا أن أي رمزية خفيّة تحرّك إشاراتنا الماسونية ، وهكذا لن يتمكّنوا من الادّعاء (بنية سيئة) أنها فقط « مظاهر غير مجدية » أو « سعدنات سخيفة » .

.:

إن إشارة المبتدئ تحتوي ، ككل الإشارات الماسونية ، على حركتين متميّزتين : إشارة النظام ، والإشارة بحصر المعنى .

« الوقفة بانتظام » أي نقف ويدنا اليمنى منبسطة على العنق ، والأربع أصابع ملتصقين والإبهام مبعد ليشكل زاوية . وأما اليد اليسرى فتظل متدلّية .

« تنفيذ الإشارة » أي رفع اليد عامودياً إلى العنق ، وإعادتها إلى الكتف الأيمن ثم إنزالها على طول الجانب الأيمن .

وهذه الإشارة تسمّى عامةً « حلقيّ GUTTURAL » وتترجم على الطريقة التعليمية : « أفضّل أن يقطع عنقي ، من أن أبوح بالأسرار التي أعطيت لي » .

يقول أوزوالد ويرث في كتابه المبتدئ (صفحة ١٤٨) : « إن اليد اليمنى موضوعة بشكل زاوية قائمة تحت العنق ، تظهر مستوعبة الفوران المتهيّج في الصدر وتحفظ الرأس من كل حماس مضطرب بإمكانه أن يعرّض صفاءنا الذهني . وأن إشارة المبتدئ تعني من

وجهة النظر هذه : « إنني أملك ذاتي وأحكم كل شيء بتجرّد » .
وفي كتابه : محاضرات في محفل المبتدئ (صفحة ٦٦) يقول بلانتاجينيه : « من المناسب هنا أن نذكّر حسب تناسق منطقة الأبراج الوظائفية للمكرّسين القدماء ، أن الحنجرة تدار ببرج الثور ، الرمز المعقّد للتحريض العاطفي السريع التأثّر ، ليس للترويض ، ولكن لتحوّله من وظائفه البهيمية ، تحت تأثير القوى النفسانية العليا للكائن ، وهذا التحوّل يصبح صلب ، وحب العمل والمثابرة في عمل الخير . حينئذٍ ، يبدو المعنى السامي للإشارة واضحاً : عند دخول البنّاء الحرّ إلى الهيكل ، يؤكّد من خلال إشارته أنه عزل أفكاره من التأثيرات الخارجية ، ومن أية اضطرابات عاطفية « من تحت » يمكنها أن « ترفع إلى عقله » ، وأنه يصبح ذو عقل نيّر وروح محرّرة ، وأنه بدون تردّد وبوضوح سيتّجه إلى مقعده « بخطىً » كما يجب على المبتدئ أن يفعل وبالسكوت التام » .
بإمكاننا القول ، عندما المبتدئ يعطي إشارته ، يحمي نفسه بالزاوية ، إشارة الاستقامة ، ومن جهة ثانية وتبعاً لتعاليم الطقوس ، فإن الماسوني يأتي إلى المحفل : « ليتغلّب على أهوائه ، وليخضع إرادته، وليعمل على زيادة تقدّمه في الماسونية » . هنا ، علينا أن نتذكّر أن المبتدئ في درجته ، عليه أن يكون « صامتاً » ، وحتى إشارته ، في الضغط على حنجرته ، تدلّ على صمته ، ليس لأنه غير قادر على التكلّم بل يصغي بملء إرادته .

.:.

عندما يدخل المبتدئ إلى المحفل ، عليه أن يخطو الخطوات الثلاث بوضعية النظام ، ثم يلقي السلام على المحترم ، ثم على المراقب الأول فالثاني . وهم بدورهم يردّون السلام . إن الإشارات تكون عادةً منفّذة ليس كما يجب ، لأن المراقب الثاني لن يكون قد نفّذ واجبه بالتعليم كما يجب . وكل الإشارات والطقوس تخسر من قيمتها لأنها لن تفسّر عادةً بمعناها الحقيقي فتصبح « تصنّع » .

∴

إن إشارة الشغّال تختلف عن بعضها بالطقسين الفرنسي والإيكوسي . ففي الطقس الفرنسي توضع اليدّ اليمنى على القلب والإبهام يشكّل زاوية قائمة مع باقي اليد . أما في الطقس الإيكوسي فتوضع اليد اليمنى على القلب ، ولكن بطريقة دائرية خفيفة ، وكأنها تسمكه ، وبنفس الوقت يرفع الساعد الأيسر واليد مفتوحة الكف إلى الأمام .
هذه الإشارة تحمل بعض الوقت اسم « صدريّ » . ويفسّر عامةً بالقول : « أفضّل اقتلاع قلبي من أن أخون الأسرار ... » .
يكتب أوزوالد ويرث في كتابه للشغّال (صفحة ٩٩) : « بوضع يدي اليمنى على قلبي ، أتعهّد بأن أحب أخوتي بورع وإخلاص ، وبرفع ساعدي الأيسر ، أعزز صدقي بوعدي ، وبرسم الزاوية باليد اليمنى، أبيّن أن كل أعمالي تستوحى من العدالة والإنصاف » .
« أن اليد اليسرى برفعها تبدو وكأنها تناشد القوى الخارجية ، وتحاول اليد اليمنى المقبوضة أن تستوعب هذه الطاقات الملتقطة ،

في القلب ، عندها يعلن الشغّال أنه تمكّن من ترويض عواطفه وأنه لن يتنازل أبداً لاجتذاب غير متبصّر » .

ويقول بلانتاجينه : « إن إشارة الشغّال ما هي إلاّ تبديل للدرجة الأولى وتتّسم بمعنى مماثل في ما يتعلّق بحفظ « الأسرار الماسونية » وبالعدالة والاستقامة التي هي في كل الظروف تسود كل الأعمال لكل ماسوني » .

ويستعين بمقولة عن طقس كان في سنة ١٨٦٠ : « ما معنى هذا النظام؟ والجواب هو أن قلب فاضل ، هو ككأس مملوء بشراب فاخر، يجب أن يرفع مستقيماً نحو السماء ، لأن الفضيلة تسقط حين ينحني القلب نحو الأرض » .

في علم وظائف الأعضاء البشرية الباطنية ، تستعمل هنا ألفاظاً سانسكريتية ، فيقول جان-جورج جيشتال : « إن الأنسان يمتلك مراكز قوّة وتسمّى « ناديس » وهي تتعلّق بالجسم الكوكبي » .

و « البرانا » هو الرابط الحيّ الذي يجمع الجسم المادي بالجسم الكوكبي . وعلى مسار « الناديس » يوجد « الشاكرا » وهي كناية عن « دواليب » وأيضاً كناية عن مولّدات من « البرانا » .

ويقول بلانتاجينيه : « إن رابع « شاكرا » تتطابق مع شعار الشغّال . واسمها « أناهاتا » وحسب ماركس ريفار ، من هذا المركز يمكن للحكماء أن يسمعوا « الصوت الذي يأتي من السكون » أي صوت الحياة ، هنا تسكن الروح الحيّة . وعند هذه الدرجة بالضبط ، يمكن للماسوني أن يمتلك الكلام .

إن اليد اليسرى المرفوعة ، في الطقس الإيكوسي ، هي ليس كما يقول ويرث ، طلب من القوات الغير المنظورة ، ولكن إشارة « قذفة » فكرية ، إذا كانت اليد جامدة ، ولكنها يمكنها أن تكون إشارة « التقاط » إن كانت اليد رخوة .

.:.

يوجد ثلاث إشارات للأستاذ : الإشارة العادية وإشارة الهول وإشارة الخطر أو المساعدة .

إن « الإشارة العادية » تكون بوضع اليد اليمنى ، والإبهام مفتوح ، على الخاصرة اليسرى بمستوى السرّة . في الطقس الإيكوسي ، توضع اليد منبسطة ، وفي الطقس الفرنسي توضع اليد عامودياً بطريقة أن طرف الإبهام لوحده يستند على الخاصرة اليسرى .

وهذه الإشارة تتطابق مع ثالث « شاكرا » واسمها « منابورا » وكما يقول ماركس ريفيار هذا الاسم ناتج عن مركز الطاقات المنبثق من النار ، والذي يسطع كالحجر الكريم . ويضيف قائلاً : « إن أم « الشاكرا » هي زرقاء ، وجالسة على وردة النيل (لوتس) التي هي حمراء ، ولها أربعة أذرع وتحمل رموز التقشّف ، لأساتذة النار » .

هنا نجد الألوان الأزرق والأحمر للطقس الإيكوسي . ويظهر أن اللّون الأحمر لم يكن مختاراً بالصدفة ولكن للتمييز بينه وبين الطقس الفرنسي .

والإشارة تنفذ في الطقس الفرنسي بسحب اليد وتنزيلها . أما في الطقس الإيكوسي فتتوافق الإشارة مع « إشارة الهول » .

إن « إشارة الهول » تنفّذ برفع الأيدي والأكف إلى الأمام والأصابع مفرّقة ، وفي الطقس الإيكوسي تنفّذ الإشارة ومعها نقول « سيدي وإلهي » .

إن بلانتاجينيه ، في كتابه محاضرات في الغرفة الوسطى (صفحة ٩٠) يكتب : « إن هذه الإشارة تثبّت المُساريّ إلى ذكر موت حيرام وتذكّره بالتعاليم التي أعطته إياها » .

بهذه الإشارة تنتهي خطوات الأستاذ ، وتنفّذ سريعاً ، وهي بالواقع إشارة خلاص وهول تعجّبي أمام « الأن سوف » أو اللاّنهاية التي تهيمن على « الكثير » أي التاج .

إن « إشارة الخطر أو المساعدة » تنفّذ برفع اليدين متشابكتين والكف إلى الأمام وأعلى من الرأس ، وهاتفين « إليّ يا أبناء الأرملة » .

بتنفيذ هذه الإشارة نكون قد كوّنا مثلّث قاعدة هي الكتفين .

يقول بلانتاجينيه : « إن هذه الإشارة هي اصطلاحية وخاصةً أنها ترافقها الكلمات التي تذكّرنا أننا كلّنا أولاد أب واحد هو حيرام ، وأننا سنبقى متّحدين للدفاع عن الأرملة ، أي الماسونية » .

ويلاحظ بلانتاجينيه أيضاً أن بعض المحافل لا تعتبر هذه الإشارة هي للأستاذ فقط وتطلع أعضاءها منذ الدرجة الأولى .

أوزوالد ويرث ، في كتابه عن الأستاذ (صفحة ١٤١) يلاحظ تبدل لهذه الإشارة ويمكن أن تنفّذ بيد واحدة موضوعة مقفلة على الرأس

وثم فتح إصبع تلوى الإصبع بتسمية : « سام ، حام ، يافث » ، « بما أن أبناء نوح هم أسلاف مختلف أجناس البشر التي تمتدّ الماسونية إليها في شموليتها وعالميتها » .

∴

إن الإشارات للمبتدئ والشغّال والأستاذ تنفّذ بواسطة الزاوية والمسواة والشاقول (خيط الشاقول) .
فالزاوية تنفّذ بوساطة المسواة (أفقي) والشاقول (عامودي) .
الأفقية تنفّذ من اليسار إلى اليمين ، والعامودية تنفّذ من الأسفل إلى الأعلى . الأولى تدّل على العمل الطوعي والثانية للنفوذ الروحي على المادي .

٣. اللّماسات

لمسة المبتدئ تنفّذ بالضغط بواسطة الإبهام ثلاث مرات على سبابة الذي نريده أن يتعرّف علينا . لكن هنا لا نستطيع أن نغوص في التفاصيل .
وفي لمسة الشغّال نضغط بواسطة الإبهام خمس مرات الإصبع الوسطي .

أما لمسة الأستاذ ، فتتكون من خمسة أقسام في الطقس الإيكوسي :

١. الرجل اليمنى مقابل الرجل اليمنى للأستاذ المقابل له .
٢. الركبة اليمنى مقابل الركبة اليمنى للأستاذ المقابل له .
٣. الصدر مقابل الصدر للأستاذ المقابل له .
٤. اليد اليسرى على الكتف الأيمن للأستاذ المقابل له .
٥. قبضة الأستاذ للأستاذ المقابل له .

إن « قبضة الأستاذ » تنفّذ بالضغط بطرف السبابة وإصبع الوسط على معصم أو زند ، وهذا المكان كان يسمى عند اليونان أسوارة الصحة والخط والسعادة إذ أن هناك ثلاث أمنيات يتبادلها الأستاذان ، وأيضاً التأكيد على المثالية الماسونية التي يجب أن « تتجاوز » الفلسفة والدين .

٤. المعانقات

المعانقات هي علامة الصداقة الأخوية التي تمنح طرقات من اليد اليمنى على الكتف الأيسر . وعادة تعطى القبلات على الخد الأيمن ثم الأيسر وثم الأيمن .

وفي الحقيقة يجب أن تعطى ، كما نجدها مبيّنة في المختصر الصغير للماسونية بشكل قاموس للشرق الأكبر الفرنسي سنة ١٩٢١ (صفحة

١٥) على الوجه التالي : أولاً على الخد الأيمن ، ثانياً على الخد الأيسر وثالثاً على الجبين .

في الحالة الأولى النظام الثلاثي محترم ، أما في الحالة الثانية يزيد عليه الشكل المثلّث بوجود القبلة على الجبين التي هي طابع متفوّق الذي لا وجود لها في القبلات العائلية على الخدود .

المعانقة حسب بعض الكتّاب تطبيق ماسوني مشتقّ من الفروسية القديمة وأيضاً عند أوائل المسيحيين بشكل « قبلة السلام » .

إن القبلة الأخوية للماسون هي علامة خارجية للعاطفة التي تجمعهم .

∴

هنا نلفت النظر إلى أن التخاطب بصيغة المفرد هو أخوي ويتبنّاه عامة الماسون .

فريتز أوهلمان في كتابه « موجز صغير للماسونية (صفحة ٢٦٨ – ٢٦٩) » يكتب : « إن التخاطب بصيغة الجمع الذي يستعمله العالم الدنيوي ، لا يتطرّق إليه الشك ، فهو يخلق حاجزاً بين البشر وبين الأخوة الماسون . والأفضل هو المخاطبة بصيغة المفرد في المحافل ، لأن هذه الطريقة تؤمن المساواة بين كل الأخوة وتسمح بولادة حقيقية لعاطفة الاتحاد . إن الحجج التي تظهر ضدّ التخاطب ليست على أسس مقنعة ، لأنه أينما فرض التخاطب الفردي كانت نتائجه جيدة . إذا كان واحداً قبل أن يكون في الماسونية ، فإنه من المفروض أن يقبل أن يتعامل بنفس مستوى إخوته . وإذا تبيّن أنه

غير جدير المخاطبة بصيغة المفرد فإنه إذاً ، غير جدير بأن يبقى في المحفل . وأن الذي يرفض المخاطبة بصيغة المفرد يظهر عن غرور بالنفس ويكون بعيداً عن محيطنا » .

∴

إن المعانقة الماسونية ، واجب على كل ضابط صاحب وظيفة يعطي لأخ آخر بصورة مؤقتة وظيفته لينوب عنه . وتعطى أيضاً إلى الخطيب من أخ محاضر يودّ أن يلقي محاضرته ويودّ أن يجلس مؤقتاً مكان الخطيب ، وعندما ينتهي من محاضرته ، عليه قبل الرجوع إلى مكانه أن يتبادل المعانقة مع الخطيب .
تبادل المعانقة واجب عند كل مناسبة سفر أو ترك المكان أو الرجوع لأخ طال وقت غيابه ، وحتى بمناسبات الأعياد .
إن المعانقة المتبادلة بإخلاص وصدق تثبيت للأخوّة الحقيقية في الماسونية .

٥. الطرقات

إن الطرقات اليدوية تبدو مجهولة في الماسونية الأنكلو-ساكسونية ، وتنفّذ بواسطة المطرقة من المحترم والمراقبان .
طرقات المبتدئ هي ثلاثة ، والشغّال خمسة أما الأستاذ فهي تسعة .

إن عدد الطرقات في الطقس الإيكوسي وفي الطقس الفرنسي هو ذاته أما التوزيع فيختلف . هذا جدول بالطرقات في كلٍّ من الطقسين :

	طقس إيكوسي	طقس فرنسي
مبتدئ	٥-٥-٥	٥٥-٥
شغّال	٥-٥-٥-٥-٥	٥٥-٥-٥٥
أستاذ	٥-٥-٥-٥-٥-٥-٥-٥-٥	٥٥-٥-٥٥-٥-٥٥-٥

في الطقس الإيكوسي ، طرقات المبتدئ تنفّذ بثلاث طرقات متباعدة بشكل منتظم وبالأيدي ، أما في الطقس الفرنسي فتكون طرقتين متتاليتين والثالثة بعدهما ومتباعدة .

بصورة عامة نبدأ الطرقات عند افتتاح وإقفال الأعمال . ونصفّق التصفيق المثلّث « تصفيق الابتهاج » في المناسبات السارة أو لتكريم الأخوة الزوّار أو غيره ...

.:.

أما « صفقات الحزن » فهي متباعدة كالعادة ، ولكننا نطرق بيدنا اليمنى على ساعدنا الأيسر ، مرفقة بكلمة « فلنتحب » متكرّرة هكذا :

« فلننتحب »

« فلننتحب فلننتحب »

« فلننتحب فلننتحب فلننتحب ، لكن فلنأمل » .

ونلاحظ هنا أن الكلمات « ولكن فلنأمل » لا تستعمل إلاّ في الطقس الإيكوسي . وهذه الطرقات تطرق عند وفات أحد الأخوة أو أقرباء له وتطلق أيضاً في حال تعرّض أحد الأخوة للتجريم الماسوني .
يجب على تصفيق الحزن أن يتبعه تصفيق ابتهاج « لتغطّيها » .

∴

تصفيق افتتاح الجلسات هي إشارة « تكريس » للمحفل ، بارتجاج جو المحفل يصار إلى طرد ما يمكنه أن يبقى من جوّ « دنيوي » وبخلق جوّ جديد . وبالعكس ، إن تصفيق الإقفال يسمح للأخوة أن يغادروا المستوى « الموقّر » الذي كانوا فيه ، مبدئياً .
إن تصفيق الابتهاج ، من المستحسن أن ينفّذ عند نهاية الأعمال ، وإلاّ يكون قد تصدّع جوّ المحفل فجأة .

٦. حلقة الاتحاد

إن حلقة الاتحاد هي تقليد نجده معاً عند رابطة الحرفيين وعند البنّائين الأحرار . وتتكوّن بعقد حلقة دائرية بإعطاء بعضهم البعض الأيدي بعد أن يكونوا قد شبكوا سواعدهم .

وإن الذي قُبل حديثاً ، بعد اختباره المُساريّ ، يَدْخُلها ويكوّن فيها زردة من هذه السلسلة . وتعقد حلقة الاتحاد عادةً في نهاية كل جلسة عمل .

يقول بلانتاجينيه ، مؤلّف كتاب محاضرات في محفل المبتدئ (صفحة ٨٥ و ٨٦) : « إن هذه الحلقة ترمز إلى شمولية وعالمية النظام الماسوني وتذكّر كل واحد بأن كل الماسون ، مهما كانت أوطانهم ، لا يؤلّفون إلاّ عائلة مكوّنة من إخوة منتشرين في كافة أنحاء العالم » وهذا القول حسب تصوّري غير مجدي . وأن حلقة الاتحاد تقرّب فعلياً كل القلوب ، توقظ في الضمائر كل عاطفة تضامن . وأن الذي يشارك في الحلقة عن إدراك تام ودون أي تردد ، يحسّ بذاته وينقل هذا الإحساس إلى مجاوره ، بالتأثيرات المؤاسية الإيجابية والمشجّعة .

إذاً ، هذا الاحتفال الطقسي لن يدخل النظام إلاّ لمأرب ، ويظهر أنه يخلق جوّاً ملائماً عند إقفال الجلسات ، وإنه ليس فقط مجرّد إجراء شكلي بسيط .

البعض من هذه المحافل تتجاهل القيمة الطقسية و « السحرية » لحلقة الاتحاد ، ولا تنفّذها إلاّ مرّتين في السنة فقط ، لإعلام الأخوة عن كلمة السرّ النصف سنوية .

إن ماريوس لوباج مؤلّف كتاب الرمزية في سنة ١٩٣٥ (صفحة ٤١ وتوابعها) تكلّم وبصورة جيّدة عن المبادئ الأساسية لحلقة الاتحاد وبأنها ليست فقط أمراً بسيطاً بدون أبعاد ، فكتب : « من بين وظائفها

الأساسية ، إن الطقوس تجمع المنظور بالغير المنظور . وتكوّن الرابط التياري الذي يوحّد الجسم المكوّن بالعقل الماسوني الذي ينبعث من المحافل . إذاً ليس غريباً أن نرى حالياً هذا العقل وهذه الروح تنسحب تدريجياً من المحافل حيث لا أحد يستدعيها . والأدهش من هذه الاكتشافات هو أن نجد أيضاً أنه في هذه الفوضى للطقوس المزعومة والتي تستعمل حالياً ، ومضة إيمان » .

« إن الأيدي تتشابك ، ولكن العقول والأرواح لا تتأثّر إطلاقاً للقيمة وللانعكاسات للحدث المنفّذ . مع أنه في كل الطقوس يكون الحدث الأهم ربّما هو حلقة الاتحاد ، خاصة من الناحية الباطنية ، وحتى من الناحية الرمزية . وكل محترم مهتمّ في نجاح محفله مادّياً ومعنوياً ، لا يجب أن يفوته تكرار هذا « الابتهال » الحقيقي في كل جلسة » .

« إن مبدأ حلقة الاتحاد يجب أن نبحث عنها في « نظرية النقطة وعلامة الارتكاز » . وكل إرادة تودّ أن تظهر على العالم المادي تحتاج إلى وسيط الذي بدوره يجب أن يكون أساساً راسخاً وقوياً للانطلاق » .

يكتب ستانيسلاس دو جيتا في كتابه « مفتاح السحر الأسود » سنة ١٨٩٧ (صفحة ٣٩٠) : « إن سرّ الحلقة السحرية يُختَصَر بهذا القول المأثور : وجود نقطة ثابتة أو أخذ نقطة ارتكاز ، ثم رسم خطّة نفسانية–حيويّة (Psycho-dynamique) ، ومن هذه النقطة المختارة كمركز ، يُنفّذ الشعاع للنور الكوكبي في العالم ، باجتهاد وبإرادة محدّدة ومعبّرة بوضوح » .

« إن حلقة الاتحاد ، التي هي بنفس الوقت مبتكرة واستقبالية ، تلعب دوراً عند الماسوني كدرع واقي وكجهاز لاقط للتأثيرات الطبيعية » .
« كل جماعة لديها اتصالاتها في المجالات الغير منظورة . إن « العقل الجماعي » هو كائن حيّ قوي ، إلاّ باستثناءات قليلة ، حينما يكون الأشخاص المؤلّفين المجموعة غير كفوئين . أضف إلى ذلك ، أن « الإيجريجور » (Egrégore) ، أي عندما يجتمع المحفل ، وعندما يشترك كل المجتمعين بقوّة يصبح آنذاك اتحاد عقلاني ، روحي ، موجوداً كاملاً . وهذه العبارة تستعمل في الباطنية للتعبير عن الشعور الجماعي الحيّ ، وأنه من الضروري أن يكون هناك شعور ما للإحساس الفعلي « بالإيجريجور » » .
« مصيبة الكائن المنعزل ، الذي بتكبّره في إرادته المتردّدة ، يدخل في عراك مع القدرة الهائلة « للإيجريجور » . لأنه سيكون وبسرعة مهزوماً ، وغريقاً ... وأقل شيء يستطيع أن يحدث له ، هو أن يرى كل السيئات المادية الأكثر تنوّعاً ، تنهال عليه ، دون أن يستطيع أن يدافع عن نفسه » .

« كم من حلقات حقد نصبت في الخفي ضدّ البنائين الأحرار بواسطة أخصامهم الجهّال أو أصحاب النوايا السيئة ! ولنقاوم هذه الهجمات ، علينا نحن أيضاً أن نعقد حلقاتنا ، مجابهين الحقد بالحقد المهذّب ، لأنه ، حينئذٍ « الإيجريجور » الثنائي يوطّد اتحاد وثيق لإلحاق الضرر فينا .

« سؤال يُسأل عادةً : لماذا نشبك سواعدنا على صدورنا قبل أن نربط أيدينا بالإخوان ؟ والجواب هو أنه بتقريب أجسادنا وبالضغط على الصدور يبدو لنا أن التركيز يُسهّل أكثر والإرادة الضرورية لعقد الحلقة تبقى أكثر فعالية » .

« وهنا يظهر الدور الموحّد للمحترم في أوجّ قدرته والذي هو بنفس الوقت انبعاث التركيبة والذي هو يدير المحفل . كما يقول ماريوس لوباج مؤلّف كتاب الرمزية سنة ١٩٣٥ ، ويتابع قوله : من إخوته ينشأ تيار مزدوج ، وقوّتهم تزيد أضعاف المرات ، لتستعمل بطريقة أفضل للمصالح العقلية والروحية للماسونية عامةً ، وخاصة لأعضاء المحفل » .

« ويظهر لنا إمكانية التأكيد أنه لا يوجد محفلٌ ، يمكنه أن يعقد حلقة اتحاد فعّالة حالياً ، (ويقول هنا المؤلف جول بوشيه أن سبب عدم الإمكانية الفعّالة هو عدم الكفاءة والجدارة في الحقل النفسي لكلّ عضو من المحفل) » .

وعندما تكون الأيدي مربوطة ، على المحترم قبل أن يقفل الأعمال أن يستذكر اتحاد كافة البنائين الأحرار ، وأن يناشد هبوط العقل الماسوني الفعلي على كل الأخوة ، عندها يبدو وكأنها أنقى نسمة تسود على جوّ المحفل .

« لا أمنية من أمنياتنا نحو الخير تضيع . لأن الإرادات الشخصية حتى ولو كانت ضعيفة وعاجزة فهي موجودة . ومن يعلم يوماً ما إذا

كانت هذه الأمنيات بتضخّمها وتراكمها يمكن أن تزعزع العالم ، لأنها تنبثق من رغبات البنائين الأحرار الصادقين » .

هنري تيريث (Henry Thiriet : Esquisse d'une doctrine positive de la Franc-Maçonnerie , 1927 p. 221) مؤلّف كتاب بداية نظرية إيجابية للبنائية الحرّة (سنة ١٩٢٧ صفحة ٢٢١) ، يكتب ما يلي : « دون أن نُتّهم بالروحانية ، أليس شرعي أن تُعتبر الماسونية كمركز منتج « لأفكار قوية » التي تجوب العالم لتشنّ في الأدمغة حيوية جديدة وخصبة ، ومنها يولد مفهوم لمجتمع أكثر توازناً ورغبة لتحقيقها ؟ هل « الفكرة القوية » ليس لها تماماً نفس واقعية « القوة الآلية » التي هي مجرّد تصوّر مستنتج من تحقق الحركة ؟

« هل هو جرأة أن نرى مجموعة من الرجال تعمل في الخفاء لتحسين قدراتها والبحث عن الحقيقة ، ونشبّه هذا الوضع بجهاز إرسال مرسلاً موجات غير منظورة من خلال العوائق المنظورة ليؤثّر على العقول التي تتلقاها وتحرّك طاقاتهم الفردية للعمل ، إن لم يكن هذا العمل مماثلاً ، فعلى الأقل يكون موجّهاً تقريباً في المفهوم نفسه ؟ »

غير أنه واضح أن حلقة الاتحاد تخلق « مجال مغنطيسي » دوار ناتج عن تشابك السواعد وتوتّر هذا المجال يكون أقوى بالنسبة إلى فعالية كل زردة . وهنا الأمر يتعلّق ليس فقط بالرمز ، إنما بالفاعلية الحقيقية .

فضلاً عن ذلك ، على المحترم أن يعلم كيف يوجّه الحلقة نحو هدف معيّن ...

إن فتح حلقة الاتحاد تنفّذ بعد إعطاء الأمر بالضغط ثلاث مرات على الأيدي وبعد اهتزاز السواعد ثلاث مرات . وفي هذه اللحظة تتمّ « القذفة » بعد « التركيز » الطويل .

إن « التركيز » على المستوى السحري يطابق التركيز الطوعي للفكر على موضوع فردي (MONODEISME) على المستوى النفساني – الحيوي (Psycho-Dynamique) . إن « الفكرة القوية » يجب أن تكون مكوّنة بصبر وبإتقان ، وطالما هي على هذا المستوى تكون « مجرد تصوّر » ولا يكون لها أية إمكانية لأن « تتحقق » إلاّ بعد أن « تقذف » لتصبح فعّالة ، وهذه « القذفة » لا تنفّذ على النحو الصحيح إلاّ بعد تنفيذ شروط خاصة . لذلك فإن الأمنيات ، والرغبات ، المغذية طويلاً « تتحقق » ، ونلاحظ أن هذا « التحقق » ينفّذ في وقت ، نحن كنّا لا ننتظره . لأنه في هذا الوقت بالذات « القذفة » نفذّت . طالما أن الإنسان يظل « معلّق » بفكرته لا يمكنها أن « تُقذف » لذلك فإن حلقة الاتحاد تسمح فعلياً بهذه « القذفة » التي هي صعبة التنفيذ للإنسان عندما يكون لوحده .

إذاً ، لكي تكون حلقة الاتحاد حقيقةً فعالّة ، من الضروري أن يحدّد لها هدف معيّن ، وهكذا تكفّ على أن يكون احتفالاً عديم الجدوى .

إذا كان كل بنّاء حرّ مدرك لدوره ، لا تتطوّر الماسونية فقط ، ولكن حتى العالم نفسه يلحقه التأثير الخيّر الذي ينبثق من المحافل . إن

الحدث ليصبح « فعّال » لا يلزمه أية دعاية صاخبة ، بل بالعكس ، فإنه بالسكوت والسكينة والتأمل « الإيجابي » تصبح الخواطر « أفكاراً قوية » وأنه بواسطة حلقة الاتحاد هذه الأفكار يمكنها أن « تُقذف » في العالم الدنيوي .

لذلك إنه من المستحسن وضروري جداً ، على كل محفل أن ينهي أعماله بعقد حلقة الاتحاد وبالتركيز على فكرة واحدة متّصلة بالمثالية الماسونية .

الفصل العاشر

الكلمات

١ـ الشعارات

« فكّر جيداً ، تكلّم جيداً واعمل جيداً » . هذا الشعار يمثّل الثلاثي : الفكر ، الكلام والفعل ، ويتطابق مع البركار ، الزاوية والمسطرة ، وهي أدوات أساسية في البنائية الحرّة . ونجدها غالباً موضوعة عند الزوايا الثلاث للمثلّث المنوّر (DELTA LUMINEUX) .

« نفّذ المطلوب ، وليكن ما سيكون » ، وهذا القول المأثور يكمّل السابق . وهو متفوّق جداً عن المثل القائل : لا تصنع لغيرك ما لا تريده أن يصنع الغير لك ، أو اصنع بغيرك ما تريد أن يصنع الغير بك . وهذان المثلان فيهما ضمناً أنانية لا نراها في القول المأثور « نفّذ المطلوب ، وليكن ما يكون » .

هذان الشعاران هما محض أخلاقيان .

∴

« ORDO AB CHAO » أي « النظام الصادر من الفوضى » « L'ORDRE SORTI DU CHAOS » هما شعاران ماسونيان

محض خاصان . إن الفوضى أو البلبلة هي المواد الأولية المنظّمة من الماسوني . والحجارة المقتلعة من المنجم تصقل وتصبح صالحة لبناء صروح . ومن جهة ثانية ، فإن الكائن العادي ، أو الدنيوي ، هو بذاته « الفوضى أو البلبلة » طالما أنه لن يمر بالاختبار المُسارّي ، وطالما أنه لن يدخل في النظام .

« DEUS MEUNQUE JUS » « الله وحقّي » « DIEU ET MON DROIT » ، هذا هو شعار المجلس السامي في الطقس الإيكوسي القديم المقبول ، واستبدل في الشرق الأكبر الفرنسي بالكلمات : « SUUM CUIQUE JUS » الذي لا يمثّل معنى واضحاً ، ولكن ترجمته الحرفية هي : « ولهذا حقّه » .

رينيه جونون ، في كتابه « لمحة عن الاختبار المُسارّيّ (صفحة ٢٩٨ – ٢٩٩) » يكتب بخصوص شعار « LA LUMIERE APRES LES TENEBRES – POST TENEBRA LUX النور بعد الظلمات » ما يلي : « في الرمزية التقليدية ، الظلمات تمثّل دائماً حالة الطاقات غير المتطوّرة والتي تكوّن « الفوضى أو البلبلة » ، أما النور فيوضع بطريقة متلازم في صلة مع العالم الظاهري ، الذي فيه تفعّل هذه الظلمات ، أي « COSMOS – أو الكون أو الفضاء الخارجي » طالما أن هذه الفاعلية محدّدة أو « مقاسة » في كل وقت من سير التظاهر بواسطة اتّساع « الإشعاعات الشمسية » انطلاقاً من نقطة الارتكاز حيث لفظ القرار الطوعي للنور الأساسي » .

٢. الهتافات

إن الكلمات : حريّة ، مساواة ، إخاء هي بنفس الوقت شعار وهتاف . وهذه الكلمات تلفظ عندما يكون الساعد الأيمن ممدوداً أفقياً ، بعد طلقات افتتاح الأعمال ، في الطقسين الفرنسي والإيكوسي .

هناك « فيلسوف قديم » اقترح بحكمة ، أن كلمة « مساواة EGALITE » تستبدل بكلمة « إنصاف EQUITÉ » فكتب :

« إذا كان يبدو ، لأول نظرة ، غير قابل للجدل أننا كلّنا متساوون أمام الموت ، وهذا أيضاً علينا أن نبرهنه ، من جهة أخرى – لأن كل فلسفة فعلية أو حقيقية جديرة أن تفرض ، ما هي إلاّ إثبات من قبل تواضع معرفتنا الغير كاملة للأشياء .

أن أقول مساواة لا توجد لا في المقدرة ولا في القيمة ولا في المقاس وحتى لا في الزمن . في الغابة ، غرسة العشب لا يمكنها أن تطالب بالامتيازات نفسها وبالأهمية نفسها لسيديانة عتيقة يفوق عمرها المئة سنة وحتى أن مجتمعنا مكوّن من بشر ذات أعمار متفاوتة ، رغم التعليم الإجباري المفروض بواسطة عقول جيّدة ، ممكن أن تكون مجازفة ، حسب رأيي المتواضع ، لأنه ، مثلاً ، إن اللكائن المحدود فعلياً وغير مكتمل النموّ ، وهم كثر ، لا يمكن أن يمتلك القيمة والمكانة نفسها للكائن الموهوب بالذكاء بواسطة الطبيعة ، إذ أنه يبقى أبلهاً ولكن مثقّفاً ، ذات غباوة تفوق بمجموع العلوم التي امتلكها بصعوبة ، وهذا المثل نراه يتكاثر » .

« ومن الواضح إذاً ، أنه يوجد في المجتمع نخبة متراكمة بدرجات أساسية . ويمكننا هنا أن نعطي أمثالاً إلى ما لا نهاية من هذه التفاوتات الصارخة عند البشر ، وحتى عند الأشياء وإنني مقتنع أن يكتشف هذا الشعار المشهور ، ممتلئ حماساً في هذه الحقبة من التاريخ المملوء بالتغييرات ، كُتِبَ خطأً « مساواة EGALITE » بدلاً من أن يُكتب « إنصاف EQUITÉ » فيصبح الشعار : حرية ، إنصاف وإخاء ، ويمثّل هكذا المثل المنيع ، ويشبه بكبره الثلاثي للفضائل الإلهية .

نساند هذا الكاتب ونقترح حتى إبدال « الإخاء » بكلمة « صداقة » .
إن الأخوة تستلزم فقط تقارب طارئ : أخوين وُلدا من نفس الوالدة يمكنهما أن لا يشعرا بأي صداقة الواحد تجاه الآخر .
ونقترح إذاً الشعار التالي : حرية ، إنصاف ، صداقة .
وهذا يمثّل حقيقةَ المثال الماسوني .

∴

إنه مكتوب في موجز الماسونية الذي هو على شكل قاموس (سنة ١٩٢١ – صفحة ٤٣) ما يلي : « إن البنائية الحرّة عندها كشعار « حرية ، مساواة ، إخاء » ، ومؤلّفها هو « كلود دي سان مارتان – CLAUDE DE SAINT MARTIN » ، وكانت تتداول في المشاغل (المارتينيسية) في القرن الثامن عشر قبل أن تتبنّاها « الجمهورية » من الماسونية سنة ١٧٩٢ » .

وهذا الخطأ تكرّر عدّة مرات ، ويبدو أنه نفذ لأول مرة بواسطة لويس بلان - LOUIS BLANC » عندما كتب في كتابه تاريخ الثورة الفرنسية (١٨٤٧ - الجزء الثاني - صفحة ١١) : « بواسطة الدروب الرمزية يقود (كلود دي سان مارتان) قارئة في حضن المملكة الخفية التي سكنها البشر في حالتهم البدائية ... وكلمة اللّغز الكبير التي كان يطرحها أمام الأمة الفرنسية كانت : حرّية ، مساواة ، إخاء ! صيغة هي في أسلوبها الرمزي التي يسميها الثلاثي الموقّر ، والتي كان يتكلّم عنها بنبرة احتفالية ... » .

لكن في المقطع لسان مارتان الذي ذكره لويس بلان ، نجد فقط هذا النص (في كتابه : الأخطاء والحقيقة سنة ١٧٨٢ الجزء الأول صفحة ١٢٥) : « إن الطبيعة تدلّ على أنه لا يوجد إلاّ ثلاث مقاسات في الجسم ، وأنه يوجد ثلاث تقسيمات ممكنة في كل كائن ممتدّ ، وأنه لا يوجد إلاّ ثلاثة أشكال في الهندسة (GEOMETRIE) ، ولا يوجد إلاّ ثلاثة قدرات فطرية في كل الكائنات ، وأنه لا يوجد إلاّ ثلاثة عوالم زمنية ، أو ثلاث درجات في الماسونية ، وبكلمة واحدة ، وبأي وجه من الأوجه أنه ، في الأشياء المخلوقة ، مستحيل أن نجد شيء أكثر من ثلاثة » . ونأسف أن نكتشف أن سان مارتان لم يستعمل مرة واحدة الثلاث كلمات : حرية ، مساواة ، إخاء .

هذا لا يمنع أن خطيب المجلس السامي للطقس الإيكوسي كتب في كتابه عن حلقة الاتحاد سنة ١٨٧٤ (صفحة ٨٥) ما يلي : « في التطبيق للحياة فتّشنا عن صيغة قادرة على جمع كافة الشروط

المطلوبة ، والتي تتجاوب بصورة أفضل مع المطامح الماسونية ... وحدّدت بواسطة أخ من الأخوة واسمه دي سان مارتان . مقدرة الحقّ هي كبيرة لدرجة أن الشعار المكتشف من سان مارتان يبهر الأعين . إنها الكلمات الثلاث : حريّة ، مساواة وإخاء ، منظّمة في هذا الشكل تبيّن كيف يجب أن يكون المجتمع منظّم . وكل المشاغل موافقة على هذا كون الرجال العظماء للثورة عملوا منها شعار الجمهورية الفرنسية » .

∴

« هوزّا ! هوزّا ! هوزّا ! ! HUZZA ! HUZZA ! HUZZA » هذا هو الهتاف القديم الإيكوسي . والباحث ألبير لانطوان قام ببعض الأبحاث عن هذا الموضوع ، نستعير منه بعضها : « وهذا ما كتبه (ديلوني DELAUNAY) في كتابه « المدقّق للثلاثة والثلاثون درجة في الإيكوسيسم – THUILEUR DES 33 DEGRES DE L'ECOSSISME » (سنة ١٨١٥ صفحة ٣ و ٥) : « نضم الثلاث هتافات « هوزي HOUZE » الذي يجب أن تكتب « هوزّا HUZZA » والتي هي كلمة إنكليزية ومعناها (يعيش الملك – VIVE LE ROI) والتي حلّ محلّها (يعيش – VIVAT) باللاتينية » .

« فيلوم – VUILLAUME في موجزه الماسوني ١٨٣٠ » يقول : « ننادي ثلاث مرات (هوزّا HUZZA) التي يجب لفظها (هوزّاي – HUZZAI) وهذه الكلمة جاءتنا من الإنكليز ، وهذا هو السبب للفرق

بين الكتابة واللفظ : لأنه يستعمل كإشارة فرح وهو كالكلمة اللاتينية (يعيش – VIVAT) . والعرب القدماء استعملوا كلمة (هوزّا – HUZZA) في هتافاتهم ، وهو أيضاً أحد أسماء الله في لغتهم » .

إن القاموس الماسوني (كانتان QUANTIN) الصادر في باريس ١٨٢٥ ، مجهول الكاتب هو أكثر وضوحاً ، ولكنه لا يعطينا إلاّ تأكيد رأي (ديلوني – DILAUNAY) :

« هوزي (هوزّا) (HUZZA) HOUZE ، صرخة فرح للماسونيين في الطقس الإيكوسي . ويعني (عاش الملك) ! وهكذا فإن الماسون الذين يقال عنهم أنهم أعداء العرش ، يظهرون ابتهاجهم بصرخة عاش الملك ! » .

أما لألبير لانطوان ، الذي نحمّله كامل المسؤولية في رأيه ، يقول : « رأيين في (هوزي (هوزّا) (HOUZE (HUZZA) ، وهو مرادف (لهورّا – HOURRA) هتاف فرح وتهليل فرنسي . وأيضاً في اللغة الإنكليزية يوجد فعل (TO HUZZA) الذي يعني يهتف . إن صيحات الابتهاج تنفّذ دائماً في المحافل في المناسبات الفرحة أو لأخ ، وهو من الطبيعي أن الماسون يستعملون هذا الهتاف » .

∴

في اللّغة العبرية (أوزا – OZA) تعني القوة . ونفكّر أنه هنا وليس في مكان آخر يجب علينا أن نفتّش عن أساس كلمة (هوزّا HUZZA)

ومع التوسّع ، هذه الكلمة تعني « الحياة – VIE » ككلمة « يعيش – VIVAT » .

.:.

« يعيش ، يعيش ، دائماً يعيش – VIVAT , VIVAT , SEMPER VIVAT » هي صرخة استعملت طويلاً في المحافل قديماً قبل أن يتبنوا الشعار « حرية ، مساواة ، إخاء » .

خلافاً للرأي العام ، فإننا نفكّر أن هذا الشعار الأخير تبنّته الماسونية بعد الثورة الفرنسية ، وليست الماسونية هي التي أعطت هذا الشعار إلى الثورة .

إن الماسونية كانت تبدي ما يشبه استغلال الفرص ، التي مع الأسف لم تخلُ منها في تاريخ وجودها .

٣. كلمات السرّ وكلمات المرور

كل درجة من الدرجات تحتوي على كلمات سرّ وكلمات مرور .

إن كلمة المرور تعطى للمراقب ولكن كلمات السرّ تعطى عند الملامسة والسلام .

إن كلمة السرّ عند المبتدئ لا تلفظ ولكن تتهجّى ، في الطقسين الإيكوسي والفرنسي ، لأن المبتدئ لا يعرف بعد لا القراءة ولا الكتابة ، لكن يعلم التهجئة .

لا يوجد « كلمة مرور » للمبتدئ في الطقس الإيكوسي ، إنما في الطقس الفرنسي فيوجد .

ويبدو لنا هنا أن الطقس الإيكوسي هو أكثر منطقياً . وفي الواقع ، إن المبتدئ « يأتي » من العالم الدنيوي ولا يمتلك كلمة سرّ من هذا العالم الذي لا يمكنه أن يعطيه كلمة سرّ .

كل ستة أشهر تتجدّد الكلمات الفصلية . وتعطى الكلمتان من الفم إلى الأذن في « حلقة الاتحاد » . الواحدة تعطى من اليسار إلى اليمين والثانية من اليمين إلى اليسار ، ويجب أن تعودا إلى المحترم الذي هو أرسلها « صحيحة وتامّة » . وإذا اتّضح للمحترم أن الكلمة المستردّة له فيها خطأ ، فعليه أن يعيد الكرّة .

إنه ممنوع أن تكتب هذه الكلمات أو حتى إعطائها للذين نسوا الكلمتين . للمحترم وحده السلطة بإعطائها للذين لم يحضروا عند عقد الحلقة في المحفل .

ويقال أن استعمال الكلمات الفصلية بدأت منذ تاريخ تنصيب فيليب دورليان ، دوك دو شاتر ، كأستاذ أعظم للشرق الأكبر الفرنسي ، في ٢٨ تشرين الأول ١٧٧٣ .

وفي نهاية هذا الكتاب ، نقدّم الأسطورة الجميلة للماسونية والكبالية ، العميقة في باطنيتها ، والتي تستحق أن تكون معروفة ومفهومة من الذين « يتقبّلوا الاختبار المُساريّ » ، ولا نودّ أن نزيد أي تعليق كي لا يفقد المعنى العميق لهذه الأسطورة .

أسطورة المجوس الثلاثة
الذين زاروا القبّة الكبيرة
واكتشفوا مركز الفكرة

بعد زمن طويل من موت حيرام وسليمان ومعاصريهم ، وبعد أن حارب نبوخذ نصّر وهدم المملكة اليهودية بجيوشه وبعد أن دمّر البيت المقدس وهدم الهيكل وأسر الذين نجوا من القتل وساقهم إلى بابل ، عندها بدا جبل صهيون كصحراء قاحلة فيها بعض البدو الجياع والنّاهبين يحرسون ويرعون بعض الماعز الهزيل . وفي صباح أحد الأيام ، وصل إلى المكان ثلاثة مجوس على الجمال وبخطوات بطيئة .

أتى الحجّاج كمستكشفين لحرم الخراب القديم ، وهم من المجوس المُساريين من بابل ، وكانوا أعضاء في الكهنوت الكوني .

وبعد وجبة بسيطة ، بدأ الحجّاج يجوبون المكان المدمّر . فردموا الحيطان واسطوانات الأعمدة وساعدوهم بتحديد إطار الهيكل .

وعندها بدأوا بفحص تيجان العواميد المطروحة على الأرض ، وبجمع الحجارة لاكتشاف أي كتابات محفورة أو رموز .

فيما هم ينفّذون اكتشافاتهم ، وتحت جزء من حائط مقلوب وفي وسط العلّيق ، اكتشفوا حفرة .

كان تحت هذه الحفرة بئر ومكانه في زاوية الهيكل الجنوبية – الشرقية . فبدأوا بتنظيف الفتحة ، وبعد ذلك انبطح على بطنه قائدهم والذي كان الأكبر سنّاً لينظر ما في الداخل .

كان ذلك في منتصف النهار ، والشمس كانت ساطعة في الرأس العامودي وأشعّتها كانت تضرب البئر عامودياً . فلفت نظر المجوسيّ شيئاً يلمع ، فنادى أحد مرافقيه ، ووضعا نفسيهما بنفس الوضعية ورأيا المنظر نفسه . فكان واضحاً أن هناك شيئاً جديراً للانتباه ، وبدون شك بدا أنها جوهرة مبجّلة . فقرّر المجوس الثلاثة أن يستولوا عليها وفكّوا زنانيرهم وربطوها ببعضها ونزل أحدهم إلى البئر متمسّكاً بأحد طرفي الزنار ، وإثنين منهم بقيا خارج البئر ليساعدا الثالث الذي نزل بمساعدة الزنانير . فتمسك بزنّار الثالث الذي هو قائدهم ، ونزل وغاب عن أنظار الفتحة . من خلال نزوله في البئر ، سنكتشف ما هو هذا الشيء الذي لفت نظر المجوس ، فلذلك علينا أن نرجع إلى الماضي عدّة قرون للوصول إلى حادثة مقتل حيرام :

عندما كان الأستاذ حيرام أمام الباب الشرقي ، وكان قد تلقّى الضربة الثانية من الشغّال الثاني الرديء ، هرب بسرعة نحو الباب الجنوبي لأنه كان يخشى أن يكون مطارداً ، وهكذا كان ، لأن الشغّال الثالث

الرديء كان بانتظاره . فنزع من رقبته القلادة المثلية بواسطة سلسلة من سبعة وسبعين زردة ، ورماها في البئر المفتوح في الهيكل والموجود في الزاوية الجنوبية – الغربية للحائط .

هذه القلادة كانت بشكل « دلتا » ومرسوم عليها سعف في كل ضلع ومصنوعة من أنقى المعادن ، وعلى هذه « الدلتا » حفر حيرام ، الذي كان مُساريّاً كاملاً ، الاسم الذي يعجز عنه الوصف والذي كان يحمله دائماً من جهة الوجه الأول ، وخلف الـ « دلتا » معرّض للأنظار المكوّن من وجه ليس عليه رسم .

بينما كان ينزل في البئر متّكلاً على أيديه ورجليه ليصل إلى قاعه ، اكتشف أن جداره كان مقسوماً إلى عدّة مناطق أو حلقات مصنوعة بحجارة ملوّنة بعدّة ألوان وبعلوّ كل واحدة ذراع تقريباً . وعندما وصل إلى قاع البئر عدّ المناطق فكانت عشرة . عندها نظر إلى الأرض ورأى القلادة فالتقطها ثم تفحّصها فاكتشف بانفعال أنه محفوراً عليها الكتابة التي يعجز عن وصفها والتي كان يعرفها لأنه هو أيضاً كان مُساريّاً كاملاً .

ولكي لا يقرؤوها رفاقه الذين لم يكونوا بعد مكتملين في المُساريّة ، علّقها برقبته بواسطة السلسلة ، واضعاً الوجه المحفور إلى الداخل ، كما فعل الأستاذ من قبله .

وبعدها ، نظر من حوله واكتشف فتحة في الحائط يمكن للإنسان أن يدخل منها ، فدخل بخطىً متلمسة في الظلام ، عندها لمست يداه مسطّح أملس تصوّر أنه مصنوع من برونز ، فتراجع وعاد إلى قاع

البئر ، ونادى رفاقه لكي يمسكوا بالحبل وصعد . عندما رأى المجوسان بعنق قائدهم القلادة المعلّقة انحنيا أمامها ، فأدركا أنهما خضعا إلى تكريس جديد . فقال لهما قائدهما ماذا رأى وتكلّم عن الباب البرونزي ، وفكّروا أنه يمكن أن يكون هناك سرّ ، فقرّروا أن يكتشفوه سويّةً .

فوضعوا طرف الحبل المكوّن من الثلاثة زنانير على حجر أملس كان بجانب البئر والذي يقرأ عليه كلمة « ياكين JACHIN » ودحرجوا فوقه اسطوانة عامود كان عليها كلمة « بوعز BOAZ » . وتأكدوا أن الحبل يمكن أن يحمل ثقل رجل واحد دون أن يفلت . عندها أوقد إثنين منهم « ناراً مقدّساً FEU SACRE » بواسطة قضيب من خشب قاسٍ يُلَفّ بين أيديهم ويدور في ثقب معمول من خشب طريّ . وعندما بدأ الخشب الطريّ يشتعل ، نفخوا عليه حتى إثارة اللّهب . في نفس الوقت ، ذهب الثالث ليأخذ من الصرّة المعلّقة بالجمال ثلاثة مشاعل من الراتنج التي حملوها معهم ليبعدوا الحيوانات المتوحّشة عن مكان مخيّمهم اللّيلي . ثم دنوا من « النار المقدّسة » الشعلة تلوى الأخرى إلى أن أخذت تلتهب . وكل مجوسيّ حمل بيده مشعله ونزل على الحبل إلى قاع البئر .

وعندما أصبحوا في قاع البئر ، تبعا القائد في السير المؤدّي إلى الباب البرونزي . فبدأ المجوسيّ العجوز بتفحّص الباب بانتباه وعلى ضوء المشعل ، اكتشف في وسطه وجود زخرفة نافرة بشكل تاج ملوكي ومحاط بدائرة مؤلّفة من إثنين وعشرين نقطة . فانغمس

المجوسيّ بتأمل عميق ، ثم لفظ كلمة « ملكوت – MALKUTH » ، وفجأة فتح الباب . وعندها وجدوا أنفسهم أمام درج ينزل إلى أسفل ، فنزلوا وبأيديهم المشاعل ، وعدّوا الدرجات . عندما نزلوا ثلاثة درجات وجدوا صحن درج مثلّث ، ومن جهة اليسار بدأ درج جديد مؤلّف من خمسة درجات ، فوجدوا من جديد صحن درج بنفس شكل الأول ، وهذه المرّة من الجهة اليمنى ، وجدوا سبعة درجات .

وبعد اجتياز صحن الدرج الثالث ، نزلوا تسعة درجات وواجهوا باب ثاني من البرونز . فالمجوسيّ المسنّ فحصه ، كالسابق ، واكتشف وجود زخرفة أخرى نافرة بشكل حجر زاوية ومُحاط بدائرة من إثنين وعشرين نقطة . فلفظ كلمة « إيزود – IESOD » وأيضاً فتح الباب بدوره . ودخل المجوس قاعة كبيرة لها قبّة مستديرة وحيطانها كانت مزيّنة بتسع نتوءات مضلّعة تصل من أرض القاعة إلى مركز القبّة في السقف .

فحصوها مستعينين بالمشاعل علّهم يجدوا باباً آخر غير الباب الذي دخلوا منه ، فلم يجدوا شيئاً وعندما همّوا بالرجوع ، ورجع القائد يفحص ضلعاً من النتوءات وعدّهم ثم اكتشف باباً آخر في زاوية مظلمة من البرونز فناداهم ، وعلى هذا الباب كان موجوداً في وسطه شمس ساطعة ومحاطة كالأوائل بدائرة من إثنين وعشرين نقطة . بعد أن لفظ قائد المجوس كلمة « نتزاه – NETZAH » فُتح الباب الذي يؤدّي إلى قاعة ثانية .

وبالتتابع ، اجتاز المستكشفون خمسة أبواب أخرى مستترة على حدٍّ سواء ودخلوا في سراديب جديدة .

وفي إحدى هذه الأبواب كان موجوداً ، قمر ساطع ، ورأس أسد ، ومنحنى ليّن وجميل ، ومسطرة ، ولفّة من القانون ، وعين ، وأخيراً تاج ملكي .

والكلمات الملفوظة كانت بالتتابع : « هود – HOD » ، « تيفارات – TIPHERETH » ، « شيزيد – CHESED » ، « جيبوراه – GEBURAH » ، « شوشماه – CHOCHMAH » ، « بناه – BINAH » و « كيتير – KHETER » .

وعندما دخلوا القبّة التاسعة ، وقف المجوس مبغوتين ، مبهورين وخائفين ، لأن هذه القبة كانت غير غارقة في الظلمة ، بل كانت مضاءة ومتألّقة . وفي وسطها كان هناك ثلاث حاملات مصابيح علوّ كلّ واحدة منها إحدى عشر ذراعاً ، وفي كل حاملة ثلاثة مشاعل ، وكانت مشتعلة منذ عدّة قرون ، منذ أن هدمت المملكة اليهودية ، وأورشليم ، وهدم الهيكل لم يؤثّر عليها ، وكان النور لمّاعاً وساطعاً ، وبنفس الوقت ناعماً وقوياً في كافة الزوايا وكل التفاصيل المعمارية التي حفرت في الصخر الطبيعي كانت ظاهرة ، وعندها أطفأ المجوس مشاعلهم لعدم الحاجة إليها ، ووضعوها قرب المدخل . وخلعوا أحذيتهم وأصلحوا تسريحاتهم كأنهم في مكان مقدّس ثم تقدّموا منحنين تسع مرات نحو المصابيح الضخمة .

على قاعدة المثلّث المكوّن من المصابيح كان يوجد مذبح مكعّب بارتفاع ذراعين . وعلى الوجه المطلّ على رأس المثلّث كان معروضاً بالذهب الأدوات الماسونية : المسطرة ، الزاوية ، البركار ، الشاقول ، المالج والمطرقة . وعلى الوجه الأيسر الجانبي ، تظهر الرسمات الهندسية : المثلّث ، المربّع ، النجمة الخماسية والمكعّب . وعلى الوجه الأيمن الجانبي ، نقرأ الأرقام : ٢٧ ، ١٢٥ ، ٣٤٣ ، ٧٢٩ ، ١٣٣١ . وأخيراً على الوجه الخلفي كان مرسوماً الأكاسيا الرمزية . وعلى هذا المذبح كان موضوعاً حجراً من العقيق من ثلاث أسقف لكل جانب واحدة وفي الأعلى مكتوب بالذهب كلمة « أدوناي ADONAI » .

التلميذان المجوسان انحنيا وعبدا اسم الله ، ولكن قائدهم ، بالعكس ، رفع رأسه قائلاً : « حان الأوان لكما لتتلقّيا التعليم النهائي الذي يجعل منكم مُسارّيّين كاملين . هذا الاسم الذي ما هو إلاّ رمز غير مجدي والذي لا يعبّر عن الفكرة الحقيقية « للمفهوم الأسمى » .

وعندها أخذ بيديه حجر العقيق ، واتجه نحو تلاميذه قائلاً : « أنظرا إلى المفهوم الأسمى ها هو . إنكما في وسط الفكرة » .

فبدأ التلميذان يتهّجيا الأحرف (إيود – IOD ، هي – HE ، فو – VAU ، وهي – HE) ، وفتحا فمهما ليلفظا الكلمة ، ولكن قائدهما صرخ بهما « سكوت ، هذه الكلمة التي يُعجز عنها الوصف لا يجب أن تخرج من أي فم » .

فوضع حجر العقيق على المذبح ، ثم أخذ قلادة حيرام من عن صدره وبيّن لهما أن الإشارات نفسها محفورة عليها .

وقال لهما : « إعلما الآن أن هذه القبّة الجوفية لم يحفرها سليمان ، ولا حتى الثمانية السابقين وأيضاً ليس هو الذي خبأ حجر العقيق . إن الحجر وضعه « اخنوخ – HENOCH » ، الأول من كل المُساريّين المُساريّ الذي اختبر المُساريّين ، والذي لم يمت ، ولكنه حيّ في كل أبنائه الروحيين .

« اخنوخ – HENOCH » كان يعيش قبل سليمان بكثير ، وحتى قبل الطوفان . ولا نعلم في أي زمن بُنِيَت القبب الثماني الأول ، وأيضاً حتى حفرة الصخر الحيّ . إلاّ أن ، المُساريّين الكبيرين حوّلا انتباههما عن المذبح وحجر العقيق ، ونظرا إلى سقف القاعة التي كانت عالية بطريقة عجائبية ، وجالا في صحن القاعة الواسعة حيث كانت أصواتهما تثير أصداءً متكرّرة . وهكذا وصلا إلى باب مخفي بعناية والرمز كان عليه وعاء مكسور .

فنادا أستاذهم وقالا له : « إفتح لنا هذا الباب لأنه لا بدّ أن يكون وراءه سرّ جديد . لا ، أجابهما ، لا يجب أن نفتح هذا الباب . يوجد هنا سرّ ، وهذا السرّ مهول ، سرّ الموت . فأجاباه : آه ، تريد أن تخبئ شيئاً وتحتفظ به لوحدك ، نحن نودّ أن نعرف كل شيء ، سنفتح هذا الباب بأنفسنا » .

وبدءا يلفظان كل الكلمات التي خرجت من فم أستاذهم ، ثم بعدما وجدا أن هذه الكلمات لم تنتج أي مفعول ، بدءا يقولان كل ما يرد

على أفكارهما من كلمات . فوصلا إلى حدّ التخلّي ، عندها قال أحد الإثنين : « لا يمكننا المواصلة إلى اللانهاية » . وعندما نطق بهذه الكلمة « اللاّنهاية – EN SOPH » ، فتح الباب بعنف ، والمتهوّرين الإثنين انقلبا على الأرض ، ورياح عاصفة عصفت بالقبّة ، والمصابيح السحرية انطفأت .

وهنا ألقى الأستاذ بنفسه على الباب ودعمه ، ونادى تلميذاه ليساعداه فركضا عند سماع صوته ودعما الباب ، وبتضافر القوى ، تمكّنوا أخيراً من إقفال الباب .

ولكن الأنوار لن تشتعل ثانيةً ، وهكذا أصبح المجوسان في ظلمات عميقة ، فتجمّعا مستعينين بصور أستاذهما ، فقال لهما : « وا حسرتاه ، هذا الحدث المهول كان متوقّع ، كان مكتوباً أنكما سترتكبان هذا التهوّر . ونحن الآن بخطر عظيم وسنهلك في هذه الأمكنة الجوفية المجهولة من البشر . لكن ، فلنحاول أن نخرج ، ونخترق القبب الثمانية لنصل إلى البئر الذي منه نزلنا . والآن فلنمسك أيدينا ولنمشي لغاية باب المخرج . ولنتابع السير إلى كل قاعة حتّى الوصول إلى السلّم المؤلّف من أربعة وعشرين درجة ، الذي نأمل أن نصله » . وهكذا فعلوا وأمضوا ساعات قلقة ، لكن لم ييأسوا . فوصلوا إلى سلّم الأربعة وعشرون درجة ، وعدّوا ٩ ثم ٧ ثم ٥ ثم ٣ ثم وصلوا إلى كعب البئر . فكان منتصف الليل والنجوم كانت تتلألأ في السماء ، والحبل المؤلّف من الزنانير كان ما زال مدلّى . وقبل أن يسمح لرفاقه أن يصعدا ، دلّهما الأستاذ على الدائرة

المشطورة في السماء من فتحة البئر وقال لهما : « إن العشر دوائر التي رأيناها ونحن نازلون ، تمثّل أيضاً القبب أو القناطر للسلّم ، والأخير هو الإحدى عشر الذي منه نفخ ريح الكارثة ، هو السماء التي لا نهاية لها مع مصابيح تملأها خارج منازلنا » .

ذهب الثلاث مُساريين إلى سور الهيكل المهدوم ، وقلبوا من جديد ركيزة العامود دون أن يروا كلمة « بوعز - BOAZ » وفكّوا زنانيرهم ، ولبسوها وركبوا الجمال دون أن يلفظوا أي كلمة ، وغرقوا في تأمل عميق تحت سماء مليئة بالنجوم ، في وسط سكينة اللّيل ، وابتعدوا بخطوات الجمال البطيئة في اتجاه بابل .

فهرس بالمؤلّفين المذكورين ومؤلّفاتهم

١. المؤلّفات الماسونية :

1. OUVRAGES SUR LA FRANC-MAÇONNERIE :

• أندرسون ، جامس : الدساتير الماسونية ١٧٢٣

• ANDERSON , James : Les Constitutions des Francs-Maçons 1723

• بداريد ، أرمان : أسرار النجم الساطع ، والحرف (G) ١٩٢٩

• BEDARRIDE , Armand : Les Mystères de l'Etoile Flamboyante , La Lettre (G) 1929

• شابوي ، ف : نشرة المشاغل العليا :

- المختصرات الماسونية ، ١٩٣٧
- الأكاسيا ، ١٩٣٨
- الوزرة ، ١٩٣٤

• CHAPUIS , F : Bulletin des Ateliers Supérieurs :
- Les Abréviations Maçonniques , 1937
- L'Acacia , 1938
- Le Tablier , 1934

• كورنلوب ، ج : الرمزية ، ١٩٤٥

• CORNELOUP , J : Le Symbolisme , 1945

• فيش ، ج – س – أ : تعليم الفلسفة الماسونية بواسطة الأسرار ، والعبادات ، والميثولوجيا القديمة ، ١٨٦٣

• FISCH , J – C – A : Initiation à la Philosophie de la Franc-Maçonnerie basée sur les Mystères , les Cultes et les Mythologies de l'Antiquité , 1863

• جيدالج ، أميليه-أندره : موجز تفسيري للرمزية الماسونية : أول درجة – درجة المبتدئ – ومقالات عدّة في قاموس ريا ، ١٩٢١

• GEDALGE , Amélie-André : Manuel Interprétatif du Syblolisme Maçonnique : Premier degré – Grade d'Apprenti – et Articles divers dans Dictionnaire Rhéa , 1921

• جلوتون ، أد : تعليمات ماسونية للمبتدئين ، ٥٩٣٤

ماسونية أنكلو–ساكسونية ولاتينية

حلقة الاتحاد ، ٦ – ١٩٣٣

زينة المحفل – حلقة الاتحاد ، ٣٨ – ١٩٣٧

• GLOTON , Ed : Instructions Maçonniques aux Apprentis , 5934

Maçonnirie Anglo-Saxonne et Maçonnaire Latine

La Chaîne d'Union , 1633 – 6

La Décoration du Temple – La Chaîne d'Union , 1937 – 38

• جوبليه دالفليلا : أصول درجة الأستاذ في الماسونية ، بروكسل ١٩٢٨

• GOBLET D'ALVIELLA : Des Origines du Grade de Maître dans la Franc-Maçonnerie Bruxelles ,1928

• جري ، هنري : أصول روابط الحرفيين في الماسونية ، الأكاسيا ١٩٢٤ – ١٩٢٦

• GRAY , Henri : Les Origines Compagnoniques de la Franc-Maçonnerie , L'Acacia , 1924 – 1926

• جونون ، رينيه : لمحة عن المُساريّة ، ١٩٤٦
الثالوث الكبير ، ١٩٤٦

• GUENON , René : Aperçus sur l'Initiation , 1946
La Grande Triade , 1946

• جيلمان دو سان فيكتور : مجموعة قيّمة عن الماسونية الأدونيرامية فيلاديلف ، عند الفيلاليت ، طريق من الزاوية إلى العامودي ، ١٧٨٧

• GUILLEMAIN de Saint-Victor : Recueil Précieux de la Maçonnerie Adonhiramite Philadelphe , chez Philalèthe , rue de l'Equerre – à – l'Aplomb , 1787

• جوليان ، هنري : الرمزية الإيكوسية – حلقة الاتحاد –٤٧–١٩٤٦

• JULIEN , Henri : Le Symbolisme Ecossais – La Chaîne d'Union – 1946 – 47

• لانطوان ، ألبير : الماسونية عندها ، ١٩٢٥

الطقس الإيكوسي القديم المقبول ، ١٩٣٠

الماسونية في الدولة ، ١٩٣٥

عن كلمة «هوذي» نشرة المشاغل العليا ١٩٣٦

فيما يعود للوزرة ، نشرة المشاغل العليا ١٩٣٤

• LANTOINE , Albert : La Franc-Maçonnerie chez elle 1925
Le Rite Ecossais Ancien et Accepté 1930
La Franc-Maçonnerie dans l'Etat 1935
Sur le mot « Huzza » , Bulletin des Ateliers Supérieurs , 1936
A propos du Tablier – Bulletin des Ateliers Supérieurs , 1934

• ليدبيتر ، س. – و. : الجانب الباطني للماسونية ، ١٩٣٠

• LEADBEATER , C. – W. : Le Côté Occulte de la Franc-Maçonnerie , 1930

• لو كونت : تاريخ محفل « الصداقة الرؤوفة » ، ١٩٠٥

• LE CONTE : Histoire de la Loge « La Clémente Amitié » , 1905

• لو فورستيه ، ر : الباطنية والماسونية الإيكوسية ، ١٩٢٨

• LE FORESTIER , R : L'Occultisme et la Franc-Maçonnerie Ecossaise , 1928

• لو باج ماريوس : الكتاب على المذبح الرمزية ، ١٩٣١
القلب والروح الرمزية ، ١٩٣٣
حلقة الاتحاد الرمزية ، ١٩٣٥
السيف البرّاق الرمزية ، ١٩٣٩

• LE PAGE Marius : Le Livre sur l'Autel Le Symbolisme , 1931
Le Coeur et l'Esprit Le Symbolisme , 1933
La Chaîne d'Union Le Symbolisme , 1935
L'Epée Flamboyante Le Symbolisme , 1939

• ليتي ، جوزف : جمعية الفحّامين والماسونية في الصحوة الوطنية الإيطالية . محاولة في النقد التاريخي ، ترجمة لويس لاشا

• LETI , Joseph : Charbonnerie et Maçonnerie dans le réveil National italien Essai de critique Historique – Trad. Louis Lachet

• مارتان سان ليون : رابطة الحرفاء ، ١٩٠١

• MARTIN Saint-Léon : Le Compagnonnage , 1901

• مينار فرنسوا : رمزية الوزرة الرمزية ١٩٣٨ ، وحلقة الاتحاد ٤٦ – ١٩٤٥

• MENARD , François : Symbolisme du Tablier – Le Symbolisme 1938 , et la Chaîne d'Union 1945 – 46

• مويز ، غاستون : دفاع لمصلحة الوزرة الرمزية ١٩٣٩
• MOYSE , Gaston : Plaidoyer en faveur du Tablier Le Symbolisme 1939

• ناجرودسكي ، و. : من المربّع الطويل إلى النجمة المشعّة – الرمزية ١٩٣٧
الأداة المنتقص من قدرها الرمزية ١٩٣٣
سرّ الحرف (G) ١٩٣٥
• NAGRODSKY , W. : Du carré long à l'Etoile Flamboyante – Le Symbolisme 1937
L'Outil méconnu Le Symbolisme 1933
Le Secret de la Lettre (G) 1935

• بالانجانيوس (رينيه جينون) : معماري الكون الأعظم الغنوصية ، ١٩١١
• PALINGENIUS (René Guénon) : Du Grand Architecte de L'Univers La Gnose , 1911

• بابوس : ما يجب أن يعرفه الأستاذ الماسوني ، ١٩١٠
PAPUS : Ce que doit savoir un Maître Maçon , 1910

• بارفوس : من رمزية الزاوية في الماسونية المُساريّة ، ١٨٩٤
• PARVUS : Du Symbolisme de l'Equerre en Franc-Maçonnerie L'Initiation , 1894

• بافيلي ، جان دي : مختصرات ماسونية ،
نشرة المشاغل العليا ، ١٩٣٨
• PAVILLY , Jean de : Abréviations Maçonniques , Bulletin
des Ateliers Supérieurs , 1938

• برديجييه أغريكول : كتاب رابطة الحرفيين (جزأين) ، ١٩٣٨
أبحاث شغّال – نشرة جديدة مع مقدّمة ومع
ملحوظات لجان فلاّن ، ١٩٤٣
• PERDIGUIER , Agricol : Le Livre du Compagnonnage
(2 Vol) , 1938
Mémoires d'un Compagnon –
Nouv. Edit. avec préface et notes
De Jean Follain , 1943

• برسيجو ، ج. : أبناء الأرملة الأخبار الماسونية العالمية ، ١٩٣٣
السداسي الشكل الخماسي الرمزية ، ١٩٣٩
غرفة التأمل ، ١٩٤٦
• PERSIGOUT , G. : Les Enfants de la Veuve Annales
Maçonniques Universelles , 1933
L'Hexagramme Pentalphique Le
Symbolisme , 1939
Le Cabinet de Reflexion , 1946

• ب. ب. : تأملات فيلسوف قديم لشعار مشهور
حلقة الاتحاد ، ٤٧ – ١٩٤٦
• P. P. : Reflexions d'un vieux Philosophe sur une devise
célèbre
La Chaîne d'Union , 1946 – 47

• بلانتاجينيه ، إدوار ، أ. : محاضرات مُسارّيّة للعمل في المحفل للمبتدئين ، ١٩٢٩

محاضرات مُسارّيّة للعمل في المحفل للشغّالين ، ١٩٢٩

محاضرات مُسارّيّة للعمل في غرفة الوسط ، ١٩٣١

• PLANTAGENET , Edward E. : Causeries Initiatiques pour le Travail en Loge d'Apprentis , 1929
Causeries Initiatiques pour le Travail en Loge de Compagnons , 1929
Causeries Initiatiques pour le Travail en Chambre du Milieu , 1931

• كارتييه ، لا ، تونت ، إد. : الدرجات والطقوس الماسونية برن ، ١٩١٥

• QUARTIER , La , Tente , Ed. : Les Grades et les Rites Maçonniques – Berne , 1915

• ريبوكور ، أ. دي : الحرف (G) ، ١٩٠٧

• RIBAUCOURT , E. De. : La Lettre (G) , 1907

• تيرييه ، هنري : نظرة عامة للتعليم الماسوني الإيجابي ، ١٩٢٧

• THIRIET , Henry : Esquisse d'une Doctrine positive de la Franc-Maçonnerie , 1927

• راغون ، ج. م. : طقس المبتدئ الماسوني ، ١٨٦٠
طقس درجة الشغّال ، ١٨٦٠
طقس درجة أستاذ ، ١٨٦٠
درس فلسفي وتفسيري للمُسارّة القديمة والحديثة ١٨٤١
كذلك – نشرة مبجّلة نانسي ، ٥٨٤٢
الماسونية القيّمة ، ١٨٥٣
طقس لاعتماد الجراميز الفتيان ، ١٨٦٠

• RAGON , J. M. : Rituel de l'Apprenti Maçon , 1860
Rituel du Grade de Compagnon , 1860
Rituel du Grade de Maître , 1860
Cours Philosophique et Interprétatif des initiations anciennes et modernes , 1841
Idem. Edition Sacrée Nancy , 5842
Orthodoxie Maçonnique , 1853
Rituel d'Adoption des jeunes louveteaux , 1860

• أوهلمان ، فريتز : مختصر صغير للماسونية
ترجمة هنري – جان بول بال ، ١٩٣٣

• UHLMANN , Fritz : Petit Manuel de la Franc-Maçonnerie
Traduction Henri–Jean Bolle Bâle 1933

• وينتر : الكائن الماسوني نشرة المشاغل العليا ، ١٩٣٧

• WINTER : L'Etre Maçonnique Bulletin des Ateliers Supérieurs , 1937

• أوزوالد ، ويرث : كتاب المبتدئ ، ١٩٣١
كتاب الشغّال ، ١٩٣١
كتاب الأستاذ ، ١٩٣١
الرمزية الخفيّة في علاقاتها بعلم الكيمياء القديمة للماسونية الطبعة الثانية ، ١٩٣١
من هو نظامي ؟ الماسونية الصرفة في عهد المحافل الكبرى التي افتتحت سنة ١٧١٧-١٩٣٨
السبعية للمحفل الصحيح والكامل
مجلة النور الماسوني ، ١٩١٠
الفن الملكي نشرة المشاغل العليا ، ١٩٣٩
الإطار المخرّم الرمزية ، ١٩١٣

• WIRTH , Oswald : Le Livre de l'Apprenti , 1931
Le Livre du Compagnon , 1931
Le Livre du Maître , 1931
Le Symbolisme Hermétique dans ses rapports avec l'Alchimie de la Franc-Maçonnerie 2ème Edition , 1931
Qui est régulier ? Le pur Maçonnisme sous le Régime des Grandes Loges Inaugurées en 1717 – 1938
Le Septénaire de la Loge Juste et Parfaite
La Lumière Maçonnique , 1910
L'Art Royal Bulletin des Ateliers Supérieurs , 1939
La Bordure dentelée Le Symbolisme , 1913

• فونكا ، ر. : خطوة المبتدئ نشرة المشاغل العليا ، ١٩٣٤

إشارة المبتدئ نشرة المشاغل العليا ، ١٩٣٤

• VONKA , R. : Le pas d'Apprenti Bulletin des Ateliers Supérieurs , 1934
Le Signe d'Apprenti Bulletin des Ateliers Supérieurs , 1934

• المحفل المحترم : « للمبتدئين » عن الإمكانيات والوسائل لتقارب مختلف السلطات الماسونية في العالم ، ١٩٣٨

• R ∴L ∴: « Les Apprentis » des possibilités et des moyens de rapprochement des diverses Puissances Maçonniques du monde , 1938

• الشرق الأكبر : موجز صغير ماسوني بشكل قاموس للاستعمال في محافل الشرق الأكبر ، ١٩٢١

• Grand Orient : Petit Memento Maçonnique rédigé en forme de dictionnaire à l'usage des Loges du Grand Orient , 1921

• القانون الماسوني للمحافل المتّحدة والمصحّحة الفرنسية مؤتمر ماسوني وطني في ليون ٥٧٧٨

• CODE MAÇONNIQUE des Loges Réunies et Rectifiées de France .
Convent National de Lyon , 5778

٢. المؤلّفات ضدّ الماسونية :

2. OUVRAGES CONTRE LA FRANC-MAÇONNERIE :

• باتاي : دكتور (اسم مستعار للدكتور هاكس)
الشيطان في القرن التاسع عشر أو أسرار علم الروح
الماسونية الإبليسية ، إلخ ... (جزئين) ، ١٨٩٥ – ١٨٩٢

• BATAILLE ,: Docteur (Pseudonyme du docteur Hacks)
Le diable au XIX ème siècle ou les Mystères du Spiritisme
La Franc-Maçonnerie luciférienne , etc ... , 1892 – 1895 (2 Volumes)

• دوانل ، جول (اسم مستعار لجان كوتسكا)

• DOINEL , Jules Pseudonyme de Jean Kotska

• جوم ، أسقف – كشف خفايا الشيطان ، ١٨٨٠

• GAUME , Mgr – Les Mystères du Diable dévoilés , 1880

• كوستكا ، جان – كشف إبليس ، ١٨٩٥

• KOTSKA , Jean – Lucifer démasqué , 1895

• لاكانو ، الأب : نجمة الماسون المجلة الكاثوليكية
الجزء الحادي عشر

• LECANU , Abbé : L'Etoile des Francs-Maçons Revue Catholique Tome XI

• روزن ، بول – الماسونية التطبيقية درس في التعليم العالي للماسونية طقس إيكوسي قديم مقبول من قبل الكلّي القدرة السامي الاحترام القائد الأعظم (القطب) في أحد المجالس السامية المتّحدة بلوزان سنة ١٨٧٥ . نشرة مبجّلة ، موجّهة خاصةً للماسون المنتظمين . نشر من قبل دنيوي جزئين ، ١٨٨٥ . – إبليس وشركاه ، جمعية عامة لهدم النظام الاجتماعي . إفشاء أسرار كاملة عن الماسونية من قبل السامي الاحترام المفتش العام الأعظم (درجة ٣٣) آخر درجة للماسونية ، بول روزن ، ١٨٨٨

• ROSEN , Paul - Maçonnerie Pratique . Cours d'enseignement supérieur de la Franc-Maçonnerie . Rite Ecossais Ancien et Accepté par le Très Puissant Souverain Grand Commandeur d'un des Suprêmes Conseils Confédérés à Lausanne en 1875 . Edition sacrée s'adressant exclusivement aux Francs-Maçons réguliers . Publiée par un Profane 2 Vol , 1885 . - Satan et Compagnie . Association Universelle pour la destruction de l'ordre social . Révélations complètes de tous les Secrets de la Franc-Maçonnerie par le Très Illustre Souverain Grand Inspecteur Général du 33° et dernier degré de la Franc-Maçonnerie , Paul Rosen , 1888

• مورين ، أسقف : الماسونية ، كنيس رئيس الشياطين ، ١٨٩٣

• MEURIN , Mgr : La Franc-Maçonnerie , Synagogue de Saton , 1893

• نيكولو ، ش : المُساريّة الماسونية طبعة ٤ ، ١٩٣١

• NICOULLAUD , CH : L'Initiation Maçonnique 4ème Ed. , 1931

• ريبيه ، الأب : الصوفية الإلهية المميّزة عن التزييفات الشيطانية وعن المماثلة البشرية ٤ أجزاء ، ١٩٠٢

• RIBET , Abbé : La Mystique Divine distinguée des contrefaçons diaboliques et des analogies humaines 4 Vol. , 1902

٣. المؤلّفات : الرمزية ، الكبّالا والكتومة ، إلخ ...

3. OUVRAGES SUR LE SYMBOLISME , LA KABBALE , L'HERMETISME , ETC ...

• اللّندي دكتور ر. : رمزية الأرقام
محاولة في فلسفة علم الحساب ، ١٩٢١

• ALLENDY , Docteur R. : Le Symbolisme des Nombres . Essai d'Arithmosophie , 1921

• أللّوت دو لا فوي : النجمة الخماسية الفيثاغورية ، إنتشارها ،
إستعمالها في كتاب الهجاء المسماري الشكل
١٩٣٤

• ALLOTE DE LA FUYE : Le Pentagramme Phythagoricien , Sa Diffusion , son Emploi dans le Syllabaire cunéiforme , 1934

• بيليار : دكتور أوكتاف – رسالة للمؤلّف

• BELIARD : Docteur Octave – Lettre à l'Auteur

• بينوا ، لوك : فنّ في العالم ، ١٩٤١

• BENOIST , Luc : Art du Monde , 1941

• شوفيه : دكتور أ. أ. – سرّية التكوين جزء أول ، ١٩٤٦

• CHAUVET : Dr. A. E. – Esotérisme de la Genèse Tome 1er , 1946

• بورنوف ، آميل : الإناء المقدّس وما يحتويه في الهند ، في بلاد
فارس ، في اليونان ، وفي الكنيسة المسيحية ،
١٨٩٦

• BURNOUF , Emile : Le Vase Sacré et ce qu'il contient dans L'Inde , la Perse , la Grèce et dans l'Eglise Chrétienne , 1896

• كازالاس جنرال أ. : – المربعات السحرية في درجة (ن)
متسلسلات عددية لتاري ج. مع لمحة
تاريخية وفهرس وصور سحرية ، ١٩٣٤
– الخواتم الكوكبية (لأجريبّا ، ت) مجلة
تاريخ الأديان جزء ٦٠ رقم (١) أيلول
و آب ، ١٩٣٤

• CAZALAS Général E. : - Carrés Magiques au degré (n) Séries numérales de G. Tarry avec un aperçu historique et une bibliographie des figures magiques , 1934
- Les Sceaux Planétaires de C. Agrippa Revue de l'Histoire des Religions . Tome CX , № 1 , Juillet – Août 1934

• كومون ، فرانز : أبحاث عن الرمزية الجنائزية الرومانية ،١٩٤٢

• CUMONT , Franz : Recherches sur le Symbolisme funéraire des Romains , 1942

• إينيل : اللّغة المقدّسة ، ١٩٣٤

• ENEL : La Langue Sacrée , 1934

• إيفولا ، جول : أسطورة الكأس (الجرال) و « أسرار »
الإمبراطورية . دراسات تقليدية ، ١٩٣٩

• EVOLA , Jules : La Légende du Graal et le « Mystère » de L'Empire . Etudes Traditionnelles , 1939

• فولكانيلّي : – سرّ الكاتدرائيات والتفسير الباطني للرموز الخفية
للهدف الأسمى (حجر الفلاسفة) ، ١٩٢٦
– مقرّات الفلاسفة والرمزية الخفية في علاقاته مع
الفنّ المبجّل وباطنية الهدف الأسمى
(حجر الفلاسفة) ، ١٩٣٠

• FULCANELLI : - Le Mystère des Cathédrales et l'Interprétation Esotérique des Symboles Hermétiques du Grand Œuvre , 1926
- Les Demeures Philosophales et le Symbolisme Hermétique dans ses rapports avec l'Art Sacré et l'Esotérisme du Grand-Œuvre , 1930

• غيكا ، ماتيلا ث. : – الرقم الذهبي طقوس وإيقاعات فيتاغورية في نموّ الحضارة الغربية جزئين ، ١٩٣١
– محاولة في الإيقاع ، ١٩٣٨

• GHIKA , Matila C. : - Le Nombre d'Or . Rites et Rythmes Pythagoriciens dans le développement de la civilisation Occidentale . 2 Vol. , 1931
- Essai sur le Rythme , 1938

• جيشتل : الحكمة الإلهية التطبيقية . إنفتاح قصير وتثقيف في المبادئ الثلاث والعوالم الثلاثة في الإنسان ، ١٨٩٧

• GICHTEL : Théosophie Practica . Courte Ouverture et Instruction sur les trois principes et les trois mondes dans l'homme . 1897

• جوبلي دالفييلاً : إعتقادات ، طقوس ، مؤسسات (٣ أجزاء) ، ١٩١١

• GOBLET D'ALVIELLA : Croyances , Rites , Institutions , (3 Vol.) , 1911

• جريّود وجيفري : ١٢ تأملات على درب الباطنية للمطلق،١٩٠٧

• GRILLOT DE GIVRY : XII Méditations sur la voie ésotérique de l'Absolu , 1907

• جروبيل ، ليون : أبحاث في أصل العلاقات القديمة التي تتواجد
في الفنّ والصناعة من القرن ١٥ إلى ١٩ ،
بالنسبة للرقم أربعة ، ١٩٢٦

• GRUEL , Léon : Recherches sur les origins des marques anciènnes qui se rencontrent dans l'Art et dans l'Industrie du XVème au XIXème siècle par rapport au chiffre quatre , 1926

• جايتا ، ستانيسلاس دو. : مفتاح السحر الأسود ، ١٨٩٧

• GUAITA , Stanislas De. : La Clef de la Magie Noire , 1897

• جوبرناتيس ، أنجلو دو. : ميتولوجيا النبات جزئين ، ١٨٨٢

• GUBERNATIS , Angelo De. : Mythologie des Plantes 2 Vol. , 1882

• جونون ، رينيه : ملك العالم ، ١٩٣٠
رمزية الصليب ، ١٩٣١

• GUENON , René : Le Roi du Monde , 1930
Le Symbolisme de la Croix , 1931

• ج. ب. : موجز السحر التطبيقي ، ١٩٥٣

• J. B. : Manuel de Magie Pratique , 1953

• خونراث ، هنري : مدرج الحكمة الأزلية ، مترجم لأول مرّة للفرنسي عن نشرة ١٦٠٩ جزئين ، ١٨٩٨

• KHUNRATH , Henri : Amphitheatre de l'Eternelle Sapience , traduit pour la première fois en français sur l'édition de 1609 2 Vol. , 1898

• لاجار ، فليكس : أبحاث في عبادة ميترا بالشرق والغرب ،١٨٦٧

• LAJARD , Félix : Recherche sur le culte de Mithra en Orient et en Occident , 1867

• لانوي ، فيلّن : رواية الزنبقة ، ١٩١١

كتاب الرموز ، ت. ق. ، ١٩٣٣

• LANOE , VILLENE : Le Roman du Lys , 1911
Le Livre des Symboles T.V. , 1933

• الأب لاكوريا : انسجام الكائن المعبّر بالأرقام ، أو قوانين علم الكائن ، وعلم النفس ، وعلم الأخلاق وعلم الطبيعة مفسّرة الواحدة بالآخرين ومعادة إلى مبدأ واحد جزئين ، ١٨٤٧

• LACURIA , Abbé : Les Harmonies de l'Etre exprimé par les nombres , ou lois de l'Ontologie , de la Psychologie , de l'Ethique et de la Physique expliquées les unes par les autres et ramenées par un seul principe 2 Vol. , 1847

• لافي ، إليفاس : أسرار الكبّالا ، ١٩٢٠

• LEVI , Eliphas : Les Mystères de la Kabbale , 1920

• مارك ، ريفيير : حجابات ، طلاسم و « بانتاكل » (حلية مؤلّفة من ثلاثة مثلّثات وعليها تاج) ، ١٩٣٨

اليوغا التنتريكية الهندية والتيبيتية ، ١٩٣٨

• MARQUES , RIVIERE : Annulettes , Talismans , et Pantacles , 1938
Le Yoga tantrique hindou et thibetain , 1938

• مارتان ، دوم جاك : تفسير لعدّة صروح فريدة على صلة بالأديان للشعوب الأقدمين ، ١٧٣٩

• MARTIN , Dom Jacques : Explication de divers Monuments singuliers qui ont rapport à la religion des plus anciens peuples , 1739

• أوتّو ، ر. : المقدّس – العنصر الغير المنطقي في الفكرة الإلهية في علاقتها مع المنطقي ، ١٩٢٩

• OTTO , R. : Le Sacré – L'Elément non rationnel dans l'idée du Divin et sa relation avec le rationnel , 1929

• بيتروس ، طاليماريانوس : من فنّ العمارة الطبيعي أو تقرير بيتروس طاليماريانوس على إقامة حسب مبادئ الاعتقادات « التاتريسم » (الهند) و « التأوويسم » (الصين) و الفيثاغوريسم و الكبّال ، « للقاعدة الذهبية » لإنشاء قوانين الانسجام الكوني ومساهمة لإنجاز الهدف الأسمى « حجر الفلاسفة » ، ١٩٤٨

• PETRUS , Talemarianus : De l'Architecture Naturelle rapport de Petrus Talemarianus sur l'établissement d'après les principes du Tantrisme , du Taoïsme , du Pythagorisme et de la Cabbale , d'une « Règle d'Or » servant à la réalisation des Lois de l'Harmonie Universelle et contribuant à l'accomplissement du Grand Œuvre , 1948

• بييت ، ج. : رسالة للمؤلّف

• PIETTE , J. : Lettre à l'auteur

• بورتال : الألوان الرمزية في العصور القديمة والقرون الوسطى والأزمان المعاصرة ، ١٩٣٨

• PORTAL : Des couleurs symboliques dans l'antiquité , le Moyen Age et les temps modernes , 1938

• روهييه ، دكتور ألكسوندر : عطور آسيا (الهند ، التيبيت ، الصين ، اليابان) ، منشأها وتركيبها ، ومفعولها ، واستعمالها الطقسي ، أسرارها ، الجنسي ، العلاج الإلهي والّلهباد، ١٩٤٠

• ROUHIER , Docteur Alexandre : Les Parfums d'Asie (Inde , Thibet , Chine , Japon) K leur provenance , leur composition , leurs effets , leur utilisation rituelle , mystique , érotique , thérapeutique et divinatoire , Allahabad , 1940

• ورّان ، فرنسيس : السفيروت والكبّالا ، ١٩٤٨

• WARRAIN , Francis : Les Séphiroth et la Kabbale , 1948

- سان مارتان ، لويس كلود دو. : – لوحة طبيعية للعلاقات الموجودة بين الله والإنسان والكون ، ١٧٨٢
  – الأخطاء والحقيقة جزئين ، ١٧٨٢
  – الأرقام
  – نشرة بعد الوفاة ، ١٩١٣

- SAINT MARTIN , Louis Claude De. : - Tableau Naturel des Rapports qui existe entre Dieu , l'Homme et l'Univers , 1782
  - Des Erreurs et de la Vérité 2 Vol. , 1782
  - Des Nombres
  - Œuvre Posthume , 1913

• ساروبا ، هنري : الكبّالا منشأها وعلمها النفسي الباطني والماورائي ، ١٩٤٧

• SEROUYA , Henri : La Kabbale Ses Origines , sa psychologie mystique et sa métaphysique , 1947

• ويرث ، أوزوالد : التاروت لصور القرون الوسطى ، ١٩٢٧

• WIRTH , Oswald : Le Tarot des Imagiers du Moyen Age , 1927

٤ـ مؤلّفات الطقوس ورمزية الدين الكاثوليكي :

4. OUVRAGES SUR LES RITES ET LE SYMBOLISME DE LA RELIGION CATHOLIQUE :

• الأب أوبير : تاريخ ونظرية الرمزية الدينية ٤ أجزاء ، ١٨٨٤

• AUBER , Abbé : Histoire et Théorie du Symbolisme Religieux 4 Vol. , 1884

• سيادة المطران باربييه دي مونتول : بحث في الأيقونوغرافيا المسيحية جزئين ، ١٨٩٠

• BARBIER De Montault , Mgr. : Traité d'Iconographie Chrétienne 2 Vol. 1890

• باري ، ج. : قاموس اللاّهوت – الجزء الثاني ، ١٩٠٥ باب « الكابّالا »

• BAREILLE , G. : Dictionnaire de Théologie - T. 1 , 1905 Art. « Cabbale »

• الأب أ. بيرتو : دراسات عن الرمزية في عبادة العذراء ، ١٩٤٧

• BERTAUD , Abbé E. : Etudes du Symbolisme dans le Culte de la Vierge , 1947

• الأب كوربليه : مفردات الرموز ، ١٨٧٧

• CORBLET , Abbé : Vocabulaire des Symboles , 1877

• هونسمان ، ج. ك. : الكاتدرائية ، ١٩٠٨
• HUYSMANS , J. K. : La Cathédrale , 1908

• القدّيس إيرينيه : بحث ضدّ البدعات
• IRENEE , Saint : Traité contre les Hérésies

• كيفر ، سيادة المطران : موجز عن الطقس المقدّس ، ١٩٣٧
• KIEFFER , Mgr. : Précis de Liturgie sacrée , 1937

• كروزر : الذبيحة الإلهية للقدّاس ، عرض تاريخي
• KREUZER : Le Saint Sacrifice de la Messe exposé historiquement

• لوكليرك ، ه. : آثيا ومتيهة
قاموس علم الآثار المسيحي ، ١٩٢٤ – ١٩٢٨
• LECLERCQ , H. : Ascia et Labyrinthe
Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne , 1924 – 1928

• الأب مارتيني : قبلة السلام
قاموس العصور القديمة المسيحية ، ١٨٦٥
• MARTIGNY , Abbé : Baiser de Paix
Dictionnaire des Antiquités Chrétiennes , 1865

• بونييه ، دوم بياردو : الحبريّة الرومانية ، ١٩٣١
• PUNIET , Dom Pierrede : Le Pontifical Romain , 1931

• ترافير ، جان س. م. : القيمة الاجتماعية للطقس المسيحي حسب القديس توماس داكان ، ١٩٤٦

• TRAVERS , Jean C. M. : Valeur Sociale de la Liturgie d'après Saint Thomas d'Aquin , 1946

٥. مؤلفات مختلفة :

5. **OUVRAGES DIVERS** :

• دكتور هنري أليكس : مقدّمة لدراسة السحر ، ١٩٣٦

• ALLAIX , Docteur Henri : Introduction à l'étude de la Magie , 1936

• أبولي : التحوّل

• APULEE : La Métamorphose

• برجمان ، ف. ج. : جاذبية « الجولفي » ، ١٨٧١

• BERGMANN , F. G. : La Fascination de Gulfi , 1871

• برناردين دو سان بيار : دراسة للطبيعة

• BERNARDIN DE SAINT PIERRE : Etude de la Nature

• بلان ، لويس : تاريخ الثورة الفرنسية ، ١٨٤٧

• BLANC , Louis : Histoire de la Révolution Française , 1847

• بولّ ، مارسال : سرّ الأرقام والأشكال ، ١٩٤١

• BOLL , Marcel : Le Mystère des Nombres et des Fromes , 1941

• بريام ، أ. أ. : الجمعيات السرّية الخفيّة ، ١٩٤١

• BRIEM , O. E. : Les Sociétés Secrètes de Mystères , 1941

• كاييه : موجز المصادر والمرجع للعلوم النفسانية أو الباطنية – ٣ أجزاء ، ١٩١٢

• CAILLET : Manuel bibliographique des Sciences Psychiques ou Occultes – 3 Vol. , 1912

• دكتور بول كارتون : علم الباطنية والعلوم الباطنية ، ١٩٣٥

• CARTON . Docteur Paul : La Science Occulte et les Sciences Occultes , 1935

• شامبرتران ، جيلبير دو : لنفهم ونطبّق علم التنجيم الحديث ، ١٩٤٧

• CHAMBERTRAND , Gilbert De : Pour comprendre et pratiquer l'Astrologie Moderne , 1947

• شاردان : يوميات الفارس شاردان في بلاد فارس ، ١٧١١

• CHARDIN : Journal du Chevalier Chardin en Perse , 1711

• شوشود ، لويس – هوبي : الغامضة ، ١٩٤٣
علم الباطن والسحر في الشرق الأقصى ، ١٩٤٥

• CHOCHOD , Louis – Hué : La Mystérieuse , 1943
Occultisme et Magie en Extrème Orient 1945

• شوازي ، ماريز : قراءة الكف ، ١٩٢٧

• CHOISY , Maryse : La Chirologie , 1927

• كريستيان ، ب. : تاريخ السحر ، والعالم ما فوق الطبيعة والقدر عبر الأزمان والشعوب ، ١٨٧٠

• CHRISTIAN , P. : Histoire de la Magie , du Monde surnaturel et de la fatalité à travers les temps et les peuples , 1870

• كونتنو : موجز علم الآثار الشرقية – ٣ أجزاء ، ١٩٢٧

• CONTENAU : Manuel d'Archéologie Orientale – 3 Vol. 1927

• الكاهن القانوني كرمبون : التوراة المقدّسة ، ١٩٣٩

• CRAMPON , Chanoine : La Sainte Bible , 1939

• كريبان ، هنري : حرية العمل في فرنسا القديمة ، ١٩٣٧

• CREPIN , Henri : La Liberté de travail dans l'ancienne France , 1937

• ديشارم ، ب. : علم الأساطير لليونان القديم

• DECHARME , P. : Mythologie de la Grèce antique

• ديشوليت : موجز علم الآثار ما قبل التاريخ ، السلتيك والغالو – رومانية – الجزء الثاني ، ١٩٣٤

• DECHELETTE : Manuel d'Archéologie Préhistorique , celtique et gallo-romaine – Tome II , 1924

• دوتان ، ج. : دين السيلت ، ١٩٠٤

• DOTTIN , G. : La Religion des Celtes , 1904

• دوبينيه دو فوربيير : الموسوعة العالمية ، ١٨٦٧
باب « الشطرنج »

• DUPINEY DE VOREPIERRE : Encyclopédie Universelle , 1867
Art. « Echecs »

• دوبوي : أصل كل العبادات والأديان العالمية ١٠ أجزاء ، ١٨٣٥

• DEPUIS : Origine de tous les cultes ou Religion Universelle 10 Vol. , 1835

• إيرموني : التوراة وعلم الآثار الأشورية ، ١٩٠٣

• ERMONI : La Bible et l'Assyriologie , 1903

• فابرسيوس ، جان-ألبير : علم اللاّهوت للماء أو رسالة في الطيبة ، حكمة وقدرة الله معربة بخلق الماء ، ١٧٤٣

• FABRICIUS , Jean-Albert : Théologie de l'Eau ou Essai sur la bonté , la sagesse et la puissance de Dieu manifestées dans la création de l'Eau , 1743

• فلافيوس ، جوزيف : اليهودية القديمة – الكتاب الثامن – ترجمة جوليان ويل ، ١٩٢٦

• FLAVIUS , Joseph : Antiquités Judaïques – Livre VIII – Trad. Julien Weill , 1926

• فايي ، أوجين دو : غنوصيّ وغنوصيّة-دراسة انتقادية للوثائق الغنوصيّة المسيحية في القرن الثاني والثالث،

١٩٢٥

• FAYE , Eugène DE : Gnostiques et Gnosticisme – Etude critique des documents du gnostime chrétien aux IIème et IIIème siècles , 1925

• فلاسيليير ، روبير : عن (E) في دلفس لبلوتارك (في اليونان) – نص وترجمة مع مقدّمة وملاحظات ،

١٩٤١

• FRACELLIERE , Robert : Sur l'E de Delphes du Plutarque – Texte et traduction avec introduction et notes , 1941

• فورّي ، أ. : طرق أصلية للإنشاء الهندسي ، ١٩٢٣

• FOURREY , E. : Procédés Originaux de constructions génétriques , 1923

• سير جيمس جورج فرازير : الغصن الذهبي – نشرة مختصرة – ترجمة لادي فرازير ، ١٩٢٣

• FRAZER , Sir James George : Le Rameau d'Or – Edition abrégée – Trad. Lady Frazer , 1923

• جات فوسّيه ، ر. م. : المداواة بالعطور ، ١٩٣٧

• GATTE Fossé , R. M. : Arom à thérapie , 1937

• غينان : تحقيق في الفؤوس والحصى في التطبيق البريطاني – مجموعة من الفولكلور ما قبل التاريخ جزء ٢ ، ١٩٣٤

• GUENIN : Enquête sur les haches et les cailloux dans les pratiques bretonnes – Corpus du Folklore préhistoique Tome II , 1934

• هاب ، فرنسوا : ألوهية الأبجدية اللاّتينية ، ١٩٤٨

• HAAB , François : Divination de l'Alphabet latin , 1948

• هنري ، فيكتور : السحر في الهند القديمة ، ١٩٠٩

• HENRY , Victor : La Magie dans l'Inde Antique , 1909

• هوجبن ، لوتسلو : علم الرياضيات للجميع
ترجمة ف. ه. لاروي ، ١٩٣٩

• HOGBEN , Lancelot : Les Matématiques pour tous
Trad. F. H. Larrouy , 1939

• كراب ، ألكساندر هجّارتي : تكوّن الأساطير ، ١٩٣٨

• KRAPPE , Alexandre Haggerty : La Genèse des Mythes , 1938

• لاميرت ، أد. : محاولة في علم المسكوكات الغولية لشمالي – غربي فرنسا ، ١٨٤٤

• LAMBERT , Ed. : Essai sur la numismatique gauloise du nord – ouest la France , 1844

• ليدبيتر : مراكز القوة في الإنسان (الشقرا) ، ١٩٢٧

• LEADBEATER : Les Centres de force dans l'Homme (Les Chakras) , 1927

• ليكسا ، فرنسوا : السحر في مصر القديمة من الإمبراطورية القديمة لغاية العصر القبطي ٣ أجزاء ، ١٩٢٥

• LEXA , François : La Magie dans l'Egypte Antique de l'ancien Empire jusqu'à l'époque Copte 3 Vol. , 1925

• مندلسلو : رحلة من بلاد الفرس إلى الهند الشرقية – ترجمة ويكفور أمستردام ، ١٧٢٧

• MANDELSLO : Voyage de Perse aux Indes Orientales – Trad. Wicquefort Amsterdam , 1727

• مينار ، رينيه وسوفاجو : العائلة واللّباس في العهد القديم ، ١٩١٢
مصر وآسيا ، ١٩١٢

• MENARD , René et Sauvageot : La Famille et le Vêtement dans l'Antiquité , 1912
L'Egypte et l'Asie , 1912

• بابوس : تاروت الغجر ، ١٨٨٩

• PAPUS : Le Tarot des Bohémiens , 1889

• بيكار ، أود : موجز تركيبي وتطبيقي للتاروت ، ١٩٠٩

• PICARD , Eudes : Manuel synthétique et pratique du Tarot , 1909

• الأب بييريه ، ت. : موجز لعلم الآثار التطبيقي ، ١٨٦٤
• PIERRET , Abbé Th. : Manuel d'Archéologie pratique , 1864

• بلانك ، ماكس : تعليم الفيزياء ، ١٩٤١
• PLANK , Max : Initiations à la Physique , 1941

• بلين : – التاريخ الطبيعي ١٢ جزء ، ١٧٨٢
– عن الزمرّد
– عن الزهر في العهد القديم
• PLINE : - Histoire Naturelle – 12 Vol. , 1782
- Sur l'émeraude
- Sur les dès des anciens

• بو ، إدغار : اغتيال مزدوج في شارع مورغ – ترجمة بودلير
• POE , Edgar : Double assassinat dans la rue Morgue – Trad. Baudelaire

• رابليه : غارغوتيا وبونتاغرييل
• RABELAIS : Gargautua et Pantagruel

• دكتور جول رينيول : الحاسبات المسرفة ، ١٩٤٣
• REGNAULT , Docteur Jules : Les Calculateurs prodigues , 1943

• رونوفييه وبار : الموتادولوجي الحديثة ، ١٨٩٩
• RENOUVIER et PRAT : La Nouvelle Monadologie , 1899

• روس ، بال : تاريخ الرياضيات – جزء أول ، ١٩٢٧

• ROUSE , Ball : Histoire des Mathématiques – Tome I , 1927

• سانت إيف : علم التنجيم الشعبي وتأثير القمر ، ١٩٣٧

• SAINT YVES : L'Astrologie populaire et l'Influence de la Lune , 1937

• سكاليجر ، جوزيف ، جوست : روزنامة

• SCALIGER , Joseph , Juste : Calendrier

• تاسّيلو دو شيفر : أسرار ونبوءات إغريقية ، ١٩٤٣

• THASSILO De Scheffer : Mystère et Oracles Helléniques , 1943

• فان جينيب : الطقوس العابرة ، ١٩٠٩

• VAN Gennep : Les Rites de Passage , 1909

• فولني : الخرئب ، ١٧٩١

• VOLNEY : Les Ruines , 1791

رمزية البنّائية الحرّة

إنّ كتاب "رمزية البنائية الحرّة" والذي طبع أوّل مرّة سنة ١٩٤٨ هو كتاب لا يقدم (يشيخ)، لأنّ رمزيات البنّائية الحرّة هي من صلب تقاليدها - والتقاليد التي نعنيها لا صلة لها بتكرار العوائد - بل هي نهج قيّم يجتاز الزمن كما تشير أصل كلمة تقليد دون تبديل بالشكل الأساسي من خلال عامل الزمن. هذا العمل هو مجموعة كتب ومراجع. في حقل البنّائية الحرّة نستعين ب"بوشيه" كما نستعين في حقل اللغة الفرنسية ب "المعجم لاروس". في هذا الكتاب، لا يعبّر المؤلّف، عن مفهومه ووجهة نظره الشخصية فقط في المواضيع التي يعالجها، بل يأخذ بعين الإعتبار كل مؤلّفي المراجع في هذا الحقل ويضع وجهات نظرهم في كتابه. هذا الكتاب كلّه مراجع وملحقات ومصادر تسمح للباحثين في التعليم الماسوني أن يزيدوا معلوماتهم. أخيرًا، إنّ كتاب "رمزية البنّائية الحرّة" يبيّن لنا أنّ البنّائية الحرّة هي مجتمع مُساريّ هدفها يكمُن بمساعدة الإنسان لإعلاء نفسه فوق وضعيته العادية وتؤمّن له منفذًا للوصول إلى "المعرفة" - التي لا يجب أن نخلطها بتراكم المعارف المتنوعة - ولكن "المعرفة" التي نحن بحاجة إليها أكثر من أي وقت مضى لتكملة بناء "هيكلنا الداخلي" أي اكتشاف حقيقة "الأنا المحجوبة" ومن ثمّ تشييد "هيكلنا الخارجي" وبمعنى آخر: لتحضير مجيء مجتمع أكثر إنسانية وأكثر وعي. إنّ العمل الجوهري ل"جول بوشيه"، الذي أصبح اليوم تقليدي وكلاسيكي، هو في حقل البنّائية الحرّة مساعد ضروري وثمين.

جيلبير ألبان